

دراسة تحليلية لمسائل البيان

تأليف
د. بسيوني عبد الفتاح فيود
أستاذ البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع

دار المعالم الثقافية
الأحساء
للنشر والتوزيع

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة
٦٥ شارع النزهة - مصر الجديدة
تليفون و فاكس : ٢٩٠١٥٨٣

الطبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ٣٣٠٦ لسنة ١٩٩٨
الترقيم الدولي : 977-5283-23-X

دار
المعالم الثقافية
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية
الأحساء - الهفوف
شارع الجامعة
ص.ب : ١٦١٣ الأحساء ٣١٩٨٢
هاتف : ٥٨٧٠٦٢٣ - ٥٨٦٢٠٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
الطبعة الثانية

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة الكرام أن يقعوا له ساجدين وعلمه الأسماء كلها .. نحمدك ربى حمد الشاكرين كرمت بنى آدم وحملتهم فى البر والبحر ورزقتهم من الطيبات وفضلتهم على كثير ممن خلقت تفضيلا ، ومن النعم التى أنعمت بها عليهم نعمة البيان والإفهام ﴿**الرَّحْمَـٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ البيان**﴾ فلله الحمد وله الشكر على ما أنعم به وتفضل . ثم الصلاة والسلام الأتمان والأكملان على نبينا محمد القائل : " إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكما" صلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد نفدت الطبعة الأولى من كتابنا : علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان وهو كتاب الغاية منه إيضاح مسائل البيان وتجليتها وتحليل شواهدها فيقف الدارس له على ضوابط التشبيه ويحيط بألوانه وطرائقه ويلم بالتعبيرات المجازية والكنائية ويعرف دقائقها .

وكان غرضنا من الكتاب متجها إلى تحقيق غايتين :

١ – أن يلم الدارس بالضوابط والقواعد البلاغية ويحيط بها .

٢ – أن نرسخ فى وجدانه ونغرس فى نفسه حب تذوق النصوص والوقوف على أسرار الجمال بها وإدراك مزايا الحسن .ولذا حرصنا على الإكثار من الموازنات بين الصور والأخيلة وعلى تحليل الشواهد دون تفريط أو إفراط فلا يطغى التحليل على شرح القاعدة

وإيضاح الضابط ولا تعرض القواعد والضوابط عرضا جافا جامدا يبعث الملل ويـؤدى إلى إعراض الدارس وانصرافه عن الدرس البلاغى والرغبة عنه .

ولما نفدت الطبعة الأولى وبدت حاجة الدارس للكتاب لم نتردد فى إعادة طبعه طبعة جلية واضحة لتتحقق الثمرة المرجوة والغاية المنشودة .

نسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يجزينا خير الجزاء ويهدينا سواء السـبيل إنـه خـير مسئول وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا به .. وصلى الله على نبينا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح فيود

أستاذ البلاغة والنقد

فى كلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين حمدا دائما طيبا ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين ...

أما بعد :

فهذا كتاب فى مسائل علم البيان ، وضعته لطلبة الدراسات العالية الجامعية ، وقد راعيت فيه مستوى الطلبة فى هذه المرحلة ، إدراكا وتذوقا واستيعابا ، فالطالب فى هذه المرحلة يحتاج إلى إيضاح القاعدة البلاغية وإلى تحليل الشاهد وشرح ما غمض من مفردات الشواهد ، والقاعدة البلاغية وحدها لا تفى بحاجة الطالب ، بل يحتاج – بالإضافة إلى إيضاح القاعدة وشرحها – إلى تحليل شواهدها والإكثار من تلك الشواهد حتى تتكون لدى الطالب ملكة التذوق وفهم النصوص ، ولذا أكثرت له من الأمثلة والشواهد ، وحللت له الشواهد دون إسراف فى التحليل ؛ لأن الإسراف فى التحليل فى هذه المرحلة بالذات يفوت على الطالب الإلمام التام بالقاعدة البلاغية ونحن نهدف إلى الأمرين معا : أن يلم الطالب بالقاعدة وأن تتربى لديه ملكة الفهم وتذوق النصوص ...

ويقع الكتاب فى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، أوضحت فى التمهيد مفهوم البيان ، وأوجه الدلالة على المعانى ، وموقع التشبيه من المباحث البيانية ، وتناولت فى الفصل الأول مسائل التشبيه ، وفى الفصل الثانى مسائل المجاز وفى الثالث مسائل الكناية ، وكان الهدف منصبا إلى الإحاطة والإلمام بكل هذه المسائل وبطريقة دقيقة

وميسرة وفى الخاتمة أشرت إلى مدى التفاوت بين الأساليب البيانية فى التصوير وإفادة المبالغة ...

والله عز وجل أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يثمر الثمرة المرجوة منه ، وأن يثيبنا بحسن النية ونبل المقصد إنه خير مسئول ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

د/ بسيونى عبد الفتاح بسيونى

تمهيد

مفهوم البيان :

قال الله عز وجل : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الرَّحْمَـٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[١] . فالبيان نعمة من نعم الله تعالى ، أنعم بها على بنى آدم ، حيث كرمهم وحملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه .. وامتن عليهم بنعمة التعليم والبيان : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ**﴾[٢] . بهذا التعليم تميز الإنسان عن كثير من خلقه ، وصار ناطقا مبينا ، يستطيع أن يعبر عما يخطر بخاطره ويجول فى نفسه من المعانى ، فيوصلها إلى غيره من البشر ، ويتلقاها الغير عنه ، فيتم التفاهم ، وبهذا التفاهم تتحقق السعادة بين البشرية .

والبيان فى اللغة ، معناه : الظهور والوضوح والإفصاح ، وما بين به الشىء من الدلالة وغيرها ، يقال : بان الشىء بيانا : اتضح فهو بين ... وأبنته : أوضحته ، واستبان الشىء : ظهر ، قال ابن ذريح :

وللحب آيات تبين للفتى   شحوبا وتعرى من يديه الأشاحم

أى : تظهر له شحوبا .. وبان الصبح لذى عينين : ظهر ووضح ، والبيان : الفصاحة والإفصاح مع ذكاء ، والبين من الرجال : السمح اللسان ، الفصيح الظريف ، العالى الكلام ، وفلان أبين من فلان أى : أفصح منه وأوضح كلاما .

---

(١) أول سورة "الرحمن" .

(٢) أول سورة "العلق" .

وروى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما ، قال : البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم ، وذكاء القلب مع اللسن ، وأصله الكشف والظهور[1] .

وقد تحدث كثير من العلماء عن مفهوم البيان وآلاته ، وأنواع الدلالة على المعانى ، وعما يحتاج البيانى إلى تحصيله من ألوان المعرفة وصنوف الثقافة ...

من ذلك قول الجاحظ : " البيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع ، إنما هو الفهم ، والإفهام ، فبأى شىء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع"[2] . ومفهوم البيان عند الرمانى ، أنه الإحضار لما يظهر به تميز الشىء من غيره فى الإدارك[3] ، ويجعل عبد القاهر البيان من مقتضيات النظم ، فهو به يكون وعنه يحدث[4] ، وذكروا أن أنواع الدلالة على المعانى والإفصاح عنها من لفظ أو غيره خمسة أمور : اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال التى تسمى نصبة .

فدلالة اللفظ : أن ينطق اللسان مفصحا عما يجول بخاطر الإنسان ومبينا عما يتردد بداخله.

ودلالة العقد : هى دلالة الحساب ، لأن العقد ضرب من الحساب يكون بأصابع اليد ، ويقال له حساب اليد ، فهو نوع من أنواع الإفصاح عن المعانى .

(١) انظر لسان العرب ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٧٥ .

(٣) انظر النكت ضمن ثلاث رسائل ص ٩٨ .

(٤) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٦٤ .

ودلالة الإشارة : تكون باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب ، وإذا تباعد الشخصان تكون بالثوب ونحوه ، وإذا هدد الشخص وتوعد تكون بالسيف والسوط ونحوهما .

ودلالة الخط : هى دلالة الكتابة التى تبلغ من بعد أو غاب ، ولذا فهى تفضل دلالة اللفظ المقصورة على الشاهد دون الغائب .

أما دلالة الحال : فهى دلالة التأمل والتدبر والنظر فى الكون والاعتبار بما فيه ، فالسموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرهما مما خلقه الله فى الكون أحوال ودلائل تدل على وجوده تعالى وقدرته وعظيم سلطانه[1] .

وآلات علم البيان وأدواته التى ينبغى على البيانى أن يتسلح بها ، لا فتقاره واحتياجه إليها ، يحصرها ابن الأثير فى الأمور الآتية :

١ – حفظ القرآن الكريم وتفهم معانيه ، والتدرب على استعمال أساليبه وتراكيبه فى مطاوى الكلام .

٢ – حفظ ما يحتاج إليه من أحاديث النبى ﷺ وأخباره والسلوك بها مسلك القرآن الكريم فى الاستعمال .

٣ – معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، والتمييز بين الفصيح المستعمل من مفرداتها وبين الوحشى الغريب والمستكره المعيب .

٤ – معرفة علم العربية من نحو وصرف .

٥ – معرفة أمثال العرب وأيامهم ووقائعهم وعاداتهم .

---

(١) انظر البيان والتبين جـ ١ ص ٧٦ والبرهان فى وجوه البيان ص٧ ، والنكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ص ٩٨ .

٦ – الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب صناعة البيان

٧ – معرفة الأحكـام السـلطانية فـى الإمامـة والإمـارة والقضـاء والحسـبة ونحـو ذلك .

٨ – ما يختص بالناظم دون الناثر ، وذلك علم العروض والقوافى الـذى يقـام بـه ميزان الشعر[1] .

ويتضح مما تقدم أن البيان هـو التعبير عمـا يـدور فـى الذهـن وتحـس بـه النفـس بأسلوب فنى رائع ، أو هو المميزات البلاغية التى يتفاضل بها الأدبـاء والشـعراء ، ويظهـر بها فضل الكلام على الكلام ، وهـو بهـذا المعنى يشـمل علـوم البلاغـة الثلاثـة : المعـانى والبيان والبديع .

البيان فى اصطلاح البيانيين :

أما البيان فى اصطلاح البيانيين فهو : العلم الذى يعرف بـه إيـراد المعنـى الواحـد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه .

وهو بهذا المفهوم الذى حده به علماء البيان يختلف عن علم المعانى الذى يبحـث فى بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقا يطابق مقتضى حال الكلام . كما يختلف عـن علـم البديع الذى يبحث فى وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة .

شرح هذا التعريف :

المراد بالعلم : مجموعة القواعد والضوابط والقوانين التى يعـرف بهـا إيـراد المعنـى الواحـد بطـرق مختلفـة كقواعـد التشـبيه ، وضوابـط الاسـتعارة والمجازالمرسـل ، وقوانـين

(١) انظر المثل السائر ص ٤٠-٤١ .

الكناية ، والمهم هو الملَكة التى تتربى لدى الدارس من دراسة هذه الضوابط وتطبيقها على العديد من النصوص ، لا بمجرد حفظها والإحاطة بها .

والمراد بالمعنى الواحد : المعنى الذى يعبر عنه المتكلم بكلام تام مطابق لمقتضى الحال كمعنى الشجاعة والكرم والعفة ، فليس من البيان ، الاقتدار على تأدية المعنى المفرد بألفاظ مترادفة نحو : الأسد والليث والغضنفر والسبع والضرغام ، لأن معرفة ذلك يرجع إلى علم اللغة وليس إلى علم البيان والمراد باختلاف الطرق التى يؤدى بها المعنى الواحد فى وضوح الدلالة عليه ، أن يكون بعضها واضحاً وبعضها أشد وضوحا وليس المراد أن يكون بعضها واضحا وبعضها خفيا ، لأن الخفاء المشكل الذى لا يفهم معه المعنى المراد معيب عند علماء البيان ، إلا إذا أريد بالخفاء ، الدقه فى أداء المعنى ، بعيدا عن اللبس والإشكال ، فلا غبار على إرادة ذلك .

ويرجع التفاوت فى وضوح الدلالة إلى الأمور الآتية :

١ - اختلاف طرق التعبير عن المعنى الواحد ، فمثلا إذا أراد المتكلم أن يصف زيدًا بالكرم ، فله أن يسلك طريق الحقيقة فيقول : زيد كريم ، أو طريق التشبيه فيقول : زيد كالبحر عطاء وزيد كالبحر ، وكأنه البحر ، وزيد بحر فى العطاء ، وزيد بحر . ، ونلاحظ اختلاف درجة المبالغة باختلاف نوع التشبيه ، كما سيأتى فى مباحث التشبيه ، وله أن يسلك طريق الاستعارة التصريحية ، فيقول : رأيت بحرا يفيض على الناس ، أو المكنية فيقول : أمطرنا زيد بعطائه ، أو يسلك طريق الكناية فيقول : زيد جبان الكلب ، وكثير رماد القدر ، والكرم بين برديه .

٢ - قرب المعنى المجازى أو الكنائى من المعنى الحقيقى وبعده عنه ، فمثال القرب بينهما : استعارة الطيران للعدو نحو : فلان يطير إلى حاجته ، أى : يعدو إليها مسرعا ، والكناية عن الرجل بحمل السلاح وعن المرأة بخضاب البنان كقول المتنبى :

ومن فى كفه منهم قناة ... كمن فى كفه منهم خضاب

ومثال البعد بينهما : استعارة الانسلاخ لزوال ضوء النهار شيئاً فشيئاً حتى يظهر الليل كما فى قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[1] . والكناية عن الكرم بجبن الكلب وهزال الفصيل وكثرة الرماد .

٣ – درجة وضوح القرينة الدالة على المعنى المراد ، فقد تكون بحيث يدركها السامع لأول وهلة ، كقولنا : رأيت أسدا يخطب الناس ، وعندئذ يكون التعبير عن المعنى فى غاية الوضوح ، وقد لا يدركها السامع إلا بعد فكر وإطالة نظر كقول الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية ... يقتات شحم سنامها الرحل[2]

وكقول الآخر :

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن فى أيماننا نيرانا

وعندئذ يكون التعبير دقيقا وأقل وضوحا .

أوجه الدلالة البيانية :

والدلالة التى ذكرها البيانيون فى تعريف علم البيان هى دلالة الألفاظ على معانيها ، أما غيرها من أنواع الدلالات غير اللفظية والتى خاض فى دراستها بعض البلاغين[3] ، فهى لا تفيد الدراسة البلاغية شيئاً ، بل عند التأمل والنظر ، نرى أنها ترجع إلى الدلالة اللفظية – كما سيأتى – ولذا لا ينبغى أن تعد دلالات مستقلة أو مغايرة للدلالة اللفظية .

---

(١) سورة يس ٣٧ .

(٢) الكور : رحل البعير والناجية : الناقة السريعة .

(٣) كالدلالة العقلية مثل دلالة الدخان على النار ودلالة تغير العالم على حدوثه ، وكالدلالة الطبيعية مثل دلالة حمرة الوجه على الخجل وصفرته على الوجل .

وللألفاظ فى دلالتها على معانيها ثلاثة أوجه :

١ – دلالة المطابقة : وهى دلالة اللفظ على تمام ما وضع لـه فـى اللغـة ، كدلالـة لفظ "أسد" على الحيوان المفترس ، ولفظ "إنسـان" علـى الحيـوان النـاطق ، وسميـت دلالـة اللفظ على معناه الوضعى : دلالة مطابقة ، لتطابق اللفـظ والمعنـى بحيـث إذا أطلـق اللفـظ فهم السامع معناه ولا يفتقر العقل فى إدراك المعنى من اللفظ إلى شىء آخر غـير الوضـع ، وهذا الوجه من أوجه الدلالة لا يتأتى فيه التفاوت فى درجة الوضوح ، ولذا لا يلتفت إليه البيانيون التفاتا أصيلا .

٢ – دلالة التضمين : وهى دلالة اللفظ على جزء معناه الوضعى كدلالة لفظ الـدار ، على السقف ، فالدار موضوعة للحيطان التى يظللها السقف ، وكدلالة الأصابع على الأنامل ، فالعالم بوضع اللغة يفهم من اللفظ أولا معناه الوضعى ويستتبع ذلك فهم جـزء معنـاه ، وعلـى ذلك لا تكون هذه الدلالة وضية فيأتى فيها التفاوت فى درجة الوضوح .

٣ – دلالة الالتزام : وهى دلالة اللفظ على معنى خارج عن المعنى الـذى وضعـه له واضع اللغة ، لا زم له فى الذهن ، وهذا اللزوم الذهنى ، قد يكون مبنيا على مجرد النظر العقلى دون تدخل عرف أو اصطلاح ، كدلالة قولنا : العالم متغير ، على حدوث العـالم ، فقد ثبت فى حكم العقل التلازم بين تغير العالم وحدوثه ، وقد يكون مبنيا على عرف عام مشهور كدلالة لفظ "أسد" على الشجاعة ، فالذهن يدرك التلازم بين الأسد والشجاعة ، اعتمادا على ما اشتهر فى عرف الناس من التلازم بينهما ... وقد يكون مبنيا علـى طبيعـة مستقرة فى إنسان أو حيوان ، كدلالة حمرة الوجه على الخجـل وتقطيبـه علـى الغضـب ، وجبن الكلب على الكرم... أو على عادة مشهورة كدلالة إيقاد النـار فـى مكـان مرتفـع على الكرم... فمن طبيعة الإنسان أن يحمر وجهـه عنـد الخجـل وأن يقطـب وجهـه عنـد الغضب ، ومن طبيعة الكلب أن يجبن أمام من اعتاد رؤيته ، ومـن عـادات العـرب إشـعال النيران فى الأماكن العالية ليسترشد بها القادم إليهم ...

والبيانيون يعتمدون على دلالتى "التضمين والالتزام" فـى تحقيـق الغايـة المقصـودة من علم البيان وهى الاقتدار على إيراد المعنى الواحـد بطرق مختلفـة فـى وضـوح الدلالـة عليه ...

هذا ويجب على البيانى أن يراعى بالإضافة إلى وضوح الدلالة علـى المعنـى الـذى يريد أداه ، مطابقته لمقتضى الحال ، فيجمع بذلك بين وظيفتى "علم البيان وعلم المعانى" ، فإذا خاطب السوقى الجاهل بخفى التشبيهات أو غريـب الاستعارات أو بـاللوازم البعيـدة الدقيقة فى المجازات والكنايات ، فقد بعـد عـن الجـادة ... كمـا أنـه إذا خـاطب الأديـب المتمكن فـى صناعـة الكـلام ، المتمرس فـى ضـروب البيـان ، بأسـلوب الحقيقـة المجـردة ، أو التشبيهات القريبة ، أو الاستعارات العامية المبتذلة ، أو الكنايات الواضحـة ، فقـد حـاد عن الطريق السوى ، لأنه بهذا الصنيع يكون قد تغـافل عـن وظيفـة علـم المعـانى وهـى : مراعاة المطابقة لمقتضى الحال .

موقع التشبيه من المباحث البيانية :

لا يختلف علماء البيان فى أن التشبيه له من الاعتبارات الدقيقة واللطائف العجيبـة والمحاسن العديدة والمقاصد الغفيرة ، ما يجعله موضع اهتمام البيانى ... ولكنهم اختلفوا فى موقعه من مباحث علم البيان ، هـل يعـد مـن مباحثـه الرئيسية ؟ أم أنـه مبحـث تمهيـدى لمباحث الاستعارة ؟ لأن الاستعارة كما نعلم مبنية على التشبيه...

فبعضهم يرى أنه مبحث تمهيدى لدراسة الاستعارة ، ويحتج بأن كـلا مـن المشـبه والمشبه به والأداة ووجه الشبه ، مستعمل فى معناه الوضعى ، والمعانى المعبر عنهـا بألفـاظ وضعية ، تكون واضحة الدلالة ، وعلم البيان إنما يبحـث فـى الـدلالات التـى تختلـف فـى درجات الوضوح ، وهى الدلالات غير الوضعية ...

وبعضهم يرى أن التشبيه من مباحث علم البيان الرئيسية ، ومقاصده الأساسـية ، ودليلهم أن التشبيه ليس فى درجه واحدة من الوضـوح ، بـل تتفـاوت درجاتـه ، وتتعـدد

مراتبه ، وتختلف أقسامه ، وتتنوع ضروبه ، فبينما نجد التشبيه الواضح الظاهر ا لدلالة ، نجد التشبيه الدقيق الخفى ، وعندما نرى التشبيه المفرد نرى الآخر المقيد أو المركب ، وعندما نرى التشبيه الحسى ، أو الصريح نرى العقلى أو الضمنى ، وهذا التفاوت والاختلاف بين التشبيهات ظهورا وخفاء ، ووضوحا ودقة ، يجعله من المباحث الرئيسية لعلم البيان ونحن نميل إلى هذا الرأى ونراه أولى بالقبول ..

الفصل الأول

التشبيه

تعريفه :

هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى بإحدى أدوات التشبيه ، كما نقول : محمد كالأسد شجاعة فالأمر الأول فى هذا المثال هو "محمد" وهو المشبه والأمر الثانى هو "الأسد" وهو المشبه به وأداة التشبيه هنا هى الكاف والمعنى المرتبط بالأمرين المشبه والمشبه به هو الشجاعة وتعرف بوجه الشبه .

وقد عرف بعض البلاغيين التشبيه بأنه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى بإحدى أدوات التشبيه لا على وجه الاستعارة التحقيقة ولا المكنية ولا التجريد[1] ...فقيد التعريف بكون الدلالة ليست على وجه الاستعارة التحقيقية ولا المكنية ولا التجريد .. ولا عبرة بهذا القيد لأن الاستعارتين التحقيقية نحو : رأيت بحرًا فى المسجد والمكنية نحو : لعبت بنايد الزمان ، مبنيتان على تناسى التشبيه والمبالغة فى تجاهله حتى كأنه لم يكن . فقولنا فى التعريف : "بإحدى أدوات التشبيه" مخرج لهاتين الاستعارتين ويخرج أيضاً نحو قولنا : جاءنى محمد وعلى ، وقاتل زيد عمراً وغير ذلك من الصيغ الدالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى ولكن بطرق أخرى وليس عن طريق أدوات التشبيه .

وأما التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كما لها فيه نحو : لى من فلان صديق حميم وقولنا : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر ، لقيت من زيد أسداً[2] فخروجه من التشبيه ليس على الإطلاق بل إذا لم يكن على وجه ينبئ بالتشبيه خرج منه كما فى المثال الأول . وإذا كان على وجه ينبئ بالتشبيه

---

(١) انظر الإيضاح ص ٧ حـ ٣ والمطول ص ٣١٠ .

(٢) انظر الإيضاح ص ٤٤ حـ ٤ .

كما فى المثالين الثانى والثالث فهو داخل فيه ولا يمكن إخراجه منه[1] ، هذا وقد تكون هذه الأمور وهى : المشبه والمشبه به ووجه الشبه والأداة بينة ظاهرة مصرحاً بها أو ببعضها كقولنا : على كحاتم فى الكرم ، وليلى كالبدر ضياء وشعرها كالليل سوادا ، وكما فى قول الحق جل وعلا : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾[3] ... وقوله تعالى : ﴿ **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ** ﴾[4] وكقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقد تكون تلك الأمور خفية مستترة ينبىء بها الأسلوب وتفهم من سياق الكلام كما فى بعض صور التجريد التى مرت بنا نحو : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، وكما فى التشبيهات الضمنية نحو قولنا: نور الصباح يخفى فى ضوء جبينه ، ونور الشمس مسروق من نور وجهه ، وكقول أبى تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالى

وقول أبى الطيب

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

---

(1) انظر مفتاح العلوم ص ١٦٨ .

(2) سورة الرحمن الآية ٢٤ .

(3) سورة الواقعة الآيتين ٢٢ ، ٢٣ .

(4) سورة القمر الآية ٧ .

وقوله :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا　　　إلا بوجه ليس فيه حياء

وقولى أبى نواس :

إن السحاب لتستحيى إذا نظرت　　　إلى نداك فقاسته بما فيها

وقول البحترى :

فى طلعة البدر شىء من محاسنها　　　وللقضيب نصيب من تثنيها

إلى غيرك ذلك من التشبيهات الضمنية التى تكون مستترة فى الأساليب مختفية وراء الجمل والعبارات فتفهم ضمنا من سياق الكلام ولا يصرح فيه بأركان التشبيه ولا تأتى جملته مبنية على هذا الأساس ، وسيتضح لنا هذا فيما يأتى إن شاء الله .

((أركان التشبيه))

وأركان التشبيه خمسة :

١ – المشبه : وهو الأمر الذى يراد إلحاقه بغيره .

٢ – المشبه به : وهو الأمر الذى يراد إلحاق غيره بـه ، ويسـمى كـل مـن المشبه والمشبه به بطرفى التشبيه .

٣ – وجه الشبه : وهو المعنى الجامع الذى يشترك فيه الطرفان ويكون فى المشبه به أعرف وأشهر منه فى المشبه ، وغالبا ما يكون فى المشبه به أقوى وأكمل أيضا منه فى المشبه ، ونقول "غالبا" لأننا نرى بعض التشبيهات وقد صار بها المشبه أقوى وأكمـل فـى وجه الشبه عن المشبه به فالمدار فى ذلك يرجع إلى الغرض الذى من أجلـه يسـاق التشبيه وسيتضح هذا الأمر عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

٤ – أداة التشبيه : وهى اللفظ الذى يربط بين الطرفين ويدل على التشبيه .

٥ – الغرض من التشبية : وهو الهدف أو الفائدة التى من أجلهـا يسـوق المتكلـم التشبيه والغاية التى ينشدها من ورائه .

ما يتحتم ذكره من هذه الأركان وما يجوز حذفه :

والأركان الأربعة الأولى قد تذكر جميعا فى جملة التشبيه نحو قولنا : محمد كالبحر عطاء وكرما وعمرو كالأسد شجاعة ، وقد يذكر بعضها دون بعض . فقد تحـذف الأداة نحـو : محمـد بحـر فـى العطـاء وذلـك إذا كـان المقـام يقتضـى المبالغـة فـى المشـابهة ومنـه قول الشاعر:

هـم البحـور عطـاء حـين تسـألهم وفـى اللقـاء إذا تلقـى بهـم بهـم

وقد يحذف الوجه إذا كان مشهورا واضحا نحو : محمد كالأسد وأنت كحاتم وهو مثل أحنف ... وقد تحذف الأداة والوجه معاً نحو : أنت أسد .. محمد بحر ويعرف هذابالتشبية البليغ .

وقد اختلف فيه العلماء فبعضهم يلحقه بالتشبيه ويعده منه وبعضهم يلحقه بالاستعارة ويجعله منها وآخرون يفصلون القول فيجعلون بعضا منه تشبيها والبعض الآخر استعارة على نحو ما سنرى فى الفصل الثانى عند حديثنا عن الاستعارة ... وقد يلحق المشبه بالوجه والأداة فيحذف معهما ويبقى المشبه به فقط ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ... ﴾[1] !.. وقول عمران بن حطان يذم الحجاج بالجبن :

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فقد حذف فى الآية والبيت المشبه بالإضافه إلىحذف الأداة ووجه الشبه والتقدير : هم صم .. ، وهو أسد علي .

وحذف المشبه هنا فى الآية الكريمة وفى البيت لا يخرج الكلام عن دائرة التشبيه للقاعدة المشهورة : أن المقدر كالمذكور .. ولا يقال فى نحو : رأيت أسداً وحدثته .. وشاهدت بحرا فى المسجد إن هذا مبنى على التشبيه و لم يبق منه سوى المشبه به فلم خرج عن دائرة التشبيه وعد استعارة ؟ و لم لم يظل تشبيها كالآية الكريمة والبيت؟ لأننا نقول : المرجع فى ذلك إلى بناء الجملة وقد بنيت الجملة فى المثالين بناء تنوسى فيه التشبيه وبولغ فى طيه وتجاهله ، أما فى الآية والبيت فقد بنيت الجملة على إرادة المشبه المحذوف وعلى تقديره والمقدر – كما قلنا – كالمذكور ..فالمدار إذاً على بناء الجملة .

وأما المشبه به فيتحتم ذكره ولا يتأتى حذفه بحال من الأحوال لأن فى حذفه تفويتا للغرض المقصود من التشبيه .

---

(1) سورة البقرة الآية ١٨ .

وربما سأل سائل : فماذا عن الركن الخامس من أركان التشبيه ؟ أيجوز حذفه أم يحتم ذكره؟ والجواب : ليس هنالك من لفظ للغرض ولكن الغرض من التشبيه إنما هو غاية يهدف المتكلم إلى تحقيقها وإفادتها بعقد هذا التشبيه ، فالغرض إذاً يفاد بأسلوب التشبيه وبجملته التى تبنى من أركانه الأربعة الأخرى ، فإذا أفادت هذه الجملة الغرض كان التعبير جيدا ومحققا للغرض من التشبيه ، وإذا لم تفده كان التعبير معيباً ومخلا بالغرض من التشبيه على نحو ما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

هذا والتشبيه من فوائده أنه يوسع آفاق التعبير أمام المتكلم فيستطيع عن طريق الصورة أن ينقل ما رسم فى ذهنه من معان إلى السامع أو القارئ وذا لأنه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان والمبالغة فى تأكيد المعانى وتقريرها ، وسنفصل القول فيما يلى فى العناصر التى تسهم فى بناء التشبيه وتكوين الصورة وتصوير الخيال ونبدأها بالحديث عن طرفى التشبيه .

مباحث الطرفين

الطرفان وهما المشبه والمشبه به لهما صفات يتصفان بها أو أحوال يكونان عليها وقد نظر البلاغيون إلى هذه الصفات أو إلى تلك الأحوال ونوعوا التشبيه أو قسموه تبعا للحال التى يوجد عليها كل من المشبه والمشبه به ، نظروا إليهما من جهات مختلفة وحيثيات متعددة وزوايا متنوعة ، فالطرف قد يكون حسيا وقد يكون عقليا وهذه جهة نظر منها البلاغيون إلى التشبيه ونوعوه أنواعا والطرف إما أن يكون مفردا مجردا أو مقيدا بقيد له أثر فى التشبيه أو يكون هيئة مركبة من عدة أمور قد امتزجت وهذه جهة ثانية من خلالها نظر البلاغيون إلى التشبيه فقسموه أقساما ، والمتكلم قد يشبه أمرا واحدا بأمر واحد أو بأمرين أو بأمور عدة وقد يشبه أمرين بأمرين أو أمور بأمور وقد يشبه أمرين أو أمورا عدة بأمر واحد ، أو بمعنى آخر الطرف قد يكون واحدا وقد يتعدد وهذه زاوية أخرى على أساسها قسم البلاغيون التشبيه أقساما وقبل أن نخوض فى هذه الأقسام أو فى تلك

الأنواع نريد أن نقف على هذه الأحوال التى يوجد عليها الطرف أو الصفات التى يتصف بها والتى على أساسها كانت هذه الأنواع .

ما معنى حسية الطرف ؟ وما معنى عقليته ؟ :

معنى حسية الطرف أن يكون مدركا هو أو مادته التى يتركب منها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهى : البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، فمثال المدرك بإحدى هذه الحواس ، ضوء الشمس فإنه مدرك بحاسة البصر وتغريد الطائر فهو مدرك بالسمع وطعم الفاكهة يدرك بالذوق ورائحة المسك تدرك بالشم ونعومة الحرير تدرك بحاسة اللمس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا حقيقا لأن الطرف ذاته قد أدركناه ووقفنا عليه بإحدى الحواس ، ومثال ما أدركت مادته التى يتكون منها بإحدى الحواس : تخيل قصر من ذهب أعمدته من فضه أو تخيل بحر من مسك موجه الذهب أو تخيل أعلام من ياقوت قائمة على أعمدة من زبرجد ، فتلك أمور خيالية اخترعها الخيال وألفها من أشياء محسوسة موجودة ، وهذه الهيئات المركبة لا وجود لها فى الواقع ولكن أجزاءها ومادتها التى ركبت منها وهى : الذهب والفضه والمسك والياقوت والزبرجد موجودة ومدركة بالحس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا غير حقيقى أو حسيا خياليا لأن الطرف نفسه غير مدرك بالحواس ولكن الذى وقفنا عليه وأدركناه بإحدى الحواس هو مادته أو أجزاؤه التى ركب منها .

ومعنى عقيلة الطرف : ألا يكون هو ولا مادته مدركا بالحواس بأن يكون من المعانى التى يدركها المرء بعقله مثل : العلم والحياة والذكاء والمروءة والكرامة والإباء والنجدة . أو يكون من المعانى التى يحسها بوجدانه نحو الجوع والعطش والشبع والفرح والحزن والطمأنينة والخوف . فلا مدخل للحواس الخمس فى إدراك هذه الأمور وإنما مجال إدراكها هو العقل أو الشعور الوجدانى والحس الباطنى . ويلحق بالطرف العقلى الأمور الوهمية التى لا وجود لها ولا لمادتها فى الخارج ولكنها استقرت فى وهم الإنسان نتيجة أسطورة أو عقيدة موروثة مثل : أنياب الغول ورءوس الشياطين . وفرق بين الطرف العقلى

والطرف الوهمى ، فالعقلى له ثبوت وتحقق فى الذهن ولكن لا مدخل للحواس فى إدراكه بأى وجه من الوجوه كما رأينا . أما الوهمى فلا ثبوت ولا تحقق له عقلا ولا حساً لعدم وجوده لكن لو فرض وقدر وجوده لأدرك بالحواس لأننا عندئذ سنرى الغول ونبصر أنيابها ونشاهد صورة الشيطان وصورة الغول وقد جسمتا فى عالم المرئيات . كما أن هنالك فرق بين الطرف الوهمى والطرف الخيالى ، فالخيالى هيئته التركيبية لا وجود لها ولا تحقق ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس والوهمى لا وجود له ولا لأجزائه حتى تدرك وتشاهد ولكن لو قدر وفرض وجوده وتحققه كان مدركا بالحواس كما قلت .

ما معنى إفراد الطرف وتقييده وتركيبه ؟

وإفراد الطرف معناه : أن يكون شيئا واحدا متميزا بذاته ليس مقيدا بقيد يؤثر فى صورة التشبيه وليس هيئة مركبة من عدة أمور ومثاله الزهر والروض والنجوم والقمر والشجاعة والبحر والوجه .

ومعنى تقييده : أن يرتبط الطرف ويقيد بوصف أو بإضافة أو بحال أو بجار ومجرور تقييدا لا يبلغ حد التركيب شريطة أن يكون لهذا القيد أثر فى تحقيق وجه الشبه مثاله : الراقم على الماء والمرآة فى كف الأشل وذلك بأن يشبه الرجل يجهد نفسه فى عمل لا يثمر بالراقم على الماء وأن تشبه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فقد قيد المشبه به بالجار والمجرور وهذا القيد له تأثير فى تحقيق الوجه كما لا يخفى إذ الوجه فى المثال الأول هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة وفى الثانى الهيئة المركبة من الإشراق والاستدارة والتموجات المستمرة . فالقيد إذاً له أثر فى تحقيق وجه الشبه ، فإذا قلنا هذه الفتاة الطويلة كالبدر إشراقا وهذا الرجل الأسود كالأسد شجاعة ، فلا يعتد بصفتى الطول والسواد ولا تكونان قيدين فى المشبه لأن وجه الشبه وهو الإشراق والشجاعة لا علاقه له بالصفة المذكورة ولا أثر لهذه الصفة فى تحقيقه .

ومعنى تركيب الطرف أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين أو من عدة أمور قد امتزجت امتزاجا يجعلها فى حكم الشىء الواحد ومثاله : الهيئة المركبة من الغبار المثار فوق رءوس المقاتلين والسيوف اللامعة المتحركة حركة مستمرة وسط هذا الغبار ، والهيئة المركبة من ليل مظلم ونجوم تتهاوى وسط هذا الظلام .

ما معنى وحدة الطرف وتعددة ؟

ووحدة الطرف : أن يكون أمرا واحدا مثل محمد كالأسد ، فقد شبه شىء واحد وهو محمد بشىء واحد وهو الأسد فالطرفان هنا يتصفان بالوحدة .

ومعنى تعدد الطرف : أن يكون أمرين أو عدة أمور ولكن لا يمزج بينهما بل يظل كل أمر منهما على حدة وإلا لصار طرفاً مركبا .

ومثال التعدد قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالى

فالمشبه فى البيت وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به متعدد أيضا وهو العناب المقابل للقلوب الرطبة والحشف البالى المقابل للقلوب اليابسة ولكن لا امتزاج بين الأمرين المشبهين ولا بين الأمرين المشبه بهما . ومنه أيضا قول أبى الطيب :

بدت قمرا ومالت خوط بان   وفاحت عنبرا ورنت غزالا

أى : بدت هذه المرأة بوجه كالقمر ومالت بقوام كغصن البان وفاحت برائحة كرائحة العنبر ونظرت بعين كعين الغزال ، فقد شبه أمورا متعددة بأخرى كذالك .

وبعد أن وقفنا على هذه الأحوال للطرفين وأدركنا حقيقة كل حال منها وكيفية اتصاف الطرف بها ننتقل الآن إلى أقسام التشبيه باعتبار كل حال من تلك الأحوال .

أولا : أقسام التشبيه باعتبار حسية الطرفين أو عقليتهما :

ينقسم التشبيه من هذه الجهة إلى أربعة أقسام :

الأول : تشبيه محسوس بمحسوس كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[2] وقوله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[3] .

فالمشبه فى الآيات الكريمة هو نساء أهل الجنة والمشبه به هو بيض النعام واللؤلؤ المكنون والياقوت والمرجان[4] وكلها من المبصرات فهى مدركة بحاسة البصر ، وبتأمل الآيات الكريمة نرى مدى الدقة فى إبراز جمال الحور والإبداع فى تصوير حسنهن ، فهن حور وقاصرات الطرف وعين ، وحور شديدات سواد العيون وبياضها ، وقاصرات الطرف حابساته على أزواجهن ، وعين : ضخام الأعين حسانها ، وكل هذه الألفاظ كما نرى تبرز معانى الجمال والحسن ثم كان التشبيه مصورا هذا الجمال ومبدعا فى إظهاره ؛ فهن بيض النعام ذو اللون المشوب بصفرة وذاك أجمل وأحسن ألوان النساء والبيض قد كن وستر فلا يصل إليه غبار ، ومن لؤلؤ مكنون وهن كأنهن ياقوت ومرجان ، والنفس شديدة الرغبة فى هذه الأنواع الكريمة وتلك الأحجار النفيسة محبة لها شديدة الحرص عليها وذاك عامل نفسى قوى يحبب هؤلاء النساء ويعلى شأنهن فى نفس المؤمن .

---

(١) سورة الصافات الآية ٤٨،٤٩ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٢٢،٢٣ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٥٨ .

(٤) الياقوت : حجر نفيس كريم تختلف ألوانه وأشهر ألوانه الأحمر ، والمرجان : صغار الدر وإنما خص بها دون كبار الدر لأن الصفاء فى صغار الدر أشد من الصفاء فى كباره ووجه الشبه هو صفاء اللون وحمرته المشوبة بشدة البياض .

ومن ذلك قول أبى طالب الرقى :

وكـأن أجـرام النجـوم لوامعـا   درر نـثرن علـى بسـاط أزرق

فقد شبه أديم السماء فى صفاء زرقته وبياض النجوم بدرر منثورة على بساط أزرق وهما من المبصرات ، وقول بشار .

كأن مثـار النقـع فـوق رءوسـنا   وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

حيث شبه الغبار المثار فوق الرءوس والسيوف تتحرك وسطه مضيئة لامعة بليل مظلم تتساقط كواكبه المشرقة هاوية إلى الأرض وهما مما يدرك بـالبصر ، ومـن ذلـك تشبيهنا الخد بالورد فى البياض المشوب بالحمرة والقد بالرمح فى استقامته والشعر بالليل فى سواده والوجه بالبدر فى إشراقه وضيائه فالطرفان فى كل هذه التشبيهات من المرئيات .

ومن المسموعات : تشبيهنا الصوت الضعيف بـالهمس ، وأزيـز القـدر بصـوت الطائرة ، ووقع الأسلحة فى الحرب بالصواعق ، وكتشبيه ذى الرمة أواخر الميس بأصوات الفراريج فى قوله :

كـأن أصـوات مـن إيغـالهن بنـا   أواخر الميس إنقـاض الفراريـج[1]

تقدير البيت : كـأن أصـوات أواخـر الميـس إنقـاض الفراريـج مـن إيغـالهن بنـا ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله : من إيغالهن بنا وهو عيب مـن ناحيـة الـتركيب ، والذى يعنينا هنا هو تشبيهه الصـوت المنبعـث مـن احتكـاك الرحـل بعضـه ببعـض نتيجة شـدة السير واضطـراب الرحـال بصـوت الفراريـج وهـى صغـار الدجـاج ، فوجـه

---

(1) الإيغال من أو غل فى السير إذا أبعد فيه وأسرع والضمير للإبل ، والأواخر جمع آخرة ، وآخرة الرحل هى العود الذى يستند إليه الراكب ، والميس : شجر صلب تتخذ منه الرحال والمراد الرحال نفسها عن طريق المجاز المرسل ، والإنقاض من أنقضت الدجاجة أى : صوتت ، والفراريج : صغار الدجاج جمع فروج .

الشبه هو الاشتراك فى هذه النغمة الخاصة ، وطرفا التشبيه من المسموعات كما لا يخفى .

ومن المذوقات : تشبيه بعض الفاكهة بالعسل فى الحلاوة ، وتشبيه ريق الحبيب بالخمر فى الطعم الجميل المذاق ومنه قول امرىء القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحر[1]

ومن المشمومات : تشبيه النكهة بالعنبر ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة ، وتشبيه بعض الأشياء ذات الرائحة الطيبة بالريحان أو الكافور ، وكتشبيه الرائحة الطيبة المنبعثة من فم الحبيبة فى وقت السحر بريح الخزامى ونشر القطر فى البيتين السابقين .

ومن الملموسات : تشبيه الجسم بالحرير كما فى قول الشاعر :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

فالمشبه بشر والمشبه به الحرير وهما من الملموسات ووجه الشبه هو نعومة الملمس.

فطرفا التشبيه فى كل ما مر بنا من شواهد حسبان حقيقيان لأننا قد وقفنا عليهما وأدركناهما بحاسة من الحواس الخمس ، هذا وكثيراً ما يلجأ الأديب إلى تأليف واختراع صور خيالية مبديا براعته الفنية ومظهرا المشبه فى صورة رائعة بديعة طريفة وهذا الطرف

---

(1) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتبخر به ، يعل به : يسقى مرة بعد مرة والمستحر : الصوت وقت السحر ، يعنى أنها طيبة الفم فى هذا الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه فقلب التشبيه ، والضمير فى "به" يعود للمدام وما بعده ، وخبر كأن : برد ويجوز جعل "برد" نائب فاعل " يعل" وجملة يعل به برد أنيابها هى الخبر والمعنى أنه يظن أن برد أنيابها مزج بالمدام وما عطف عليه وعندئذ يكون التشبيه ضمنيا ...

الذى يخترعه الأديب ويتخيله يعد حسيا غير حقيقى أو خياليا أو داخلا فى الطرف الحسى كما يذكر بعض البلاغيين[1] لأن مادته أو أجزاء صورته مدركة بالحس موجوده تحت مواقعه وإن كان هو بهيئته التركيبية لا وجود له .

ومن ذلك قول الصنوبرى يصف شقائق النعمان :

وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد[2]

وقوله يصف النيلوفر وهو نبات له زهر أحمر مشوب بصفرة :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ند

كدبابيس عسجد قطبها من زبرجد[3]

وقول الآخر يصف نجم الثريا وقت طلوع الفجر :

إذا الثريا اعترضت عند طلوع الفجر حسبتها لا معة سنبلة من در

فالمشبه فى هذه الآبيات وهو شقائق النعمان ونبات النيلوفر ونجم الثريا من الحسيات الحقيقية لأنها من المرئيات والمشبه به وهو الأعلام المركبة من ياقوت منشور على رماح من زبرجد ، والعصا المكونة أو المصنوعة من زبرجد ورأسها من ذهب ،

---

(١) انظر الإيضاح جـ ٣ ص ١٦ .

(٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقائق النعمان وقد أفرد لضرورة الشعر تصوب أو تصعد : مال إلى أسفل وإلى أعلى فأو بمعنى الواو ، والياقوت حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، نشرن : رفعن والزبرجد حجر نفيس أشهره الأخضر وهو المراد هنا .

(٣) النيلوفر : هو نبات البشنين وهو نبات ذو رائحة طيبة ينبت فى الماء وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر وزهره أجمله أحمر مشوب بصفرة ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا فى رأسها كالكرة .. والعسجد : الذهب أو جوهر كالدر والياقوت .. وند : رطب .

والسنابل الدرية ، من الأمور الخيالية التى صنعها خيال الشاعر ولا وجـود لها فـى الواقـع ولا تدرك بالحواس الظاهرة ولكن المواد والأجزاء التى صنعت منها هـذه الأمـور وركبـت منها تلك المتخيلات موجودة ومدركة بالحس وواقعة تحت دائرته .

الثانى : تشبيه معقول بمعقـول : كتشبيه الجهـل بـالموت والعلـم بالحيـاة وتشـبيه العشق بالموت كما فى قول الشاعر :

العشـق كـالموت يـأتى لا مـرد لـه ... مـا فيـه للعاشـق المسـكين تدبـير

ووجه الشبه بين العشق والموت : عدم القدرة على دفعه ورده ، ومن ذلك تشبيه السفر بالعذاب وتشبيه الضلال عن الحق بالعمى والاهتـداء إلى الحـق بالإبصـار وكتشـبيه الرضا بالخضوع للعدو لعدم القدرة على مقاومته بالرضا بالشيب كما فى قول المتنبى :

رضـوا بـك كالرضـا بالشـيب قسـرا ... وقد وخط النواصى والفروعا[1]

فالطرفان فى مثل هذه التشبيهات من المعقولات .

الثالث : تشـبيه معقـول بمحسـوس : كتشـبيه أخـلاق الكـرام بـالأرض الواسـعة الممتدة وبالعطر ذى الرائحة الطيبة ،وتشبيه المنية بالسبع فالمشبه وهو أخلاق الكرام والمنيـة من المعقولات والمشبه به وهو الأرض الواسعة والعطر والسبع من المحسوسات .

ومن ذلك تشبيه الرأى بالليل كقول الشاعر :

الـرأى كـالليل مسـود جوانبـه ... والليـل لا ينجلـى إلا بإصبـاح

وتشبيه الغيظ بالنار كقول المتنبى :

وغيظ على الأيـام كالنـار فـى الحشـا ... ولكنـه غيـظ الأسـير فـى القيـد

---

(١) قسر : قهراً ، وخط : الوخـط : فشـو الشـيب فـى الـرأس وقيـل هـو اسـتواء البيـاض والسـواد ، النواصى الرءوس ، والفروع : جمع فرع ، وفرع كل شىء أعلاه ..

وتشبيه الصبر على مضض الحسود بالنار تأكل بعضها لعدم إمدادها بما يسبب بقاءها واشتعالها كقول ابن المعتز :

أصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

هذا وتشبيه المعقول بالمحسوس قد ورد كثيرا فى كلام البشر كما كثر فى أساليب القرآن الكريم ومن ذلك تصوير أعمال الكفار برماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، وبسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وتمثيل اعتقادات المنافقين واضطراباتهم وتخبطهم بالذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ، وتمثيل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله بحبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، وبجنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تصور لنا الأمور المعنوية المعقولة بأمور محسوسة مشاهدة فهى كثيرة وليس هنا موطن دراستها وإشباع القول فيها ، ومرجع هذه الكثرة إلى أن الأصل فى باب التشبيه إخراج الأمور المعنوية المعقولة إلى مشاهدة محسوسة وإبراز الأمور الخفية المستترة إلى أمور جلية واضحة .

الرابع : تشبيه محسوس بمعقول : وهذا القسم على خلاف الأصل فى باب التشبية كما قلنا لأن المشبه به شأنه أن يكون أظهر وأوضح من المشبه فأولى به أن يكون حسيا ولا يكون عقليا إلا بعد أن ينزل منزلة المحسوس ويدعى أنه فاق المحسوس فى الوضوح والظهور من ذلك تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم كما فى قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها

وقد كحل الليل السماك فأبصرا[1]

---

(1) السماك : الأعزل والرامح وهما نجمان نيران وأبصر : فتح وظهر.

وتشبيه الظلام بيوم الفراق وبفؤاد من لم يعشق فى قول أبى طالب الرقى :

ولقـد ذكرتـك والظـلام كأنـه　　　يـوم النوى وفـؤاد مـن لم يعشـق

وتشبيه الليل بالأمل المظلم فى قول الشاعر :

رب ليـل كأنـه أملـى فيـك وقـد رحـت عنـه بالحرمـان

وتشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كقول التنوخى :

وكـأن النجـوم بـين دجاهـا　　　سـنن لاح بينهـن ابتـداع

وتشبيه نسيم الصباح بفرصة الآيس والسراب بخجلة الوامق فى قول بديع الزمان :

كـأن نسـيم الصبـح فرصـة آيـس　　　كأن سراب القيـظ خجلـه وامـق[1]

فالمشبهات فى هذه الأبيات وهى : الأرض والظلام والليـل والنجـوم المضيئـة بـين الدجـى ونسيم الصباح والسراب ، من الأمور المدركة بالحواس ، والمشبهات بها وهى : أخلاق الكرام ويوم النوى وفؤاد من لم يعشـق والأمـل المظلـم والسـنن بـين البـدع وفرصـة الآيـس وخجلـة الوامق ، من المعقولات التى نزلت منزلة المحسوسات وادعى أنها فاقتها فى الوضـوح والظهـور فجعلت أخلاق الكرام أشد سعة وأكثر امتدادا من الأرض الواسعة الممتدة ، ويوم الفراق وفؤاد من لم يعشق والأمل المؤيس أشد ظلاما من الليل ، والسنة أكثر إشراقا من النجوم والبدعة أشد ظلاما من الليل ، وفرصة الآيس أقوى فى إنعاش النفس من نسيم الصباح .

هذا وكما يلجأ الأديب إلى تخيـل الأطـراف واختـراع المركبـات الخياليـة إظهـاراً لبراعته وإبرازاً للمشبه فى صورة طريفة عجيبـة ،فقـد يلجـأ إلى اسـتغلال المعـانى الوهميـة إبرازًا لفظاعة المشبه وتهويلا من شأنه كما نرى فى قول امرئ القيس:

أيقتلنـى والمشـرفى مضـاجعى　　　ومسـنونة زرق كأنيـاب أغـوال

---

(1) القيظ : شدة الحر ، الوامق المحب من ومقه : أحبه .

فالمشبه به فى البيت وهو أنياب الأغوال من المعانى الوهمية التى لا دخل للحس فى إدراكها وقد استغلها الشاعر لتهويل شأن الأسنة ، وإبرازها فى صورة مرعبة مفزعة ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[1] فرءوس الشياطين من المعانى الوهمية وقد أبرزت قبح هذا الطلع وفظعته ونفرت منه وبعثت فى النفوس كراهته وبغضه وفى الآية نوع من السخرية والتهكم بهؤلاء الكفرة أولياء الشيطان فهم يطعمون فى جهنم من شجرة طلعها كأنه رءوس أوليائهم ، كما أنه فى جمع الرءوس مزيد من التهويل والتفظيع والتنفير فالطلع ليس رأس شيطان وإنما هو رءوس جميع الشياطين المنبثين فى الأرض جادين فى الفساد وغرس الشر واقتلاع الخير .

والأطراف الوهمية داخلة فى الأطراف العقلية لأنها ليس لها وجود فى الواقع ولكن لو فرض وجودها وقدر لوقعت فى دائرة المحسوسات ولأدركناها بإحدى الحواس الظاهرة .

ثانيًا : أقسام التشبيه باعتبار إفراد الطرفين وتقيدهما وتركيبهما :

ينقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى ما يلى :

١ - تشبيه مفرد مجرد بمفرد مجرد : كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[2] ، شبه الليل باللباس ووجه الشبه : الستر فالليل يستر الناس بعضهم عن بعض واللباس يستر صاحبه ، والطرفان كما نرى مفردان غير مقيدين ومنه قوله تعالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[3] ، فشبه المرأة باللباس للرجل والرجل باللباس للمرأة ، فالطرفان مفردان مجردان ، ووجه الشبه جعله بعضهم حسيا فقال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان

---

[1] سورة الصافات آية ٦٥ .

[2] سورة النبأ آية ١٠ .

[3] سورة البقرة آية ١٨٧ .

ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه فالوجه إذا هو الإحاطة والاشتمال ، واستدل لهذا بقول النابغة الجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا

وجعله بعضهم عقليا فقال : المراد تشبيه كل واحد منهما باللباس للآخر لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة[1] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[2] ، شبه قلوبهم بالحجارة بجامع القسوة والصلابة وأنه لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق ..وطرفا التشبيه مفردان مجردان .. ومن هذا النوع قولنا : وجه كالبدر .. شعر كالليل ..رجل كالأسد ، خد كالورد إلى غير ذلك من التشبيهات التى يكون طرفا التشبيه فيها من المفردات المجردة .

٢ – تشبيه مفرد مقيد بمفرد مقيد ،كقولنا : التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر ، فالمشبه هو التعليم مقيدا بكونه فى الصغر ، والمشبه به النقش مقيدا بالجار والمجرور أى بكونه فى الحجر ، ووجه الشبه هو الثبات ودوام الأثر ، فطرفا التشبيه مفردان مقيدان ، ومن ذلك تشبيهنا من لا يحصل من سعيه على شيء بالقابض على الماء ، فالمشبه مقيد بالصفة والمشبه به مقيد بالجار والمجرور والوجه وهو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة وخيبة مسعاه لا يتحقق إلا بمراعاة القيدين ،وكذا تشبيهنا من يحاول أن يجمع بين أمرين متباعدين أو يطلب محالا بمن يجمع السيفين فى غمد فالطرفان مقيدان ووجه الشبه هو أن كلا منهما يحاول محالا .

ومثله قولهم لمن يخاطر بنفسه فى طلب الأمر العسير : هو كمبتغى الصيد فى عِرِّيسةِ الأسد ووجه الشبه: طلب الشيء من غير موضعه وقولهم : هو كالحادى وليس له

(١) انظر الكشاف جـ ١ ص ١٧٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .

بعير .. يضرب مثلا لمن ينتفخ ويفخر بما لا يملك ..فالطرفان مقيدان ومنه قول ابن الرومى :

إنى وتزيينى بمدحى معشراً كمعلق درا على خنزير

فالمشبه هو المتكلم مقيدا باتصافه بتزيينه بمدحه معشراً والمشبه به من يعلق دراً مقيدا بكون تعليقه على خنزير ، فالطرفان مقيدان ووجه الشبه أن كلا منهما يضع الزينة فى موضع لا يظهر لها فيه أثر .

٣ - تشبيه مفرد مجرد بمفرد مقيد : كقوله تعالى : ﴿ **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ**﴾[1] فالمشبه هو الخلائق فى هذا اليوم والمشبه به الجراد مقيدا بهذه الصفة أى بكونه منتشراً ووجه الشبه : الكثرة والتدافع وجولان بعضهم فى بعض ومثله قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾[2] فالمشبه مفرد مجرد وهو الناس والجبال ، والمشبه به : الفراش مقيدا بكونه مبثوثا ، والعهن مقيدا بكونه منفوشا ، ووجه الشبه فى الأول : الضعف وزوال التماسك ، وفى الثانى : زوال القوة وتفرق الأجزاء ، ولا يخفى علينا أثر هذا القيد فى تحقيق وجه الشبه ..ومدى دقة التعبير القرآنى بإيثار هذه الألفاظ التى أبرزت وجلت حال الناس فى هذا اليوم ..فالفراش مثل للخفة والحماقة والتهافت ومن كلام العرب (أطيش من فراشة) ..فإذا ما كان مبثوثا فقد تم ضعفه واكتمل زوال تماسكه .. والعهن هو الصوف المصبغ ألوانا شتى فإذا ما كان منفوشا فقد تفرقت أجزاؤه وزال كل ما به من قوة وتماسك .. ثم إيثار لفظ العهن دون الصوف ليعم كل الجبال التى هى جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ..ومن ذلك قولنا : ثغر الحبيب كاللؤلؤ

---

[1] سورة القمر الآية ٧ .

[2] سورة القارعة الآيتان ٤،٥ .

المنظوم ..والرشوة طعام مسموم فى سوء عاقبتها والغيبة لحم نتن تجتمع عليه الكلاب وقول عبد الله بن المعتز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل   لما رأيتها بدت فوق الجبل

فالمشبهات فى هذه الأمثلة ، مفردة مجردة وهى ثغر الحبيب والرشوة والغيبة والشمس والمشبهات بها مفردة مقيدة وهى اللؤلؤ المنظوم والطعام المسموم واللحم النتن والمرآة فى كف الأشل .

٤ – تشبيه مفرد مقيد بمفرد مجرد : كقولنا : العين الزرقاء كالسنان فالمشبه : العين مقيدة بكونها زرقاء والمشبه به : السنان وهو مفرد مجرد ووجه الشبه هو الزرقة الصافية ..وكذا قولنا : الأمل بلا عمل كالسراب فالمشبه الأمل مقيدا بكونه بدون عمل والمشبه به : السراب وهو مفرد مجرد ووجه الشبه ، عدم الوصول إلى شىء .. وكذا تشبيه الحياة فى قيود المذلة بالجحيم .. وتشبيه المرآة فى يد الأشل بالشمس.. ولا يخفى علينا فى كل ما مر من شواهد وأمثلة أن القيد الذى قيد به الطرف له أثر فى تحقيق وجه الشبه ..وهذا شرط فى تقييد الطرف ، فإذا لم يكن للقيد أثر فلا اعتداد به .

٥ – تشبيه مركب بمركب ، كقول بشار يصف معركة :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

شبه الهيئة المركبة من الغبار المثار والسيوف المتحركة حركات سريعة مضطربة وإلى جهات مختلفة بالهيئة المكونة من الظلام والكواكب تتهاوى وسطه وقد تداخلت واستطالت أشكالها ..فطرفا التشبيه مركبان من عدة أمور قد امتزجت بعضها ببعض وكونت هيئة مركبة ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار فى جوانب شىء مظلم ، ومنه قول البحترى يصف فرساً:

ترى أحجاله يصعدن فيه   صعود البرق فى الغيم الجهام[1]

---

(١) الأحجال جمع حجل وهو البياض فى رجل الفرس : الغيم الجهام الذى لا ماء فيه .

فقد شبه الهيئة الحاصلة من ارتفاع البياض فى قوائم الفرس وانتشاره ومخالطته السواد بالهيئة الحاصلة من انتشار شعاع البرق فى وسط الغيم .. فالطرفان مركبان ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من اختلاط البياض بالسواد .

ومنه قول المتنبى يمدح سيف الدولة :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب[1]

فالمشبه الهيئة المركبة من تحرك الجيش واضطرابه واهتزاز جانبيه ميمنة وميسرة حول سيف الدولة ، والمشبه به الهيئة المكونة من صورة العقاب تنفض جناحيها وتحركهما حركات سريعة.. فالطرفان مركبان ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من شيء له جانبان فى حال حركة واضطراب وتموج .

وقول الفرزدق :

الشيب ينهض فى الشباب كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

فالمشبه : الهيئة الحاصلة من نهوض الشيب فى الشباب وتمكنه منه وسيطرته عليه وكأنه يؤذن بهلاكه ورحيله .. والمشبه به : الهيئة الحاصلة من نهار يصبح بجانبى ليل وقد تمكن النهار وسيطر وصارت له الغلبة فهو الذى يصيح معلنا انتصاره وبروزه وتمكنه من خصمه وقد أحاط بجانبيه معلنا هلاكه وزواله ..فالطرفان مركبان ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انتشار البياض فى السواد ..

وقول أبى طالب الرقى :

وكأن أجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على بساط أزرق

---

(1) العقاب : طائر كاسر معروف بالعزة والمنعة حيث يضرب به المثل فى ذلك فيقال : أمنع من عقاب الجو ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران .

وقول السرى الرفاء:

وكــأن الهــلال نــون لجــين غرقــت فــى صحيفــة زرقــاء

فالمشبهان فى البيتين : الهيئة المركبة من النجوم المضيئة اللامعة وقد انتشرت فى أديم السماء .. فى البيت الأول .. ومن الهلال وقد بدا أبيض لامعا مقوساً فى السماء الزرقاء.. فى البيت الثانى ، والمشبهان بهما على الترتيب المذكور : الهيئة الحاصلة من درر نثرت على بساط أزرق.. ومن فضة ظهرت مقوسة مثل حرف النون غارقة فى صحيفة زرقاء ..والوجه: الهيئة المكونة من أشياء لامعة مضيئة منتشرة فى شيء أزرق . ومن شيء أبيض لامع مقوس فى شيء أزرق.

هل يتأتى تحويل التشبيه المركب إلى متعدد ؟ :

عرفنا أن التشبيه المركب هو الذى ركبت أجزاؤه وامتزجت واتحدت وصارت كالشيء الواحد . وأن المتعدد لا يحدث فيه هذا الامتزاج بل يبقى كل أمر مستقلا عن غيره ومشبهًا بنظيره فى الطرف الآخر .. وإذا نظرنا إلى التشبيهات المركبة وجدنا أن بعضها لا يمكن فصل أجزائه وجعلها تشبيهات متعددة وأن البعض الآخر يمكن فصل أجزائه وتحويله إلى متعدد ولكن هذا الفصل يمحو جمال الصورة التركيبية ويذهب بغرض الشاعر وما يهدف إليه من بناء التشبيه وتركيبه .

فمن الأول الذى لا يمكن فصل أجزائه قول ابن المعتز:

غــدا والصبــح تحــت الليــل بــاد كطرف أشهب ملقى الجلال[1]

[1] باد : ظاهر ، الطرف الأشهب : الفرس الأبيض ، والجلال : جمع جل وهو غطاء الفرس ولعله كان يتخذ من قماش أسود .

يشبه ظهور الفجر وإضاءته فى بقايا الليل المدبر بفرس أشهب مال عنه غطاؤه الأسود فبدا بياض الفرس فى سواد الغطاء والوجه : اجتماع سواد قليل فى بياض كثير ، فطرفا التشبيه مركبان ، ولو حاولنا فصل الأجزاء فى الطرفين فربما استقام تشبيه الصبح بالفرس الأبيض ، ولكن حين نشبه الليل بالجلال لا يستقيم التشبيه لغثاثته وفقدان ثمرته .

وقول التنوخى :

كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شامخ الرفعة

منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعة

يشبه الصورة الحاصلة من وقوع المريخ فى السماء وهو كوكب مضىء شديد اللمعان وقد تقدمه المشترى بالصورة الحاصلة من شخص منصرف فى جنح الليل من دعوة وقد تقدمه تابعه بمصباح يضىء له الطريق.. ووجه الشبه : الصورة المكونة من وجود شىء مضىء يتقدمه شىء آخر مضىء وبينهما مسافة قصيرة .. ولو حاولنا فض أجزاء الصورة فشبهنا المريخ بالمنصرف قلنا ما ليس بقول لأنه لا وجه بين المريخ والشخص المنصرف وربما استقام تشبيه المشترى بالشمعة لوجود وجه بينهما وهو الإضاءة ولكنك ترى هذا التشبيه غثا لا ثمرة له ولا يستسيغه الذوق .

ومن الثانى قول بشار وقد مر بنا :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول الرفاء وقد مر بنا أيضاً :

وكأن الهلال نون لجين غرقت فى صحيفة زرقاء

وقول أبى طالب وقد سبق:

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فلو فضضنا أجزاء الصور فى هذه التشبيهات فشبهنا النقع بالليل والسيوف بالكواكب والهلال بنون اللجين والنجوم بالدرر والسماء بالبساط الأزرق وبالصحيفة الزرقاء لصحت هذه التشبيهات من حيث تحقق وجه الشبه بين الأجزاء ..ولكن يضيع جمال التشبيه الذى أحدثه التركيب ويضيع غرض الشاعر الذى رمى إليه وقصده بهذه الصور المركبة .

٦ – تشبيه مفرد بمركب : كقول ابن المعتز يصف بالهلال :

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر[١]

شبه الهلال وقد امتلأ قوسه المضىء بظلام الليل بزورق من فضة قد أثقل بحمولة من عنبر.. فالمشبه مفرد والمشبه به مركب ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من وجود جسم مضىء متقوس يملأ فراغ تقوسه أشياء سوداء قاتمة .

وقول الخنساء تصف أخاها صخرا :

أغر أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار[٢]

فالمشبه مفرد وهو صخر والمشبه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من الجبل والنار المشتعلة فى قمته .. ومن ذلك تشبيه النيلوفر بدبابيس عسجد قطبها من زبرجد .. وتشبيه شقائق النعمان بأعلام ياقوت منشورة على رماح زبرجد .. فالمشبه مفرد والمشبه به مركب وقد مر بنا هذان التشبيهان .

٧ – تشبيه مركب بمفرد وهو قليل ومنه قول أبى تمام :

يا صاحبى تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر[٣]

---

(١) الضمير فى "إليه" يعود إلى الهلال.

(٢) العلم : الجبل .

(٣) تقصيا : اجتهدا فى النظر وابلغا أقصى نظريكما من تقصيته : بلغت أقصاه ، و النهار المشمس الذى لا غيم فيه ،وشابه: خالطه ، والربا : جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة .

يشبه الهيئة الحاصلة من الشمس الساطعة على الروابى المزهرة المخضرة وقد اختلطت الأشعة المشرقة بالخضرة القاتمة فانكسرت بهذا الاختلاط حدة الضوء حتى صار يضرب إلى السواد ..يشبه هذه الهيئة المركبة بليل مقمر ..فالمشبه به مفرد مقيد والمشبه مركب .

ثالثًا : أقسام التشبيه باعتبار وحدة الطرفين أو تعددهما :

ينقسم التشبيه باعتبار هذه الحال إلى خمسة أقسام :

الأول : أن يكون المشبه واحداً والمشبه به كذلك كقوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** ﴾[1] المشبه : أصحاب الفيل والمشبه به : العصف المأكول وكلاهما واحد فلا تعدد . وكذا قوله تعالى فى وصف هلاك ثمود قوم صالح – عليه السلام – : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ** ﴾[2] فقد شبه القوم بالهشيم وكلاهما واحد لا تعدد فيه .. وانظر إلى دقة التعبير القرآنى فى استخدام الألفاظ وإلى إيحاءات تلك الألفاظ فقد عبر عن هلاك ثمود بأنهم صاروا كالهشيم وهو الشجر اليابس وهذا يكفى فى إفادة هلاكهم ولكنه أضاف إلى المشبه به هذا القيد "المحتظر" أى : الذى يعمل الحظيرة لمواشيه من يابس الشجر فما سقط منها وداسته فهو الهشيم ولذا أفاد هذا القيد حقارتهم وازدراءهم فهم كالهشيم الذى تطؤه الدواب وتبول عليه وتروث ، ثم عبر عن هلاك أصحاب الفيل بأنهم جعلوا كالعصف وهو ورق الزرع وهذا كاف فى إفادة الهلاك ولكنه قيد العصف بهذا الوصف "مأكول" أى : أكلته الدواب وراثت عليه وبالت فهم قد صاروا إلى حال أخرى فى أجسادهم بخلاف الصورة الأولى التى تصور هلاك ثمود فثمود قد تهشموا وبقيت أوصاف أجسامهم كما هى ..التعبير القرآنى قد أبرز هلاك أصحاب الفيل فى صورة أشد وأفظع من هلاك ثمود ويرجع ذلك إلى الحال الذى اقتضى هلاك كل فثمود عقروا الناقة وأعرضوا عن آيات ربهم وأصحاب الفيل قد

---

(١) سورة الفيل الآية ٥ .

(٢) سورة القمر الآية ٣١ .

قصدوا الكعبة وأرادوا هدم البيت واقتلاع أسسه ، أرادوا إزالة أول بيت وضع للناس ولذا كان هلاكهم أشد .

ومن هذا القسم قولنا : خد كالورد ..فتاة كالبدر ..محمد كالأسد.. الأمير كحاتم فى الكرم .. فهذه التشبيهات لا تعدد فى طرفيها حيث شبه فى كل منها شيء واحد بشيء واحد .

الثانى: أن يشبه شيء واحد بشيئين أو بأكثر أو بمعنى آخر أن يتعدد المشبه به دون المشبه ويسميه البلاغيون تشبيه الجمع لأنه قد جمع للمشبه الواحد عدة أشياء جعل كل واحد منها مشبها به.. ومن ذلك قول عمران بن حطان :

أسد على وفى الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

فقد شبه مخاطبه بالأسد ثم بالنعامة فالمشبه واحد والمشبه به متعدد
وقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد أو برد أو أقاح[1]

يريد أنه يبسم عن ثغر كلؤلؤ منظوم وكحبات الثلج الخالص البياض وكزهر الأقحوان فى شدة بياضه ..فالمشبه واحد والمشبه به متعدد ، وقول امرئ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام   وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها   إذا غرد الطائر المستحر

التشبيه فى البيتين من التشبيهات المقلوبة وقد يكون ضمنيا كما مر بنا والمهم هنا أنه شبه برد أنياب حبيبته بالمدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر فى حسن المذاق والصفاء وطيب الرائحة ، فالمشبه واحد والمشبه به متعدد .

---

(١) المنضد : المنظم ، والبرد : حب الغمام ، والأقاح : جمع أقحوان وهو ورد له نور أوراقه فى شكلها أشبه شيء بالأسنان .

وقول الآخر يصف سيره ليلا متخلصا للهجاء .

قطعت دياجيه بنوم مشرد كعقل سليمان بن فهد ودينه

فالمشبه واحد وهو النوم المشرد والمشبه به متعدد وهو : عقل سليمان ودينه.

الثالث : أن يشبه شيئان أو أكثر بشيء واحد بمعنى أن يتعدد المشبه دون المشبه به ويسميه البلاغيون : تشبيه التسوية لأنه قد سوى بين عدة مشبهات فى مشبه به واحد .

كقول القائل :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم فى الحادثات إذا دجون نجوم

فالمشبه متعدد وهو الآراء والوجوه والسيوف والمشبه به واحد وهو النجوم.

وقول الآخر :

صُدْغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى[1]

فقد شبه هذا المحب صدغ حبيبه وحاله وقد تعثر فى حبه بالليالى بجامع السواد فالمشبه متعدد والمشبه به واحد ثم شبه فى البيت الثانى ثغر الحبيب ودموع المحب باللآلئ الصافية ووجه الشبه : الصفاء فالمشبه متعدد أيضا والمشبه به واحد .

الرابع : أن يتعدد كل من المشبه والمشبه به ويقرن كل مشبه بالمشبه به فى الذكر ويسمى بالمفروق لأنه قد فرق بين المشبهات والأمور المشبه بها ويسمى أيضا بغير الملفوف

---

(1) الصدغ : ما بين الأذن والعين ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضوع وهوالمراد هنا ، والثغر : الفم أو مقدم الأسنان والثانى هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه باللالىء يدل على كثرتها وغزارتها لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر.

لأن المشبهات قد فرق بينها فلم تلف وكذلك الأمور المشبه بها قد فرق بينها بالمشبهات فليست ملفوفة ، ومن ذلك قو المرقش الأكبر:

النشـر مسـك والوجـوه دنـا نـير وأطـراف الأكـف عنـم(1)

فقد تعددت التشبيهات فى البيت وقرن كل مشبه بالمشبه به .

وقول الآخر :

فـالأرض ياقوتـة والجـو لؤلـؤة والنبت فيروزج والمـاء بلّـورْ(2)

وقول أبى طالب :

بـدت قمـرا ومـالت خـوط بـان وفـاحت عنـبرا ورنـت غـزالا(3)

فالتشبيهات فى البيتين متعددة وقد قرن كل مشبه بالمشبه به .

الخامس : أن يتعدد كل من المشبه والمشبه به وتكون المشبهات مجتمعة فى طرف والأمور المشبه بها فى طرف آخر ويسمى الملفوف أو المقرون لأن المشبهات قد اقترنت ولفت فى طرف وكذلك الأمور المشبه بها . ومن ذلك قول امرئ القيس :

كـأن قلـب الطـير رطبـا ويابسـاً

لـدى وكرهـا العُنّـابُ والحشـف البـالى

فالمشبه فى البيت متعدد وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به كذلك وهو العناب المقابل للقلوب الرطبة والحشف البالى المقابل للقلوب اليابسة ، وقد اجتمعت المشبهات فى طرف والمشبهات بها وجدت فى الطرف الآخر.

---

(1) النشر : الرائحة الطيبة ؛ والعنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

(2) الفيروزج : ضرب من الأصباغ ، والبلور : حجر صاف .

(3) الخوط : الغصن الناعم، والبان : شجر معتدل القوام لين ، ورنت : نظرت.

وقول الآخر :

ليـــل وبـــدر وغصـــن شـــعر ووجـــه وقـــد

خمـــــــــــــر ودر وورد ريـــق وثغـــر وخـــد

فقد جمع فى البيت الأول ثلاثة تشبيهات وكذلك فى البيت الثانى ووحدت المشبهات فى طرف والأمور المشبه بها فى الطرف الآخر فهو من التشبيه المتعدد الملفوف .

الفرق بين التشبيه المتعدد والتشبيه المركب

إذا تأملنا ما مر بنا من شواهد للتشبيهات المركبة والتشبيهات المتعددة وجدنا أن هناك اختلافا بينهما مرجعه إلى أن التشبيهات المركبة تختلط فيها الأمور أو الصفات التى يتكون منها الطرف وتمتزج وتتحد بحيث تصير هيئة مركبة لا يتأتى فيها الفصل بين أجزائها أما التشبيهات المتعددة فلا اتحاد بينها ولا امتزاج بل كل تشبيه منها يمكن أن يستقل بنفسه.. ففى البيت :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العُنَّابُ والحشف البالى

يمكن أن يستقل تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب دون أن يؤثر هذا الاستقلال فى تشبيه القلوب اليابسة بالحشف البالى ، ولا يتأتى ذلك فى التشبيهات المركبة ، وكذلك التشبهات المتعددة يتأتى فيها التقديم والتأخير وتغيير موطن كل منها بنقله إلى مكان غيره دون أن يؤثر ذلك فى دلالة كل تشبيه .

ففى بيت المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

يتأتى أن نقول : الوجوه دنانير والنشر مسك وأطراف الأكف عنم ، وليس لهذا التغيير تأثير فى دلالة التشبيهات ، ولا يتأتى ذلك فى التشبيهات المركبة لأنها بنيت على الاتحاد والامتزاج كما قلنا.

وبهذا يتضح لنا أن التشبيهات المتعددة تختلف عن التشبيه المركب من ثلاثة وجوه :

أولها : أن التشبيهات المتعددة لا يجب فيها ترتيب بل يتأتى فيها التقديم والتأخير دون أن يؤثر ذلك فى دلالة التشبيه وهذا لا يتأتى فى التشبيه المركب لبنائه على الامتزاج والاتحاد .

الثانى : أن التشبيهات المتعددة يجوز حذف بعضها دون أن يؤثر هذا الحذف على ما تبقى من تشبيهات ولا يتأتى هذا فى التشبيه المركب .

الثالث : أن التشبيهات المتعددة يعطف بعضها على بعض عطف المستقل على المستقل . أما التشبيه المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر كأن يكون فى صلته أو صفته أو حالا منه أو معطوفا عليه بالفاء أو ثم فإذا توسطته الواو كانت للمعية أو للحال أو عاطفة متضمنة للمعية .

وهذا لا يعنى أن التشبيهات المتعددة ليس لها من قيمة فنية بل لها قيمتها الفنية ومزيتها التى ترجع إلى ما فيها من إيجاز فى التعبير وحسن التنسيق والجمع بين التشبيهات المتجانسة فى تعبير واحد. ولكنها لا تصل إلى مرتبة التشبيهات المركبة التى تبرز سعة الخيال وقوة التصوير وإحكام البناء .

مباحث وجه الشبه

وجه الشبه هو المعنى الذى يشترك فيه طرفا التشبيه تحقيقاً أو تخيلاً ، فمعنى اشتراك الطرفين فى الوجه تحقيقاً أن يكون وجوده فى كل منهما على جهة التحقيق مثل تشبيه الشعر بالليل والرجل الشجاع بالأسد ، فوجه الشبه وهو السواد فى التشبيه الأول والشجاعة فى الثانى موجود فى كل من المشبه والمشبه به على جهة التحقيق ، إلا أن وجود السواد فى الليل أقوى وأشهر من وجوده فى الشعر ، وكذا الشجاعة وجودهما فى الأسد أعرف وأقوى من وجودها فى الرجل الشجاع ، فالوجه محقق فى الطرفين موجود فى كل منهما وإنما يقع الفرق بين وصف كل منهما به من جهة الزيادة والنقصان والقوة والضعف ، فغالباً ما يكون وجه الشبه فى المشبه به أبرز وأعرف وأقوى ، وقد يتساويا فى اتصافهما به ، وقد يكون الوجه أقوى وأكمل فى المشبه وأبرز وأشهر فى المشبه به كما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

وأما وجه الشبه التخييلى فهو الذى يكون وجوده فى أحـد الطرفين على جهة الحقيقة وفى الآخر على جهة التخييل والتأويل .. كما فى قول القاضى التنوخى:

وكـأن النجـوم بـين دجاهـا ... سـنن لاح بينهـن ابتـداع[1]

فقد شبه انتشار النجوم فى السماء وقد تخللتها قطع من سواد الليل بالسنن الواضحة وقد اندست بينها البدع ، ووجه الشبة هو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة فى جوانب شيء مظلم وهو مركب حسى ، وهذا الوجه موجود على جهة التحقيق فى المشبه ، ولا يوجد فى المشبه به إلا عن طريق التخييل لأن السنن والبدع من المعقولات التى لا تتصف بصفة المحسوسات ، والتخييل الذى نقصده أن نتأمل أجزاء الصورة فى الطرفين حتى نصل إلى إمكان الجمع بينهما فى الوجه المذكور وذلك بأن نقول : هناك وجه شبه بين أجزاء الطرفين خلاف ما هو لون أى : خلاف الإشراق والسواد فالسنة تشبه بالنجم بجامع الاهتداء بكل منهما والبدعة تشبه بالليل بجامع الإضلال وهذا الوجه الآخر جعل جزأى الصورة قد تماثلا وتآخيا عند النفس ، ثم إن البدعة والكفر وكل ما هو جهل قد ذاع بين الناس واشتهر وصفه بالظلام والسواد وكذلك السنة والإيمان وكل ما هو علم قد اشتهر وصفه بالإشراق والبياض قال تعالى : ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : "أتيتكم بالحنيفية البيضاء" ، ويقال : شاهدت سواد الكفر فى جبين فلان ، ونور الإيمان يشرق فى وجه فلان .

فلما اشتهر ذلك وذاع وكثر توهمت النفس وتخيلت أن فى البدعة ما فى الليل من ظلام وسواد وأن فى السنة ما فى النجم من إشراق وبياض وصح لديها أن تشبه

---

(1) الدجى : الظلام مفرده : دجية وهى الظلمة ، ويجوز أن نجعل فى أحد الشطرين قلب ليتوافق الطرفان فى تحقيق الهيئة والمعنى بعد القلب وكأن الدجى بين النجوم أو سنن لا حت بين ابتداع .

(2) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

السنن اندست بينها البدع بالنجوم يتخللها الظلام بجامع الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة فى جوانب شيء مظلم أسود كما استقام لديها إذا أرادت المبالغة أن تقلب التشبيه فتشبه النجوم بين الدجى بالسنن بين البدع بادعاء أن الوجه المذكور أقوى فى السنن بين البدع منه فى النجوم بين الدجى . وبهذا التخييل صار ما ليس بمتلون وهو السنة والبدعة متلونا وصارت السنة بيضاء مشرقة والبدعة سوداء مظلمة.

ومن ذلك قول التنوخى أيضاً:

فانهض بنار إلى فحم كأنهما فى العين ظلم وإنصاف قد اجتمعا

فشبه الهيئة المكونة من صورة النار المشتعلة فى الفحم بالصورة المكونة من الظلم يصاحب الإنصاف فى مرأى العين بجامع الصورة الحاصلة من وجود شيء مشرق بجوار شيء مظلم .

وذلك بناء على ما اشتهر من وصف الظلم بالسواد فى مثل قوله عليه الصلاة والسلام : "الظلم ظلمات .." ووصف الإنصاف والعدل بالنور والإشراق فى نحو قولهم :عدل واضح كنور الصبح ، فوجه الشبه موجود فى المشبه به على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون متلونا .

ولنا أن نجعل وجه الشبه فى البيتين تحقيقيا وهو زيادة حسن الشيء لمجاورة ضده ويكون هدف الشاعر أن يبرز الدلالة على زيادة حسن السنة فى أعين الناس بمجاورتها البدعة القبيحة ، وعلى زيادة حسن الإنصاف بمجاورته الظلم ثم قلب التشبيه فشبه المحسوس بالمعقول مبالغة وادعاء فالتشبيه قد خرج عن الأصل من هذه الجهة لأن الأصل أن يشبه المعقول بالمحسوس كما فى قول البحترى :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيب

وحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيهب[1]

---

(1) أصفار : جمع صفر والمعنى : خالية ، ودرارى : جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضيء كالدر ، والداجى : المظلم ، والغيهب : شديد السواد .

فقد شبه المعقول وهو الهيئة الحاصلة من وجود خلائق لها مجد بجوار خلائق خالية منه بالمحسوس وهو الهيئة الحاصلة من وجود دراری الكواكب فی ليل غيهب بجامع زيادة حسن الشیء بمجاورة ضده.

ومن التشبيه التخييلی قول أبی طالب الرقی :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه　　　يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فقد شبه الظلام بيوم النوى وبفؤاد من لم يعشق بجامع السواد فی كل فالوجه موجود فی المشبه على طريق التحقيق وفی المشبه بهما على طريق التخييل بناء على ما ذاع واشتهر من قولهم : اسود النهار فی عينيه وأظلمت الدنيا أمامه وقلبه أسود كالليل. فقد اشتهر وصف يوم الفراق بالسواد ووصف الذين لم يعشقوا بقسوة القلوب ووصف القلب القاسی بالسواد ولذا صح التشبيه واستقام على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون وهو يوم النوى وفؤاد من لم يعشق متلونا مسودا ثم أكد الشاعر هذا التخييل بجعل السواد فی كليهما أشد وأقوى منه فی ظلام الليل وذلك بقلب التشبيه وجعل الظلام الذی سواده محسوس محقق مشبهاً ويوم النوى وفؤاد من لم يعشق اللذين سوادهما متخيل مشبه بهما .

ومن ذلك قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها　　　وقد كحل الليل السماك فأبصرا

شبه الأرض بأخلاق الكرام بجامع السعة والانبساط فوجه الشبه موجود فی المشبه على طريق التحقيق وفی المشبه به على طريق التخييل وجعل ما ليس متصفًا بالسعة متصفاً بها بناء على ما اشتهر من وصفهم الخلق الكريم بالسعة فی قولهم : فلان رحب الأخلاق واسع الحلم فسيح المعرفة . ثم بالغ الشاعر فی تخيله فقلب التشبيه مدعيا أن أخلاق الكرام أحق بوصف السعة والانبساط من الأرض المبسوطة الممتدة .

ومنه قول الصاحب بن عباد مخاطباً أحد القضاة وقد أهدى الصاحب إليــه عطـرا وأرفقه بهذين البيتين :

يأيهـا القــاضي الــذى نفســى لــه   مــع قــرب عهــد لقائــه مشــتاقة

أهديـت عطـراً مثـل طيــب ثنائــه   فكأنمــا أهــــدى لــــه أخلاقــــه

فقد شبه العطر بالثناء وبالأخلاق بجامع استطابة النفس فى كل وذلك على طريق التخييل وجعل ما ليس بمشموم وهو الثناء والأخلاق مشموما وذا رائحة طيبة زكية ثم بالغ فى التخييل والتوهم فجعل رائحتهم أطيب من رائحة العطر وذلك بقلب التشبيه ليؤكد تخيله .

وقول ابن طباطبا :

كأن انتضاء البدر مـن تحت غيمـه   نجاء مـن البأسـاء بعـد وقـوع[1]

يشبه خروج البدر المنير من تحت السحاب المعتم بخلوص الإنسان من الشدة بعد الوقوع فيها ووجه الشبه هو الانكشاف وزوال الظلام عن الشىء المشرق حتى يبرز ويتضح وهذا الوجه محقق فى المشبه ومتخيل فى المشبه به بناء على ما شاع بين الناس من تشبيه الشدائد والمكاره بظلام الليل لمكابدة الإنسان منها ما يكابد السارى فى الظلام ، ومن تشبيه التخلص منها بالخروج من ظلام الليل إلى ضوء النهار ، ولذا استقام التشبيه فى البيت على طريق التخييل وجعل ما ليس بمتلون متلونًا ثم بالغ الشاعر فى تخيله فجعل ما فى الشدائد من سواد وما فى الخلاص منها من بياض أشد وأقوى من ضياء البدر وظلام السحاب وذلك بقلب التشبيه وتصوير المحسوس بالمعقول .

وبهذا يتضح لنا أن وجه الشبه لا بد أن يكون مشتركا بين الطرفين موجوداً وملاحظًا فى كل منهما إما عند طريق التحقيق وإما عن طريق التخييل والتأول ، فإذا

---

(1) الانتضاء : الانكشاف ، نجاء : خلاص ، البأساء : الشدة .

لم يكن موجودا وملاحظا فى كلا الطرفين كان التشبيه فاسداً ومعيباً : فإن جعلنا وجه الشبه فى قولنا : النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ؛ أن كثرة الاستعمال مفسدة وقلتها مصلحة فسد التشبيه لأن الوجه عندئذ يكون محققاً فى المشبه به ولا يتأتى تحقيقه فى المشبه إذا النحو لا يحتمل القلة والكثرة فالمراد رعاية قواعده واستعمال أحكامه من رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المجرور فإن تحققت هذه الأحكام صلح الكلام وإلا فسد أما استعمال الملح فى الطعام فكثيره مفسد وقليله مصلح ولذا كان الوجه الجامع الموجود فى كلا الطرفين أن الاستعمال مصلح والإهمال مفسد بغض النظر عن القلة والكثرة وبناء على ذلك عيب التشبيه فى قوله ابن شرف :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم ... فكأننى سبابة المتندم

لأن وجه الشبه وهو معاقبة البرىء وترك الجانى محقق فى المشبه دون المشبه به إذا السبابة جزء من المتندم فعندما يعض عليها عند ندمه تقع العقوبة عليه لأن سبابته جزء منه وعندئذ لا يكون المعاقب غير الجانى ، والصواب فى مثل هذا التشبيه قول النابغة يعتذر للنعمان بن المنذر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع

لكلفتنى ذنب امرئ وتركته ... كذى العر يكون غيره وهو راتع[1]

فقد شبه نفسه وقد أخذه النعمان بذنب لم يفعله وترك معاقبة الجانى بحال البعير الأجرب إذا أريد شفاؤه يقوم صاحبه بكى بعير سليم خال من الجرب كى يشفى البعير المصاب الأجرب وذلك بناء على قاعدة سائدة بين العرب فى الجاهلية .

---

(1) الريبة : الشك ، والإمة : الدين أو النعمة أسديت إليه ، والعر : الجرب ، وراتع : اسم فاعل من رتع بالمكان إذا أقام فيه وأكل وشرب .

فوجه الشبه وهو معاقبة البرىء وترك الجانى موجود فى كل من المشبه والمشبه به على وجه التحقيق ولـذا كـان تعبـير النابغـة جيـدا وتشـبيهه صوابـا محققـا ، وكـان تعبـير ابن شرف القيروانى رديئا وتشبيهه معيبا فاسدًا .

أحوال وجه الشبه

أحوال وجه الشبه التى تعرض له أو صفاته التى يتصف بها والتى هى محط أنظـار البلاغيين تنحصر فيما يلى :

١ – ما يتصف به وجه الشبه من حسية أو عقلية فالحسية كالنعومة فى تشبيه الجسـم بالحرير والإشراق فى تشبيه الوجه بالبدر والرائحة فى تشبيه الرائحة الطيبـة بالمسـك أو بالعنـبر إلى غير ذلك من الصفات الحسية التـى يدركهـا المرء بحاسـة مـن الحـواس الخمـس الظـاهرة . والعقلية كالشجاعة فى تشبيه الرجل بالأسد والكرم فى تشبيه رجل بحاتم والذكـاء فـى تشـبيه الذكى بإياس والحلم فى تشبيه الرجل الحليم بـأحنف وعـدم القـدرة علـى الحركـة فـى تشـبيه المرض الشديد بالموت إلى غير ذلك من الصفات المدركة بالعقل أو الوجدان .

٢ – ما يتصف به وجه الشبه من إفراد أو تركيب أو تعدد . فالوجه المفرد يكون شيئا واحدًا لا تركيب فيه ولا تعدد كالحمرة فى تشبيه الخـد بـالورد والجـرأة فـى تشـبيه الرجل الجرىء بالأسـد ، والوجـه المركـب مـا تـألف مـن عـدة أمـور امـتزجت واتحـدت وكونت هيئة واحدة وذلك كالهيئة المكونة من سقوط أجرام بيض مسـتطيلة فـى جوانـب شئ مظلم إذا شبهنا السيوف تتحرك وسط الغبار فى المعركة بليل تهـاوى كواكبـه فهـذا الوجه مركب حسى ، وكالهيئة العقلية المكونة من حرمان الانتفاع بـأبلغ نـافع مـع تحمـل التعب فى استصحابه كما فى قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَـمْ يَحْمِلُوهَـا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[1] .

---

[1] سورة الجمعة الآية ٥ .

والوجه المتعدد : ما كان مكونا من شيئين أو عدة أشياء كل واحد منهـا مستقل بنفسه صالح لأن يكون وجه شبه على حدة ، كالسـعة والامتـداد والطـول والعذوبـة فـى تشبيه نهـر بـآخر ، وكقـوة الإيمـان ومحبـه الرسـول ﷺ والتفـانى فـى نصرتـه إذا شـبهنا المهاجرين بالأنصار .

ويلاحظ فى الوجه المفرد والمركب والمتعدد أنه قد يكون حسياً وقد يكون عقليـاً كما هو واضح فى الأمثلة .

٣ – ما يكون عليه وجه الشبه من ذكر كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1] فوجه الشبه وهو القسوة فى تشبيه القلوب بالحجارة مذكور فى النظم الكريم ، ومن ذلك قولنا : وجهـه كـالبدر ضيـاء ، أو حـذف كقوله تعـالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[2] فوجـه الشـبه وهـو الإحاطـة والاشتمال أو الصيانة والستر محذوف فى النظم الكريم . ومن ذلـك قولنـا : هـذا الرجـل كالأسد ، فالوجه محذوف تقديره : شجاعة .

٤ – ما يكون عليه وجـه الشـبه مـن ظهـور ووضـوح أو دقـة تحـوج إلى التـأمل والتفكير فمن الأول : تشبيه الوجه بالبدر فى الإشراق والشعر بـالليل فـى السـواد والخـد بالورد فى الحمرة والرجل بالأسد فى الجرأة وغير ذلك من التشبيهات القريبـة الواضحـة . ومن الثانى تشبيه المـرآة فـى كـف الأشـل بالشـمس فـى الاسـتدارة والإشـراق والحركـة المضطربة وتشبيه البرق بمصحف القارئ فى حركتى الانفتاح والانطباق حيـث ينشـأ عـن الأولى ظهور وبروز وعن الثانية اختفاء وزوال إلى غير ذلك مـن التشـبيهات التـى يكـون الوجه فيها دقيقا بعيدا يحتاج فى الوقوف عليه وتجليته إلى كثير من التفكير والتأمل .

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

وقد نظر البلاغيون إلى هذه الصفات التى يتصف بها وجه الشبه والحال التى يوجد عليها وقسموا التشبيه بالنظر إلى كل حال منها إلى أقسام سنقف عليها إن شاء الله فيما يلى وسنقرن كل قسم من تلك الأقسام بالشواهد المحللة الموضحة وذلك حتى تتضح القاعدة من خلال الشاهد والله المستعان .

أقسام وجه الشبه

ينقسم وجه الشبه باعتبار حسيته وعقليته وإفراده وتركيبه وتعدده إلى سبعة أقسام :

أولها : أن يكون وجه الشبه واحدًا حسيًا كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ﴾[1] شبهت السفن الجارية فى البحر بالجبال ووجه الشبه : الضخامة .. فوجه الشبه واحد حسى . وكذلك طرفا التشبيه حسيان مفردان .

ومن ذلك الحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، والإشراق فى تشبيه الوجه بالبدر ولين الملمس فى تشبيه البشرة بالحرير ولذة الطعم فى تشبيه الريق بالخمر وطيب الرائحة فى تشبيه النكهة بالعنبر .. فوجه الشبه فى هذه الأمثلة - كما نرى - مفرد حسى .. وكذلك طرفا التشبيه .

مما ينتزع وجه الشبه الواحد الحسى ؟ :

ووجه الشبه المفرد الحسى لا ينتزع إلا من طرفين مفردين . كما فى الأمثلة المشار إليها ، وذلك لأن تركيب الطرفين يستدعى تركيب وجه الشبه .. فيتحتم أن يكون طرفاه مفردين ، وكذلك الغالب[2] فى هذا الوجه أن يكون طرفاه حسيين ، كما فى الأمثلة ولا ينتزع من طرف عقلى إلا بتأويل وتخييل كما فى قول ابن بابك :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٤ .

(٢) أوجب بعض البلاغيين انتزاع هذا الوجه من طرفين حسيين ضرورة امتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شىء ، انظر الإيضاح حـ٣ ص ٢٣ . وقد أوضحنا أن هذا الإدراك جائز عن طريق التخييل والتأويل .

فالمشبه فى البيت مفـرد حسى وهـو الأرض .. والمشبه بـه : مفـرد عقلى وهـو أخـلاق الكرام . وقد جمع بينهما الشاعر فى وجه شبه حسى وهو : السعة أو الامتداد والانبسـاط ولكن هذا لوجه موجود فى المشبه الحسـى علـى جهـة التحقيـق وموجـود فـى المشـبه بـه العقلى على طريق التخييل والتأويل كما مر بنا .. وبهذا يتضح لك أن وجه الشـبه المفـرد الحسى ينتزع فى الغالب من طرفين حسيين وقد ينتزع من طرف عقلى على جهة التـأويل والتخييل . ويتحتم أن يكون انتزاعه من طرفين مفردين .

القسم الثانى : أن يكون وجه الشـبه واحـدًا عقليًـا ... وينـتزع هـذا الوجـه مـن طرفين حسيين مفردين . كما فى قول النبى – ﷺ – : "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتـم اهتديتم" . فقد انتزع وجه الشبه وهو مطلق الاهتداء من طرفـين مفرديـن حسـيين وهمـا الصحابة – رضي الله عنهم – والنجوم ، ومن ذلك انتزاع الشجاعة من الرجل الشجاع والأسد فـى قولنا : هذا الرجل كالأسد . والوجه فى المثالين وهو : الاهتداء والشجاعة واحد عقلـى . كما ينتزع من طرفين مفردين عقليين نحو قولنا : العلم كالحيـاة فوجـه الشـبه وهـو جهـة الإدراك مفرد عقلى وقد انتزع من طرفين مفردين عقليين . وكذا قولنا الجهل كالموت فى فقدان الإدراك ففقدان الإدراك مفرد عقلى وقد انتزع من مفردين عقليـين ، وينـتزع هـذا الوجه أيضا من طرفين مفردين مختلفين كانتزاع الاغتيال مـن المنيـة والسـبع عنـد تشـبيهنا المنية بالأسد فالمشبه وهو المنية عقلى والمشبه به : الأسـد حسـى وقـد انـتزع منهمـا وجـه الشبه المفرد العقلى وهو الاغتيال . وكذا تشبيه العدل بالقسطاس فى تحصيل ما بين الزيادة والنقصان ، فالمشبه مفرد عقلى "العدل" والمشبه به مفرد حسى "القسطاس" . وقـد انـتزع منهما وجه الشبه المذكور وهو واحد عقلى .. وكانتزاع استطابة النفس من تشبيه العطـر بالثناء وبالخلق الكريم فى قول الصاحب :

أهديت عطرًا مثـل طيـب ثنائـه ... فكأنمـا أهـدى لـه أخلاقـه

فالمشبه مفرد حسى وهو العطر والمشبه به مفرد عقلى وهو الثناء بالأخلاق الكريمة . وقد انتزع منها الوجه المفرد العقلى وهو استطابة النفس .. وبهذا يتبين لنا أن التشبيه بالوجه المفرد العقلى لا ينتزع إلا من الأطراف المفردة للسبب المذكور فى الوجه الواحد الحسى ، وهو لا ينتزع من الأطراف الحسية وحدها ولا من الأطراف العقلية وحدها بل يعمها جميعًا . ولذا يقال إن التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى لأن الوجه الحسى - كما بينا - ينتزع من الأطراف الحسية غالبا ولا ينتزع من الطرف العقلى إلا بتخييل وتأول .

القسم الثالث : أن يكون وجه الشبه مركبا حسيا ، والغالب فى هذا الوجه أن ينتزع من طرفين حسيين ولا يمكن انتزاعه من الأطراف العقلية إلا بتخييل وتأول - كما مر فى وجه الشبه الواحد الحسى - ومن ذلك قول التنوخى :

وكأن النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهن ابتداع

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة فى جوانب شىء مظلم . مركب حسى وقد وجد فى المشبه على وجه التحقيق وفى المشبه به عن طريق التخييل والتأول .

ويتأتى انتزاع هذا الوجه من طرفين مفردين . كما فى قول ذى الرمة :

وسقط كعين الديك عاورت صاحبى

أباها وهيأنا لموقعها وكرا[1]

---

(1) السقط : النار الساقطة من الزند وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وعاورت : ناوبت وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين يوضع أحدهما أسفل ويسمى أنثى فيفرض فيه فرضًا ويجر فيه عود آخر يسمى أبا فإذا طال الزمن و لم تخرج النار تناوبوه حتى تخرج ... والوكر : ما تودع فيه النار بعد خروجها .

فوجه الشبه وهو الهيئة المؤلفة من اجتماع الحمرة والشكل الكروى وصغر الحجم مركب حسى وقد انتزع من طرفين مفردين هما : السقط "وهو ذاك الشرر المنبعث من الزند" وعين الديك . ولا تنافى بين إفراد الطرفين وبين تركيب وجه الشبه لأننا نستطيع أن نلاحظ فى الطرفين المفردين عدة أوصاف مشتركة بينهما ومجتمعة على هيئة معينة بحيث تحقق وجه الشبه المركب .

ومن ذلك قول أبى قيس بن الأصلت :

وقد لاح فى الصبح الثريا – كما ترى –

كعنقود ملاحية حين نورا[1]

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تجمع أجسام بيض مستديرة صغيرة الحجم – فى مرأى العين وإن كانت كبيرة فى الواقع – مجتمعة على كيفية مخصوصة وهى أنها ليست تامة الالتصاق ولا تامة الافتراق هذا الوجه مركب حسى وقد انتزع من طرفين مفردين مقيدين وهما : نجم الثريا مقيدا بكونه قد لاح فى الصباح وعنقود العنب مقيدًا بكونه عنقود ملاحية فى حال إخراج النور والتقيد لا ينافى الإفراد كما مر بنا .

ومن طرفين مركبين كما فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

---

(١) الملاحية : عنب أبيض فى حبه طول .. ونور أى : تفتح نوره وأدرك نضجه والكاف فى قوله : "كما ترى" بمعنى على أى : على نحو ما ترى أما كاف التشبيه فهى التى فى قوله : كعنقود ملاحية ...

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تهاوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقـدار متحركة فى جوانب شئ مظلم مركب حسى وقد انـتزع مـن طرفـين مركبـين حسـيين ، ومنه قول أبى طالب:

وكـأن أجــرام النجــوم لوامعــا درر نــثرن علــى بســـاط أزرق

فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من تفرق أجسام متلألئة صغيرة المقـدار مستديرة الشكل على سطح جسم أزرق اللون صافى الزرقة ، مركب حسى وقد انتزع من طرفـين مركبين حسيين .

ومن طرفين مختلفين فى الإفراد والتركيب كتشـبيه محمـر الشـقيق بـأعلام يـاقوت نشرن على رماح من زبرجد .. فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من احتماع أشـياء حمـراء متحركة منصوبة على قائم أخضر ، مركب حسى وقد انتزع مـن طرفـين مختلفـين المشـبه مفرد وهو محمر الشقيق والمشبه به من المركبـات الخياليـة وهـو الهيئـة المكونـة مـن أعـلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد ، ومنه تشبيه النيلوفـر بدبـابيس عسـجد قطبهـا مـن زبرجد فالوجه وهو الهيئة الحاصلة من احتماع شئ أحمر كروى منصوب على قائم أخضر مركب حسى وقد انتزع من مشبه مفرد ومشبه به مركب خيالى .

ومن ذلك تشبيه ضوء النهار المشـمس خـالط نبـات الأرض فقلـت حـدة ضوئـه بالليل المقمر فوجه الشبه وهو الهيئة الحاصلـة مـن احتمـاع أشـعة ضوئيـة منـيرة اختلطـت بأجسام خضراء وحمراء فانكسرت حدة ضوئها ...مركب حسى انتزع من مشبه مركب ومشبه به مفرد مقيد ... وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

<u>بديع المركب الحسى :</u>

تتفاوت التشبيهات التى يكون وجه الشبه فيها مركبا حسيا ، فى الحسن فبعضها يكون حسنا وبعضها أحسن وبعضها يبلغ حدا كبيرا فى الحسن والجمال ... ويرجع هـذا التفاوت إلى مقدرة الأديب ونظرته الثاقبة فى الهيئات والحركات التـى يتكـون منهـا وجـه

الشبه وإلى مقدار ما يبذله من جهد فكرى فى استقصاء صفات الطرفين واستخلاص ما يلائم منها لعقد المشابهة ومراعاة الملاءمة التامة بين اللون واللون والشكل والشكل والحجم والحجم والحركة والحركة .. فمن يستطيع أن يبرز فى وجه الشبه صفات عدة تجمع بين اللون والشكل والمقدار والحجم أو يضيف إلى الشكل واللون حركة معينة أو ينوع فى الحركة تنويعا يضفى عليها جمالا وروعة ... من يستطيع أن يصنع ذلك من الأدباء يكون تشبيهه أبدع وأحسن ونظرته أقوى وأثقب من الآخر الذى لا يستطيع أن يلمح من صفات الطرفين إلا اللون والشكل ولا يقدر على أن ينوع ويبدع ويبرز ما فى الطرفين من هيئات وحركات متعددة ومتلائمة ..

وسنعرض فيما يلى نماذج متعددة لما أبدع فيه الشعراء من هذه التشبيهات .

أولا : ما كان وجه الشبه فيه مكونا من هيئة الحركة الموجودة فى الطرفين متضمنا إليها بعض الصفات الأخرى المشتركة بينهما كاللون والشكل والمقدار فمن ذلك قول ابن المعتز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل   لما بدت طالعة فوق الجبل

جمع الشاعر فى وجه الشبه بين الحركة السريعة وما ينشأ عنها من تموج الضوء واضطرابه وبين الإشراق والاستدارة وذلك أنه نظر إلى الشمس عند طلوعها وإلى المرآة فى يد الأشل فرأى فيها إشراقا وأستدارة وحركة سريعة متصلة تترآى لعين الناظر إلى كل منهما وهذه الحركة قد أحدثت تموجا فى الضوء واضطرابا فبينما تراه منبسطا على سطح كل منهما ويكاد يفيض من جوانبهما إذا به ينقبض ويتجمع فى وسطهما .. فالشاعر قد استطاع أن يلائم ملاءمة تامة بين ما فى الطرفين من لون وشكل وحركة مضطربه متموجة وأن يركب من ذلك وجه الشبه فهو الهيئة الحاصلة من الإشراق والاستدارة والحركة السريعة وما ينشأ عنها من تموج الضوء واضطرابه ..ولو اقتصرنا فى بناء وجه الشبه على الإشراق والاستدارة وقدرنا تجرده من هذه الحركة ما بلغ من الدقة والحسن هذا المبلغ .

ومن ذلك قول المهلبى الوزير يصف الشمس أيضا عند طلوعها :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذاهب[1]

فقد جمع الشاعر أيضا فى وجه الشبه بين اللون والاستدارة والحركة وما تحدثه فى اللون من تموج واضطراب فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها فى الاستدارة وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما فى خواصه من النعومة ثم يعود فيهبط إلى داخل البوتقة لما بين أجزائه من شدة التلاحم والاتصال فهو لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ولذلك يتجمع لمعان الذهب فى مركز دائرته ، كما تجمع الضوء فى مركز المرآة المستديرة فى تشبيه ابن المعتز . ولولا مراعاة هذه الحركة فى تركيب وجه الشبه لما بدا التشبيه بهذه الصورة الرائعة ... وقول الصَّنَوْبَرِيّ يصف غديرا فى حديقة :

كأن فى غدرانها حواجبا ظلت تمط[2]

فقد جمع فى وجه الشبه بين الحركة المتصلة وبين الشكل المتقوس الذى تحوله تلك الحركة إلى حالة قريبةمن الاستواء وذلك أنه نظر إلى ماء الغدير وقد حركته الريح فأحدثت فيه أشكالا تبدو كأنصاف الدوائر ثم تتباعد أطرافها ويقل انحناؤها حتى تقارب الاستواء ، والتمس الشاعر لهذا شبها فوجده فى حواجب العين إذا ما حركها أصحابها ومطوها شيئا فشيئا حتى ينمحى تقوسها ولذا أضاف إلى الحواجب ما يحقق هذه الحركة وهو قوله : ظلت تمط حتى يتم الشبه وبهذا الصنيع أخرج التشبيه عن دائرة الابتذال وأدخله فى دائرة الغريب البديع وصار.وجه الشبه مركبا من الأشكال المتقوسة والحركة

---

(١) البوتقة : وعاء صغير يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة .

(٢) الغدران : الأنهار جمع غدير ، وتمط ، تمد .

المتوالية فهو الهيئة الحاصلة من توالى أقواس متحركة بحركة متصلة تقلل من انحنائها حتى تقترب من الاستواء..فلولا مراعاة هذه الحركة فى بناء وجه الشبه لكان التشبيه قريبا مبتذلا ولما بدا بتلك الروعة وبهذه الصورة البديعة .

ثانيا : ما كان وجه الشبه مكونا فيه من هيئة الحركات الموجودة فى الطرفين دون نظر إلى ما عداها من سائر الصفات ، من ذلك قول ابن المعتز فى وصف البرق :

وكأن البرق مصحف قار[1] فانطباقا مرة وانفتاحا

فقد شبه حركة البرق عندما ينشق عنه السحاب فيظهر ثم يختفى بحركة المصحف يوالى صاحبه فتحه وإغلاقه ..فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من توالى حركتين فى اتجاهين مختلفين ينشأ عن إحداهما ظهور وانفتاح وعن الأخرى خفاء وانطباق ... ولم يعتد الشاعر بما فى الطرفين من صفات أخرى كلون البرق حين ينشق عنه السحاب ولون المصحف حين يفتحه القارئ لأن شيئا من ذلك لا يتعلق به غرضه الذى هو وصف البرق بتتابع الحركة وتواليها دون قصد إلى ما يصاحب هذه الحركة من بريق ولمعان ...

وقول الأعشى يصف السفينة فى البحر تتقاذفها الأمواج :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع[2]

شبه حركة السفينة فى البحر والموج يعلو بها ويسفل ويميلها من جانب إلى جانب فى حركة سريعة مضطربة بحيث لا تكاد تلمحها صاعدة حتى تراها نازلة ولا تراها فى اتجاه حتى تراهافى اتجاه غيره ، بحركة الفصيل استهواه الماء المتجمع من بقايا المطر فأخذ يثب فيه وينزو محدثا حركات متفاوتة مضطربة وإلى جهات مختلفة علىغير نظام ولا ترتيب ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع حركات سريعة مضطربة وإلى جهات مختلفة على

---

(١) قار : مخفف قارئ قلبت همزته ياء ثم أعل إعلال قاض .

(٢) تقص : تثب ، والسفين اسم جنس واحده سفينة ، والكرع ، ماء السماء ، والرباح : الفصيل .

غير نظام ، و لم ينظر الأعشى فى تشبيهه إلى شيء من صفات الطرفين سوى هذه الحركات .

وقول أحمد بن سليمان بن وهب يصف روضة :

حفت بسرو كالقيان تلحفت　　　خضر الحرير على قوام معتدل

فكأنها والريح جاء يميلها　　　تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل[1]

شبه فى البيت الأول شجر السروفى اعتداله وطول قامته وخضرة أوراقه بالجوارى الحسان ذوات القوام المعتدل وقد تلحفن بالحرير الأخضر ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وجود أجسام متنصبة معتدلة القامة تحيط بها أشياء ذات لون أخضر وهذا خارج عما نحن فيه لأن الهيئة المركبة خالية من الحركة.

أما فى البيت الثانى فقد شبه حركة شجر السرو والريح يميل فروعها بعضها إلى بعض ثم ترتد إلى أصل وضعها بحركة عاشقين تقدما فى حذر يبغيان المعانقة ثم يفاجآن بأعين الرقباء فيرتدان إلى حيث كانا فى سرعة الخائفين المنزعجين . ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تحرك جسمين حركتين متغايرتين إلى جهتين مختلفتين تحدث إحداهما تقارب الجسمين وتحدث الأخرى سرعة افتراقهما. وهى هيئة منتزعة من الحركة مجردة عن كل وصف آخر من صفات الطرفين. وقد لاحظ الشاعر أن الحركة الثانية فى المشبه أسرع من الحركة الأولى لأن حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها بتأثير الرياح، فحقق ذلك فى المشبه به بقوله ثم يمنعها الخجل لأن الحركة المسببة عن الخجل أسرع من الأخرى إذ إزعاج الخوف أقوى أبدا من إزعاج الرجاء .ومما يلاحظ أيضاً أن الشاعر لم يصرح بالمشبه به فلم يقل كأن

---

[1] القيان : الجوارى جمع قينة وهى الجارية وهن يشبهن بالسوفى اعتدال القد وقد يشبه السرو بهن فى ذلك فيكون من التشبيه المقلوب وتلحفت: اتخذت لحافا ، والخجل: الحياء .

شجر السرو عاشق يبغى التعانق بل طواه طيا فى نظم الكلام حتى خيل إلينا أن الشجر نفسه هو الذى أراد أن يتعانق ثم رده الخجل . وهذا كله مما زاد التشبيه حسنا وإبداعاً وأضفى عليه رونقاً وبهاء .

وقول امرىء القيس يصف جواده :

مكـــر مفـــر مقبـــل مدبـــر معـــاً

كجلمـود صخـر حطــه السـيل مــن عــل[1]

شبه الجواد فى حركته السريعة ولين قياده وسرعة انحرافه حيث يرى فى لحظة واحدة يكر ويفر ويقبل ويدبر فبينما نرى كفله إذا بنا فى نفس الوقت نرى صدره فجانبيه ، شبهه بجلمود الصخر دفع به السيل من أعلى الجبل فوقع الجلمود تحت تأثير قوتين قوة الجاذبية الأرضية وقوة دفع السيل له ولذا فهو يتحرك حركات سريعة متواصلة بحيث نرى جوانبه كلها بنظرة واحدة وفى آن واحد .. ووجه الشبه هو حركه الشىء إلى جهات متعددة فى سرعة فائقة تكاد ترينا جوانبه كلها فى وقت واحد بنظرة واحدة .

ثالثاً : ما كان وجه الشبه فيه مأخوذا من هيئة السكون الحاصلة فى الطرفين أو مكونا من اجتماع الألوان المجردة عن الحركة فيهما .

من ذلك قول المتنبى يصف إقعاء كلب الصيد:

يقعى جلـوس البـدوى المصطلـى ــــ بـــأربع مجدولـــة لم تجـــدل[2]

شبه هيئة الكلب فى إقعاته بهيئة البدوى المستدفىء بالنار فإنه يجلس على إليتيه رافعاً ركبتيه مادا يديه إلى المدفأة ..ووجه الشبه هو الهيئة المركبة الحاصلة من وقوع

---

(١) المكر : سريع الكر ، والمفر : سريع الفر والجلمود : الحجر الصلد ، ومن عل : من فوق .

(٢) يقعى : يجلس على إليتيه ورجليه ناصبا ذراعيه .. والمصطلى : المستدفئ المجدولة : المحكمة الخلق ..ولم تجدل : لم تجمع فهى مفرقة فى أوضاعها الخاصة ومواقعها المبينة.

الأعضاء المختلفة فى مواقعها الخاصة .. وهذا الوجه منتزع من عدة أوضاع فى الطرفين ساكنة لا حركة فيها .

ومن ذلك تصوير الشعراء هيئة المصلوب ووقوع كل عضو من أعضائه فى موقع خاص وقد خيم السكون عليها فامتدت هذه الهيئة وطالت بلا حركة تغير من صورتها . وقد اختلفت الصور التى أبرز الشعراء فيها هذه الهيئة .. فمنها قول الأخيطل الأهوازى :

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسل[1]

شبه المصلوب فى البيت الأول وهو قائم فى الجذع وقد مالت عنقه إلى جانب كتفه وفى وجهه صفرة الموت بعاشق تجمدت حواسه فى موقف الوداع وقد مالت عنقه وفى وجهه صفرة العشق ..ووجه الشبه هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المنتصبة ، والأذرع الممتدة والأعناق المائلة والوجوه المصفرة وقد طالت هذه الهيئة بلا حركة تغير من أوضاعها ..وفى البيت الثانى شبهه بقائم من نعاس لم ينشط بعد من لوثة النوم واسترخاء العضلات فأخذ يتمطى مادا ذراعيه إلى جانبيه وعنقه إلى جهة صدره ، وقد واصل تمطيه من شدة كسله فاستمرت هذه الهيئة ، فوجه الشبه هو هيئة السكون الحاصلة من القامة المنتصبة والأعناق المائلة والأذرع الممتدة مدا متواصلا.

ومنها قول دعبل الخزاعى :

لم أر صفا مثل صف الزط ... تسعين منهم صلبوا فى خط

من كل عال جذعه بالشط ... كأنه فى جذعه المشتط

---

(1) الصفحه : باطن الكف ، واللوثة : استرخاء العضلات ، والنعاس النوم .

أخـو نعـاس جـد فـى التمطـــى قـــد خـــامر النــوم ولم يغـــط[1]

فقد شبه هيئة المصلوب بهيئة المتمطى حين خامره النوم ثم بالغ فى تمطيه فوصفـه بالجد ليدل على طول بقائه على هذه الهيئة الساكنة .

ومنها قول ابن الرومى :

كـأن لـه فــى الجــو حبــلا يبوعــه إذا ما انقضى حبل أتيح له حبــل[2]

شبه المصلوب بصورة من يقيس الحبـال بذراعيـه فهـو يمدهمـا إلى جـانبى كتفيـه ما دام يبوع أى : يقيس بالباع وقد حقق الشاعر فى المشبه به هيئـة السـكون الدائم التـى رآها فى المشبه ، وذلك بقوله : إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل فالذى يبوع لا يحرك يديـه ليمرر الحبل بينهما بل الحبل يتاح ويمر بين يديه فاليدان فى حالـة مـد دائم بـلا حركـة .. ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من القامة المنتصبة والأذرع الممتدة مدا متواصلا .

موازنة بين هذه التشبيهات :

بتأمل هذه التشبيهات نجد اختلافا دقيقا بين إبـراز كـل صـورة منهـا لهيئـة المصلـوب وأعضائة الساكنة سكونا متواصلا . فالأخيطل فى بيته الأول قد حقق الصفرة التـى رآهـا فـى وجه المصلوب ، وهى صفرة الموت بأن جعله كالعاشـق الـذى اصفـر وجهـه مـن أثـر العشـق وحقق أيضا دوام السكون بأن جعل مد الصفحة فى يوم وداع ورحيل فهو قد سكن وتحجـر فى مكانه لرحيل عشيقه عنه ، ولكن فاته إتمام أعضاء الهيئة فالمصلوب مدت يداه والعاشق قـد

---

[1] الزط : طائفة من الهند خرجوا على المعتصم ويعرفون بالنور أو بالغجر فشـردهم المعتصـم وصلـب منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عاليـة الجـذوع .. والمشـتط : الخـارج فـى طولـه عـن الحد .. وخامر: خالطه النوم .. ولم يغط: لم ينخر ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه مـن حوله .

[2] يبوعه: يقيسه بالباع . وأتيح : هيئ له .

مد يدا واحدة ، وفى بيته الثانى حقق هيئة المصلوب فى القائم من النعاس بأن جعله متمطيا مادًا ذراعيه ثم حقق دوام السكون بجعله التمطى متواصلا وبذكر سبب المواصلة وهو اللوثة والكسل ، ولكن فاته تحقيق صفرة الموت الموجودة فى المصلوب .

ودعبل فى تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب فى هيئة الداخل فى النوم المشرف عليه بأن جعله متمطيا . ولكنه أخطأ فى تحقيق دوام السكون لأعضاء المتمطى إذا لم يجعله مواصلا لتمطيه بل جعله مبالغا فيه "جد فى التمطى" والمبالغة فى فعل الشيء لا تقتضى استدامته لأن الذى يبالغ فى الفعل لا يستطيع مواصلته ، ثم لم يذكر سبب جده فى التمطى كما ذكر الأخيطل سبب مواصلته وقد فات دعبل ما فات الأخيطل من تحقيق صفرة الموت الموجودة فى المصلوب فى هيئة المشبه به ، وابن الرومى فى تشبيهه قد حقق هيئة المصلوب فى هيئة من يبوع الحبال وحقق أيضا دوام سكون الأعضاء واستقرارها على هيئتها بقوله : إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل وذكر كذلك السبب فى إطاله مد الذراعين وهو بوع الحبال الكثيرة فهى حبال فى الجو كثيرة وكلما انقضى حبل أتيح له آخر ... ولكن فاته مافات الأخيطل فى بيته الثانى ومافات دعبل من تحقيق صفرة الموت فى الوجوه والموجودة فى وجه المصلوب فلم يحققها فى المشبه به وفاتة شئ آخر وهو إتمام أعضاء الهيئة فقد مد الذراعين ولكنه لم يمل العنق وقد تحققت هذه الإمالة فى العاشق الذى مد صفحته وفى المتمطى الذى واصل تمطيه والذى جد فيه .. فالعاشق مالت عنقه إلى جانب كتفه والمتمطى قد مد عنقه إلى جهه صدره .. ولا نرى هذه الإمالة فيمن يبوع الحبال[1] ...

ومن التشبيهات التى جاء وجه الشبه فيها مكونا من اختلاط الألوان المجردة من الحركة قول ابن المعتز يصف زهر النرجس :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق[2]

(١) وقيل إن أخا النعاس الذى قد خامر النوم والقائم من النعاس يرى فى وجهيهما الصفرة صفرة التعب والإرهاق والتكاسل .

(٢) النرجس : نوع من الزهر أبيض اللون وفى وسطه نكتة يخالف لونها لون بقية الزهرة وتكون غالبا سوداء ويشبه النرجس بالعيون كما فى البيت وتشبه العيون أيضا بالنرجس لذلك .. والدهن : علبة يوضع بها الدهن ..العقيق: أحمر اللون ...

فقد شبه زهر النرجس بمداهن در حشوهن عقيق ووجه الشبه : الهيئة المكونة من بياض قد التف حول سواد أو حمرة .

وقوله يصف الثريا وسط الظلام :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد[1]

شبه الثريا في السماء وسط ظلام الليل بقدم بدت من ثياب سوداء ووجه الشبه : الهيئة المكونة من بياض ظهر في وسط سواد.. وقول أبي طالب الرقي :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فوجه الشبه في البيت هو الهيئة المكونة من أجرام بيضاء مضيئة صغيرة نثرت على صفحة شيء أزرق صافي الزرقة ...

وقد يحرك الشاعر أحد اللونين كقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول البحتري يصف فرسا :

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهام

والتشبيه في هذه الأبيات قد أوضحناه فيما سبق ..

القسم الرابع: أن يكون وجه الشبه مركبا عقليا كقوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾[2] شبهت حال اليهود الذين حملوا التوراة وحفظوها في صدورهم ثم لم يعملوا بما فيها و لم يفهموا حقيقة

---

(1) ثياب الحداد: ثياب تلبسها المرأة حزنا على زوجها وتكون غالبا سوداء .

(2) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

مرماها بحال الحمار يحمل كتب العلم النافعة ويتعب فى حملها وهو جاهل بحقيقة ما فيها .

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ...وهو مركب عقلى انتزع من عدة أمور روعيت فى الطرفين فقد روعى .. حمل أشياء ... وهذه الأشياء ينتفع بها أكمل نفع ... والحامل لها يتحمل التعب والمشقة فى استصحابها ولا يجنى من وراء تعبه فائدة ..

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ...﴾[1] شبهت حال الكفرة فى جمعهم بين الكفر وأعمال البر التى يعملونها فى الدنيا ويحسبونها نافعة ومقبولة عند الله ثم يرونها خاسرة محبطة يوم القيامة لأنها لم تقترن بالإيمان الذى هو شرط قبولها .. بحال الظمآن يرى السراب من بعيد فيحسبه ماء سيروى ظمأه فإذا بلغه لم يجد شيئا .. ووجه الشبه هو الهيئة العقليه الحاصلة من المنظر المطمع مع المخبر المؤيس ..وقد انتزع هذا الوجه من عدة أمور روعيت فى طرفى التشبيه وهى : حال الكافرين وقد عملوا أعمال بر لم تقترن بالإيمان فلم تنفعهم فى الآخرة لفقدان شرط قبولها ولذا فهم يؤخذون بأشد العذاب ..وحال الظمآن مع السراب الذى ظهر له فحسبه ماء نافعا فجد فى الوصول إليه والحصول عليه ثم خاب أمله عندما وصله وأدرك أنه خيال واشتد ألمه وعذابه حيث بقى على حال ظمئه التى كان عليها .. ومنه قول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحسو	**د فإن صبرك قاتله**
فالنار تأكل بعضها	**إن لم تجد ما تأكله**

[1] سورة النور ، الآية : ٣٩ .

فقد شبه حال الحاسد يهمله المحسود بالإعراض عنه حتى يموت غيظا بحال النار لا تمد بالحطب الذى يديم بقاءها فيأكل بعضها بعضا حتى تصير رماداً . ووجه الشبه هو الهيئة العقلية الحاصلة من سرعة الفناء لعدم الإمداد بما يسبب البقاء والحياة .

وقول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود[1]

شبه حال الفضيلة يتعرض لها الحاسد ليسترها ويغض من قيمتها ويؤذى صاحبها فيكون ذلك سببا فى ظهورها وشيوع أمرها بحال العود مع النار فإنهاتظهر طيب رائحته وتسبب انتشارها فيعم النفع بها ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من ظهور فضل الشئ باتصاله بآخر شديد الضرر له ...

القسم الخامس : أن يكون وجه الشبه متعددا حسيا كتشبيه نهر دجله بنهر النيل فى طوله واتساعه وعذوبة مائة ، وكتشبيه فاكهة بأخرى فى اللون والطعم والرائحة .

السادس : أن يكن وجه الشبة متعددا عقليا كتشبيه الأنصار بالمهاجرين فى قوة إيمانهم بالله ومحبتهم للرسول ﷺ والتفانى فى نصرة الحق . وكتشبيه الصقر بالغراب فى حدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد[2] .

السابع : أن يكون وجه الشبه متعددًا مختلفًا بعضه حسى وبعضه عقلى كتشبيه الرجل بالشمس فى إشراق الوجه ونباهة الشأن .

---

(١) العرف : الرائحة . والعود : ضرب من الطيب يتبخر به .

(٢) السفاد : نزو الذكر على الأنثى .

مقارنة بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد :

وجه الشبه المركب لابد أن ينتزع من عدة أمور معتبرة فى كل من الطرفين بحيث إذا ترك بعضها لا يتم وجه الشبه بل ويضيع الغرض الذى يقصده المتكلم من التشبيه لأنه يهدف إلى مزج هذه الأمور وخلطها واستخلاص هيئة تركيبية منها .. أما الوجه المتعدد فإن الأمور المعتبرة فى الطرفين لا تمزج بل يظل كل أمر منها مستقلا بحيث يمكن الاستغناء عن بعض هذه الأمور دون أن يفسد التشبيه فقولنا : المهاجرون كالأنصار فى قوة الإيمان ومحبة الرسول والتفانى فى نصرة الحق يمكن الاستغناء عن صفة أو صفتين من الصفات الثلاث ويظل التشبيه بين الطرفين صحيحًا فى الصفة المتبقية .. وبناء على هذا الفرق بين الوجهين لا يجوز لنا أن نعتبر وجه الشبه فى قول كثير :

لقد أطمعتنى بالوصال تبسما ... وبعد رجائى أعرضت وتولت

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة ... فلما رأوها أقشعت وتجلت[1]

هو ظهور بوادر الأمل فى حصول شيء مرغوب فيه لمن هو شديد الحاجة إليه .. على أن يكون المشبه حاله مع حبيبته وقد لاحت له مبتسمة فطمع فى وصالها .. والمشبه به : حال قوم عطاش شديدى الحاجة إلى الماء لاحت لهم غمامة مطمعة ، لأننا بهذا الصنيع نكون قد فصلنا أجزاء التشبيه المركب وعقدنا المشابهة بين جزء فى المشبه ونظيره فى المشبه به بوجه شبه مستقل فيفوت بهذا الغرض الذى يرمى إليه الشاعر من التركيب إذ إن غرضه أن يصور حاله مع حبيبته وقد بدت له مبتسمة فطمع فى وصالها وتمكن رجاء الوصل فى نفسه وعندئذ أعرضت عنه وتولت .. بحال قوم عطاش لاحت لهم غمامة مطمعة ما برحت حين تمكن فى أنفسهم رجاء أمطارها أن أقشعت وانجلت .. وهو يعبر بهذا التصوير عن وقوع اليأس فى نفسه إثر تمكن الرجاء فيها ووجه الشبه بين

(1) الغمامة : السحابة ، أقشعت وتجلت : تفرقت وانكشفت . وأبرقت بمعنى تحسنت وتعرضت لهم .

الطرفين هو اتصال ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس وهذا الوجه منتزع من الأمور المجتمعة فى البيتين بحيث لا يمكن الاستغناء عن بعضها .

وخلاصة القول فى هذا أن وجه الشبه المركب من عدة أمور لا يمكن تجريده من بعض هذه الأمور لأنه مبنى على اتحاد الأجزاء ومزجها وتلاحمها وأن وجه الشبه المتعدد يمكن الاستغناء عن بعضه لأنه ليس مبنيًا على اتحاد الأمور المحققة له وتلاحمها .. فإذا قلنا : فلان كالماء يصفو ويكدر . كان وجه الشبه متعددا وهو الصفاء والكدارة لأن واو العطف تفيد مطلق الجمع ولهذا يجوز الاستغناء عن الكدر ويبقى تشبيهه بالماء فى الصفاء سليما صحيحًا فيقال : هو كالماء يصفو ، أما إذا قلنا : فلان كالماء يصفو ثم يكدر أو يصفو فيكدر كان التشبيه مركبا لأن الفاء وثم تفيدان معنى زائدًا على مجرد الجمع وهو الترتيب .. وبهذا المعنى الزائد امتزج الصفاء والكدر والتحما وتحقق تركيب وجه الشبه .. وكذا إذا اعتبرت الواو للمعية أو للحال وليست لمجرد العطف كان الوجه مركبًا ويمتنع عندئذ الاستغناء عن إحدى الصفتين .

كيف يكتسب وجه الشبه ؟

وجه الشبه - كما علمنا - هو الصفة الجامعة بين الطرفين : المشبه والمشبه به . فإذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين كان عليه أن يحضر فى ذهنه ويحدد الصفة التى استرعت انتباهه فى المشبه ثم يغض النظر عما عداها من صفات ويطلب نظيرا لهذه الصفة التى استرعت انتباهه فى شيء آخر يكون مشبها به .. ويجب أن تكون هذه الصفة بارزة فى المشبه به ... ويتحتم على المتكلم أن يغض النظر عما فى المشبه به من صفات أخرى غير هذه الصفة وعما بين الطرفين من تباين أو تباعد ... فمثلا إذا استرعى انتباه المتكلم شجاعة رجل فطلب لها نظيرا فى الأسد وجب عليه أن يصرف نظره عما فى الرجل والأسد من صفات أخرى غير الشجاعة وأن يغض بصره عما بينهما من تباين فى الجنس .. وإذا أعجبه منظر السفينة يتلاعب بها الموج فى حركات مختلفة فوجد شبها لها فى حركات الفصيل صرف نظره عما بينهما من تفاوت فى الحجم واللون ومن تباين فى

الجنس ... وإذا لفت نظره هيئة المصلوب فوجد نظيرًا لها في قائم من نعاس يتمطى أعرض عما بينهما من اختلاف الحياة والموت .. ولذا كان لزاماً على الناقد أن يقف على وجهة نظر الأديب وأن يتحقق من غرضه فلا يقول كيف يشبه الرجل الشريف الإنسان بحيوان مفترس .. وكيف يشبه السفينة الضخمة بحيوان صغير الحجم . وكيف شبه المصلوب بقائم يتمطى من نعاس والحياة ما تزال تدب في جسم المتمطي .

انتزاع وجه الشبه من التضاد :

قد يلجأ المتكلم إلى أن يشبه الجبان بالشجاع أو البخيل بالكريم لغرض يهدف إليه . وقد علمنا أن وجه الشبه وصف مشترك بين الطرفين تنعقد به المشابهة كالشجاعة الموجودة في كل من الرجل الشجاع والأسد . فكيف يتم تشبيه الجبان بالشجاع أو البخيل بالكريم والصفة الموجودة في المشبه تضاد الصفة الموجودة في المشبه به ؟ والجواب : أن هذا التشبيه يتم عن طريق التنزيل أي : تنزيل التضاد بين الوصفين منزلة التناسب ، ثم ينتزع وجه الشبه من التضاد المنزل منزلة التناسب لتحقيق الغرض الذي يرمي إليه المتكلم . فمثلا إذا أراد المتكلم أن يسخر من الجبان أو أن يتهكم بالبخيل قال : أنت أسد شجاعة . وأنت كحاتم في الكرم .. ونزل التضاد الحاصل بين الجبن والشجاعة وبين البخل والكرم منزلة التناسب فصار الجبن شجاعة والبخل كرما تنزيلا ، وأصبح الكرم وصفا مشتركا بين البخيل وحاتم تحقيقا في المشبه به وتنزيلا في المشبه .. وكذلك أصبحت الشجاعة وصفا مشتركا بين الطرفين تحقيقا في الأسد وتنزيلاً في الجبان ، وعندئذ ينتزعان وجهي شبه فيقال : هذا البخيل كحاتم في الكرم . وذاك الجبان كالأسد في الشجاعة ولا يقال في التضاد لأن اشتراكهما في التضاد لا يفيد السخرية والتهكم . وكذا إذا أراد المتحدث أن يمازح صديقًا بخيلاً أو يفاكه صديقا جبانا قال له : أنفق علينا فأنت حاتم ودافع عنا العدو فأنت الأسد تنزيلا للبخل والجبن اللذين فيه منزلة الكرم والشجاعة ويصبح الصديق البخيل الجبان موصوفا بالكرم وبالشجاعة تنزيلا كما يتصف حاتم بالكرم والأسد بالشجاعة تحقيقا .. ويكون وجه الشبه هو الشجاعة والكرم ،

ولا يصح أن يقال إن وجه الشبه هو التضاد لأن اشتراك الطرفين فى التضاد لا يفيد المـزاح والمفاكهة اللذين يهدف إليهما المتكلم بهذا التشبيه .

وبهذا يتضح لنا أن انتزاع وجه الشبه من التضاد يكون لغـرض المفاكهـة والمـزاح أو السخرية والتهكم .. ويتم هذا الانتزاع عن طريق التنزيل بأن ينزل التضاد بين الوصفين منزلة التناسب اعتمادا على ما يريده المتكلم مـن سـخرية وتهكـم أو مـزاح ومفاكهـة ثـم ينتزع وجه الشبه من التضاد المنزل منزلة التناسب لتحقيق الغرض المشار إليه ...

التشبيه التمثيلى وغير التمثيلى

ينقسم التشبيه باعتبار إفراد وجه الشبه أو تركيبه وحسيته أو عقليته إلى تشبيه تمثيلى وتشبيه غير تمثيلى وتختلف آراء البلاغيين فى التفرقة بين هذين النوعين وتحديد معنى كل منهما على النحو التالى :

أولا : رأى الإمام عبد القاهر الجرجانى : فرق عبد القاهر بين التشبيه التمثيلى والتشبيه غير التمثيلى فرأى أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا لا يحتاج إلى تأول وإعمال فكر وصرف عن الظاهر لأن المشبه فيه يشارك المشبه به فى صفته ومثاله تشبيه الشىء بالشىء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشىء إذا استدار بالكرة فى وجه وبالحلقة فى وجه آخر . وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخد بالورد والشعر بالليل والوجه بالنهار والسقط بعين الديك .. أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور والنرجس بمداهن درحشوهن عقيق . وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح فى الاستواء والطول وتشبيه القد اللطيف بالغصن فى التثنى والليونة .. ويدخل فى الهيئة حال الحركات فى أجسامها كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذه الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح[١] . وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس كتشبيه أطيط[٢] الرحل بأصوات الفراريج فى قول ذى الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج

وكتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازى كقول ذى الرمة أيضًا :

كأن على أنيابها كل سحرة صياح البوازى من صريف اللوائك[٣]

---

(١) البارح : الريح الشديدة .

(٢) أطيط الرحل : صوته .

(٣) السحرة : السحر الأعلى أى أول السحر وهو ما قبل الفجر . والصريف : صوت الناب . واللوائك : جمع لائكة وهى المضغ من لاك الطعام إذا مضغه .

وأشباه ذلك من الأصوات المشبهة له .. وكتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وتشبيه اللين الناعم بالحرير والخشن بالمسح[1] ، ورائحة بعض الرياحين برائحة الكافور ، وكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع كتشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة وبالثعلب فى المكر ، والأخلاق كلها تدخل فى الغريزة نحو السخاء والكرم والوفاء واللؤم والغدر . فالشبه فى هذا كله بين لا يجرى فيه التأويل ولا يفتقر إليه فى تحصيله . وأى تأويل يجرى فى مشابهة الخد للورد فى الحمرة وأنت تراها ههنا كما تراها هناك وكذلك تعلم الشجاعة فى الأسد كما تعلمها فى الرجل .

ويسمى عبد القاهر هذا النوع : التشبيه غير التمثيلى أو التشبيه الظاهر أو التشبيه الصريح أو التشبيه الأصلى الحقيقى وهو أعم عنده من التشبيه التمثيلى .

الضرب الثانى : التشبيه التمثيلى وهو عند عبد القاهر مالا يكون الوجه فيه أمرًا بيِّنًا بنفسه بل يحتاج فى تحصيله إلى ضرب من التأول والصرف عن الظاهر لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسيا ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ولكنه يكون عقليا غير حقيقى أى غير مقرر فى ذات الموصوف . ومثاله قولنا : هذه حجة كالشمس فى الظهور . فقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها . ولكن هذا التشبيه لا يتم إلا بتأول وذلك أن نقول حقيقة ظهور الشمس أو غيرها من الأجسام ألا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها والشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هى شبهة فيه . ولذا توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده ، فإذا ارتفعت الشبهة قيل : هذا ظاهر كالشمس . فقد احتجنا فى تحصيل الشبه بين الحجة وبين الشمس وهو إزالة

---

[1] المسح : كساء غليظ من الشعر .

الحجاب فى كل ، إلى مثل هذا التأويل والصرف عن الظـاهر . ثـم إن مـا طريقـه التـأويل يتفاوت تفاوتا شديدا فمنه ما يقرب مأخذه يسهل الوصول إليه . ومنه مـا يحتـاج إلى قـدر من التأول ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجه إلى فضل رويـة ولطـف فكـرة فمن الأول ما مر من تشبيه الحجة بالشمس . ومن الثانى قولنا : كلام ألفاظـه كالمـاء فـى السلاسة وكالنسيم فى الرقة وكالعسل فى الحلاوة ، فالمراد أن اللفظ لا يستغلق ولا يشتبه معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه فليس بغريب وحشى وليـس فـى حروفـه تكريـر وتنـافر بكد اللسان فصار لذلك كالماء الذى يسوغ فى الحلق والنسيم الـذى يسـرى فـى البـدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ويهدى إلى القلب روحا ونشاطا وكالعسل الذى يلذ طعمـه وتهش النفس له ويميل الطبع إليه . فوجه الشبه إذاً هو الاستحسان وميل النفس الذى هـو لازم من لوازم الحلاوة وقد احتجنا فى إدراكه إل مثل هذا التأول . وهو أدخل قليـلا فـى حقيقة التأول وأقوى حالا فى الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس ومن الثـالث قولهـم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ، فوجه الشبه فى هـذا التشـبيه يحتـاج إلى فضـل روية ولطف فكرة ، وإلى كثير من التأول والصـرف عـن الظـاهر حتـى يمكـن اسـخراجه والوقوف عليه وذلك لغموضه ودقته . وقد سمى عبد القاهر هذا النوع : التشـبيه التمثيلـى أو التمثيل وهو عنده أخص من التشبيه . كما بينا ثم يسوق شواهد كثيرة لكل نـوع مـن النوعين فمن شواهد التشبيه قول قيس بن الخطيم :

وقـد لاح فـى الصبـح الثريـا لمـن رأى

كعنقـود ملاحيـة حيـن نـورا

وقول ابن المعتز :

كـأن عيـون النـرجس الغـض حولنـا

مداهـن درحشـوهن عقيـق

وقوله :

وتروم الثريا فى الغروب مرامـا   كانكباب طمر كاد يلقى اللجاما[1]

وقوله :

وأرى الثريا فى السماء كأنها   قدم تبدت من ثياب حداد

وقوله :

قد انقضت دولة الصيام وقد   بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره   يفتح فاه لأكل عنقود[2]

فوجه الشبه فى هذه الأبيات ظاهر بين لا يحتاج إلى تأول لأنه من المركبات الحسية ولذا كانت من قبيل التشبيه غير التمثيلى عند عبد القاهر .. وقد مرت بنا هذه التشبيهات .

ومن شواهد التمثيلى قول ابن المعتز أيضًا :

أصبر على مضض الحسو   د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها   إن لم تجد ما تأكله

---

(١) الطمر : الفرس الجواد ، والمراد به هنا أن يكون ذا لون أسود ، واللجام : مفضض فهو كالثرايا ، والطمر كالليل ووجه الشبه : ظهور شيء أبيض مستطيل فى جوانب شيء مظلم .

(٢) سقم الهلال : أراد صغره وأخذه فى الذهاب ، ويتلو : يتبع ، والفاغر : الذى يفتح فمه ،والشره : شديد النهم والرغبة فى الأكل ، فالمشبه : الهلال والمشبه به : الرجل الفاغر فمه لأكل عنقود ، ووجه الشبه : هيئة أجرام بيضاء يحيط بها شيء مقوس.

وقول صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يبسه[(1)]

فوجه الشبه فى هذه الأبيات من المركبات العقلية التى تحتاج إلى فضل روية وإعمال فكر ولذا كانت من قبيل التشبيه التمثيلى عند عبد القاهر .. وخلاصة رأى عبد القاهر أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه حسيا أى مدركا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس .. سواء كان هذا الوجه الحسى مفردا أم مركباً .. وكذلك ماكان الوجه فيه عقليا حقيقيا أى: ثابتا ومقررا فى ذات الطرفين كالأخلاق والغرائز والطباع .. والتمثيل أو التشبيه التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه ليس حسيا ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ، بل يكون عقلياً غير حقيقى أى : غير متقرر فى ذات الطرفين فلا يكون بيناً ظاهراً بنفسه بل يحتاج فى تحصيله إلى تأول لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الحقيقية .. سواء أكان هذا الوجه العقلى مفرداً أم مركباً .

ثانيا رأى السكاكى : يرى السكاكى أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه مفردا بنوعيه حسياً أو عقليا ، أو كان مركبا حسيا .. فمثال ما كان الوجه فيه مفرداً وحسيا تشبيه الخد بالورد فى الحمرة والشعر بالليل فى السواد والريق بالخمر فى طيب المذاق ..إلخ .

---

(1) المراد تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان غرسه ، ووجه الشبه : التحول من حال النقص إلى حال الكمال بسبب التعهد بالعلاج فى الوقت الذى يجدى فيه العلاج .

ومثال المفرد العقلى : تشبيه الرجل بالأسد فى الشجاعة وبالبحر فى الكرم وبالذئب فى المكر والدهاء .. وتشبيه الحجة بالشمس فى إزالة الحجاب والكلام بالعسل فى ميل النفس .. إلخ . ومثال المركب الحسى :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

إلى آخر ما مر بنا من المركبات الحسية ..أما التمثيل عنده فهو ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا كقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أضَاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ** ﴾[1] فوجه الشبه فى الآية الكريمة أن كلاً من المنافقين ومستوقد النار تعاطى الأسباب المقربة لتحقيق آمالهم وحين ظهرت دلائل النجاح انقلب الأمر على عكس ما أملوا . وهو هيئة عقلية انتزعت من أمور متعددة . وقوله عز وجل : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾[2] فوجه الشبه وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، هيئة عقلية مركبة لا نتزاعها من أمور متعددة .. وعدم إدراكها بالحواس .

ثالثاً : رأى الخطيب وجمهور البلاغيين أن التشبيه غير التمثيلى ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسياً أو عقلياً ، والتشبيه التمثيلى ما كان الوجه فيه مركبا سواء أكان حسيا أم عقليا .. فمدار التفرقة عندهم بين التشبيه والتمثيل تركيب الوجه وإفراده بغض النظر عن كونه حسياً أم عقليا ..فإذا كان وجه الشبه هيئة منتزعة من شيئين أو عدة أشياء كان التشبيه تمثيلا سواء أكانت هذه الهيئة حسية أم عقلية .. وإذا كان وجه الشبه مفرداً بنوعيه أى حسيا أو عقليا كان التشبيه غير تمثيل .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

وخلاصة هذه الآراء فى التفرقه بين التشبيه والتمثيل والتى هى مبنية على إفراد وجه الشبه أو تركيبة وحسيته أو عقليته ، أنه إذا كان وجه الشبه مركبا عقليا غير حقيقى . كما فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾[2] وكقول ابن المعتز : اصبر على مضض الحسود ..وقول صالح : "وإن من أدبته فى الصبا" وقول أبى تمام : " وإذا أراد الله نشر فضيلة" كان التشبيه تمثيليا بإجماع الآراء .

وإذا كان الوجه مركبا حسيا كما فى قوله بشار : "كأن مثار النقع" وقول أبى طالب : "وكأن أجرام النجوم .." وقول ذى الرمة : "وسقط كعين الديك" .. كان التشبيه تمثيليا عند الخطيب وجمهور البلاغيين وغير تمثيلى عند عبد القاهر والسكاكى لكونه حسيا.

وإذا كان وجه الشبه واحدا عقليا غير حقيقى أى غير متقرر فى ذات الطرفين .. كما فى قولنا : كلام كالعسل . وحجة كالشمس وهم كالحلقة المفرغة . كان التشبيه تمثيليا عند عبد القاهر فقط وليس تمثيليا عند السكاكى والخطيب والجمهور لفقده التركيب الذى يشترطونه فى التشبيه التمثيلى .. وعبد القاهر يغض النظر عن هذا التركيب .

وإذا كان الوجه واحدا حسيا كما فى قولنا : خد كالورد وشعر كالليل وريق كالخمر وبشر كالحرير . أو واحدا عقليا حقيقيا لكونه من الأخلاق والغرائز والطباع الحقيقية كما فى قولنا : هذا الرجل كحاتم كرما وكأحنف حلما وكإياس ذكاء وكالأسد شجاعة وكالكلب وفاء . كان التشبية غير تمثيلى بإجماع الآراء لفقده التركيب الذى يشترطه السكاكى والخطيب وجمهرة البلاغيين . ولكونه حقيقيا أى : متقررا فى ذات الطرفين وعبد القاهر يشترط فى التمثيل أن يكون وجهه عقليا غير حقيقى .

---

(١) سورة الجمعة ، الآية :٥ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

التشبيه المجمل والتشبيه المفصل

ينقسم التشبيه باعتبار حذف وجه الشبه أو ذكره إلى قسمين تشبيه مجمل وتشبيه مفصل .

فالتشبيه المجمل :

ماحذف فيه وجه الشبه كقولنا : هذا الرجل كالأسد والعلماء كالنجوم .. ووجه الشبه المحذوف قد يكون واضحا ظاهرا يعرفه الخاصة والعامة على حد سواء كقولنا : وجه كالبدر . وشعر كالليل وخد كالورد ورجل كالأسد ..وقد يكون دقيقا خفيا يحتاج فى إدراكه إلى فكر وتأمل وعندئذ يجب أن يذكر فى العبارة ما يومىء إلى وجه الشبه المحذوف ويدل عليه .

ما يدل على وجه الشبه عند حذفه إذا كان دقيقا خفيا .

والذى يومىء إلى الوجه المحذوف ويدل عليه إذا لم يكن ظاهرا واضحا إما وصف المشبه به بصفة يفهم منها هذا الوجه المحذوف كقول كعب الأشقرى فى وصف بنى المهلب للحجاج لما سأله عنهم : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . فقد وصف المشبه به وهو الحلقة المفرغة بأنها ليست معلومة الأطراف . وهذا الوصف أومأ إلى وجه الشبه ودل على أنه : التناسب الكلى الخالى من التفاوت . ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة لأن العامة يتبادر إلى ذهنهم تناسبهم فى الصورة والشكل ولا يدرك التناسب الكلى إلا الخاصة ولذا احتاج التشبيه إلى وصف المشبه به بهذا الوصف الذى أومأ إلى وجه الشبه ودل على أنه : التناسب الكلى الخالى من التفاوت.

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تلق فى البحر يغرق

فوجه الشبه هو عدم ظهور الأثر فى كـل منهمـا ، يريـد أن هجـاءه لهـم لا يؤثـر فيهم لأصالتهم فى الشرف وعراقتهم فى المجد كما لا يؤثـر فـى البحـر مـا يلقـى فيـه مـن أوساخ وأقذار وقد أومأت الجملة الحالية وهى : مهما تلق فى البحر يغـرق والتـى وقعـت وصفا للمشبه به : البحر ..أومأت إلى وجه الشبه ودلت عليه .

وقوله النابغة الذبيانى :

فـإنك شمـس والملـوك كواكـب إذا طلعتْ لم يبـد منهـن كوكـب

شبه الممـدوح والملوك بالشمس والكواكـب وجملـة : إذا طلعـت لم يبـد منهـن كوكب وقعت وصفا للمشبه بهما فأنبأت عن وجه الشبه المحـذوف ودلـت عليـه وهـو : القوة الكبرى التى تستر ما عداها ..فالشاعر يريد أن عزة الممدوح وسلطانه وفضائله تخفى مالسائر الملوك من قوة وعزة ومكارم كما تخفىالشمس إذا طلعت أضواء الكواكب .

وإما أن يكون الدال على وجه الشبه المحذوف وصفا للمشبه والمشبه به كليهمـا كمـا فـى قول أبى تمام :

صدفـت عنـه ولم تصـدف مواهبــه عنـى وعـاوده ظنـى فلـم يخـب
كـالغيث إن جئتــه وافـاك ريقــه وإن ترحلت عنه لج فـى الطلـب[1]

شبه الممدوح بالغيث ووجه الشبه هو الإفاضة والإحسان فى حـال الإقبـال وفـى حال الإعراض وقد أنبأ بهذا الوجه ودل عليه وصف المشبه بأن عطاياه لاتنقطع فى حـال الغيبة وحال الحضور ووصف المشبه به وهو الغيث بأنه يوافيـك بمائـه الصـافى إن طلبتـه . وإن ترحلت عنه اجتهد فى إمدادك به .ولو لم يوصف الطرفان بهذين الوصفين لتبـادر إلى ذهن العامة أن المقصود مجرد تشبيه الممدوح بالغيث فى كثرة العطاء .

---

(١) صدفت : أعرضت والمواهب : الهبات.. وريقه : أوله وأفضله.. و لج : ألح .

والتشبيه المفصل :

ما ذكر فيه وجه الشبه كقولنا : وجهه كالبدر حسنا وخده كالورد حمرة وشعره كالليل سواداً وريقه كالخمر مذاقا وبشره كالحرير نعومة .. وهذا الرجل كالأسد شجاعة .. سواء أكان المذكور هو نفس الوجه كالأمثلة المذكورة وكما في قول ابن الرومي :

ياشبيه البدر في الحسن وفي بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال[1]

وقول أبي بكر الخالدي :

يا شبيه البدر حسنا	**وضياء ومنالا**
وشبيه الغصن لينا	**وقواما واعتدالا**
أنت مثل الورد لونا	**ونسيما وبلالا[2]**
زارنا حتى إذا ما	**سرنا بالقرب زالا**

أو كان المذكور وصفا يستلزم وجه الشبه كقولنا : كلام كالعسل في الحلاوة فليست الحلاوة هي وجه الشبه الحقيقي . ولكن الوجه الحقيقي هو : ميل النفس وشعورها باللذة وهو لازم من لوازم الوصف المذكور "الحلاوة" فاستغنى بذكر الملزوم عن اللازم مجازا . ومنه قولهم : حجة كالشمس في الظهور فالوجه الحقيقي هو إزلة مطلق حجاب فيشمل حجاب الليل الذي يمنع إدراك المبصرات وحجاب الشبهة التي تمنع إدراك المعقولات ، وهذا الوجه من لوازم الوصف المذكور "الظهور" فاستغنى به عنه تسامحا أو مجازا .

---

(1) جد : يعني بالوصال ، الزلال : العذب الصافي

(2) البلال : الندوة ، ويروى : ملالا بمعنى سرعة الزوال والمفارقة من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

التشبيه البعيد والتشبيه المبتذل

ينقسم التشبيه باعتبار ما يتصف به وجه الشبه من وضوح أو دقه تحوج إلى التفكير إلى قسمين : تشبيه قريب مبتذل وتشبيه بعيد غريب .

القريب المبتذل :

هو ما ينقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به دون حاجة إلى إعمال فكر وتدقيق نظر ، ويرجع ذلك إلى وضوح وجه الشبه وظهوره ، كتشبيه الوجه الحسن بالبدر والرجل الشجاع بالأسد ، فإن الذهن لا يجد صعوبة فى إدراك هذا الحسن وتلك الشجاعة فى البدر والأسد . وكتشبيه الرجل الكريم بالغيث والخد الجميل بالورد ، فالذهن لا يجد عناء فى إدراك الكرم والجمال فى الغيث والورد . ولا يعنى وصف هذه التشبيهات بالقرب والابتذال أنها رديئة مستنكرة ولكن المراد أنها قريبة التناول سهلة المأخذ يستوى فيها الخاصة والعامة وكثيرًا ما يحتاج إليها الأديب لتوضيح معانيه وتأكيدها .

العوامل الموجبة لابتذال التشبيه :

يعد التشبيه قريبا مبتذلا إذا اتصف وجه الشبه فيه بصفة أو أكثر من الصفات الآتية :

١ - كونه أمرا مجملا لا تفصيل فيه كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة والمصابيح بالنجوم فى الإضاءة والرجل بالأسد فى الشجاعة فالحمرة والإضاة والشجاعة أمور مجملة لا تفصيل فيها والجملة أسبق إلى النفس من التفصيل دائما .

٢ - أن يشتمل وجه الشبه على قليل من التفصيل ويكون المشبه به من الأمور التى تتكرر على الحس فيستدعى هذا التكرار سرعة حضورها فى الذهن عند إرادة التشبيه وبذلك يزول أثر التفصيل القليل الموجود فى وجه الشبه ويصبح التشبيه قريباً مبتذلا . مثال ذلك : تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والإشراق ، وتشبيه الثياب ذات

النقوش بأزهار الروض في اجتماع الألوان ، وتشبيه العيون بالنرجس في اجتماع البياض والسواد وتشبيه السيوف بالبرق في الإشراق واللمعان فوجه الشبه في هذه التشبيهات بـه قليل من التفصيل لملاحظته في شيئين ولكن تكرار رؤية الأمور المشـبه بهـا أزال أثـر هـذا التفصيل القليل الملاحظ في وجه الشبه وجعل إدراكه سهل التنـاول قريـب المأخذ وظـل التشبيه لذلك قريبا مبتذلا لاقتضاء تكرار المشبه به على الحس سرعة انتقال الذهن .

٣ – أن يشتمل وجه الشـبه علـى قليـل مـن التفصيـل ويكـون المشـبه بـه قريـب الحضور في الذهن عند حضور المشبه فيه لا لتكـرر المشـبه بـه علـى الحـس ولكـن لقـرب المناسبة بين الطرفين وتقاربهما في الجنس . فالمعـاني تتداعـى دائمـا فـي الذهـن إذا قربـت المناسبة بينها ومثال ذلك : تشبيه جرة الماء الصغيرة بالكوز وتشبيه العنبة الكبـيرة السـوداء بالإجاصة[1] في الشكل والمقدار وتشبيه برج القاهرة بمنارة القلعة . فالمشـبه بـه فـي هـذه التشبيهات يتبادر إلى الذهن عند حضور المشبه فيه لقـرب المناسـبة بينهمـا ولهـذا زال أثـر التفصيل القليل المشتمل عليه وجه الشبه لملاحظته فـي شـيئين : الشـكل والمقـدار ، وبقـى التشبيه قريباً مبتذلا ، لا قتضاء قرب المناسبة بين الطرفين سرعة انتقال الذهن من المشبه إلى المشبه به .

والتشبيه البيعد الغريب :

مالا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعـد فكـر وإطالـة وذلـك لخفـاء وجه الشبه في بادىء الأمر ودقته . كقول ابن المعتز في وصف ظهور البرق وخفائه :

وكـأن البـرق مصحـف قـار فانطباقـا مـرة وانفتاحـا

فوجه الشبه وهو هيئة توالى حركتـين فـي اتجـاهين مختلفـين ينشـأ عـن إحداهمـا ظهور وانفتاح وعن الأخرى خفاء وانطباق . لا ينتقل الذهن في إدراكـه والوقـوف عليـه

(١) الإجاصة جمعها : إجاص وهو شجر له ثمر لذيذ الطعم .

من المشبه إلى المشبه به إلا بإطالة النظر وإعمال الفكر لدقته وخفائه فهو حركة خاصة تحتاج من الأديب أو القارئ إلى أن يغض النظر عما عداها مما في البرق من إشراق وما في المصحف من لون حين يفتحه القارئ .

العوامل الموجه لغرابة التشبيه :

يعد التشبيه غريبًا بعيدًا إذا اتصف بواحد أو أكثر من الأمور الآتية :

الأول : أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه من الأمور الوهمية كما في تشبيه السنان بأنياب الأغوال والطلع برءوس الشياطين . أو من المركبات الخيالية كتشبيه محمر الشقيق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد فالأمور الوهمية والمركبات الخيالية لا تحقق لوجودها فهي نادرة الحضور في الذهن وقد يكون المشبه به له وجود محقق إلا أنه لا يتكرر على الحس ولا يخطر بالبال إلا بعد تفكير طويل كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل فالمرآة في يد الأشل من الأمور التي لا يقع عليها البصر إلا نادرًا فربما قضى الإنسان دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل . ومن ذلك تشبيه حال الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها بحال الحمار يحمل كتب العلم في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1] فصورة الحمار يحمل أسفارا من الصور التي لا تكرر على الحس .. ووجه الشبه من المركبات العقلية التي يتعذر استخراجها من الطرفين على غير الخاصة وما من شك في أن ندرة حضور المشبه به في الذهن تقتضي خفاء وجه الشبه وندرة إدراكه لأن الوجه وصف منتزع من الطرفين فإذا خفي أحد الطرفين وندر حضوره بالذهن خفي وجه الشبه وندر إدراكه وتعذر على العامة .

---

(1) سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

الثانى : أن يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند ذكر المشبه لبعد الصلة بينهما ، من ذلك قول ابن المعتز يصف زهر البنفسج .

ولا زَورْدِيّـةٌ تزهـو بزرقتهـا — بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها — أوائل النار فى أطراف كبريت[1]

فقد شبه زهر البنفسج بأوائل النار فى أطراف كبريت ولا مناسبة بين الطرفين فالمشبه زهر ندى يفوح عطرا والمشبه به نار يابسة محرقة فهما جنسان متباعدان يندر أن يحضر المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه فيه وقد جمع الشاعر بينهما على الرغم من هذا التنافر فاكتسب التشبيه غرابة وبعدا . ومن ذلك تشبيه الشعر بالنار والبرق بمصحف القارئ ، وإبرة روق الأغن بقلم أصاب من الدواة مدادا . فالبون شاسع بين الطرفين فى هذه التشبيهات كما لا يخفى ولذا كانت تشبيهات غريبة بعيدة .

الثالث : أن يكون وجه الشبه كثير التفصيل . من ذلك ما مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل حيث روعى فى وجه الشبه الشكل واللون والحركة المضطربة المستمرة التى ينشأ عنها تموج الضوء .

ومعنى التفصيل فى وجه الشبه : إطالة النظر والتأمل فى صفات كل من الطرفين لمعرفة ما تقع به المشاركة بينهما وما تقع به المخالفة . ثم تأمل الصفات المشتركة بين الطرفين . هل هى موجودة فى كلا الطرفين بدرجة واحدة أم بينهما تفاوت ؟ وهل هذا التفاوت يفسد الغرض من التشبيه ؟ . إن كان يفسده فعلى الأديب أن يجمع ويفرق ويثبت ويحذف فى صفات كل طرف حتى يستقيم التشبيه ويحقق الغرض الذى يرمى إليه

(١) اللازوردية : البنفسج وهى نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد والمراد تشبيه أزهار البنفسج : وتزهو : تتكبر : وحمر اليواقيت من إضافة الصفة إلى الموصوف وإنما جعل المشبه به أوائل النار فى أطراف الكبريت لأنها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فالمراد بالتفصيل إذًا ألا ننظر فى صفات الطرفين نظرة إجمالية بل نظرة تفصيلية دقيقة . ويتضح لنا ذلك فى هذه الشواهد .

يقول امرؤ القيس :

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان[1]

شبه سنان الرمح بسنا اللهب فى الإشراق ولكنه لاحظ أن السنا يحوى الدخان الذى يؤثر فى وجه الشبه فحذف هذا الدخان وانتزعه من السنا بقوله " لم يتصل بدخان فزاد السنا بهذا تألقا وضياء وتم تحقق الشبه بين الطرفين" .

وقال أحيحة :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورًا

شبه الثريا بالعنقود فى الهيئة المكونة من : الشكل والمقدار واللون والمسافة المتقاربة بين الأجزاء ولكى يتم هذا الوجه فى جانب المشبه به جعله عنقود ملاحية وقيده بهذا القيد "حين نورا" وبهذا التفصيل تم تحقق الوجه بين الطرفين . وقال ابن المعتز يصف طلوع الفجر .

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى

نطير غرابا ذا قوادم جون[2]

شبه سواد الليل وقد بدت فى جوانبه لمع مضيئة من نور الفجر بغراب أسود فى أطراف جناحيه ريشات بيض تظهر لامعة فى سواده ووجه الشبه هو الهيئة المكونة من

---

(١) ردينيا : الرديني : رمح منسوب إلى ردينة وهى امرأة كانت تقوم الرماح.. وسنا اللهب : ضوؤه .

(٢) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، والقوادم : أوائل ريش الطائر ، والجون : جمع جون وهو الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

احتماع البياض والسواد وأن السواد أخذ يتبدد فى عجلة أمام البياض الذى انتشر فى حواشيه وجوانبه . وقد تخيل الشاعر أن ضوء الصبح يسوق ظلام الليل ويستعجله ولما لم يجد نظير ذلك فى الغراب أضاف إلى صفته أنه كان حبيسًا فى يد قانص ثم أطير فهو يتابع طيرانه ويجد فيه .. وحقق ابن المعتز بهذه الإضافة الشبه كاملا بين الطرفين . ولو أنه اكتفى بذكر الغراب وبياض قوادمه و لم يجعله طائرا أو جعله طائرا من تلقاء نفسه لا عن إزعاج لاختل التشبيه ولما كان لقوله : "يستعجل الدجى" نظير فى المشبه به .

وقال أبو نواس يصف البازى :

كــأن عينيـــه إذا مـــا أثـــأرا   فصـان قيضـا مـن عقيـق أحمـرا

فى هامـة غلبـاء تهـدى منسـرا   كعطفـة الجيـم بـأكف أعسـر[1]

شبه الجزء العلوى الذى يرى من منقار البازى بالعطفة العليا لحرف الجيم وهى التى تبتدى من اليسار إلى اليمين ، وقد فصل الشاعر تفصيلا دقيقا فى مراعاة وجه الشبه فقال : "كعطفة الجيم" و لم يقل كالجيم لأن الجزء الأسفل من المنقار الذى يشبه العطفة السفلى للجيم لا تقع عليه العين وجعل عطفة الجيم مكتوبة بكف أعسر لأن الأعسر يزيد من انحنائها محدثا فى طرفها الأيمن تعريجا إلى أسفل يشبه التعريج الذى ينتهى به منقار البازى ..ثم أراد أن يؤكد أن الشبه فى الصورتين قد روعى فيه الخط الأعلى فقط من الجيم فقال :

يقـول مـن فيهـا بعقـل فكـرا   لـو زادهـا عينـا إلى فـاء ورا

فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

---

(1) أثأر : أدرك ثأره ، وقيضا : شقا ، والهامة : رأس كل شىء وتطلق على الجثة ، والغلباء : القوية ، تهدى : تتقدم ، والمنسر : منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسر : الذى يكتب بشماله .

نبه بقوله "فاتصلت بالجيم" إلى أن المراد العطفة الأولى فقط ونفى إرادة العطفتين : الثالثة التى تكون فى الجيم المنفصلة والثانية التى تجئ من اليمين إلى اليسار لتصل عطفة الجيم الأولى ببقية حروف الكلمة لأنها وسيلة للوصل ولا يلتفت إليها عند عدم إرادة الوصل . ولدقة هذا التفصيل قال : "يقول من فيها بعقل فكرا" فنبه إلى أن بالمشبه به حاجة إلى فضل روية وإعمال فكر ليتم تحقيق الشبه بين الطرفين .

هذا وتختلف مرتبة التفصيل فى وجه الشبه باختلاف الأمور المرعية والصفات المعتبرة فى الطرفين . فأدنى مراتبه ما روعى فيه وصف واحد كتشبيه البنفسج بأوائل النار فى أطراف كبريت بجامع الحمرة الصافية التى لا يشوبها لون آخر . وأعلى من هذا ما روعى فيه أمران كاجتماع البياض والسواد فى تشبيه غرة الفرس وسط وجهه الأسود بإشراق الصبح فى جوانب الليل . وما روعى فيه ثلاثة أمور أعلى مما روعى فيه أمران وهكذا حتى نبلغ الغاية فى نحو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[1] فقد اجتمعت عشر جمل فى جانب المشبه به كل جملة منها تفيد وصفا لا تفيده الأخرى وهذه الأوصاف قد تضامت والتحمت لأداء وجه الشبه بين الطرفين وصارت كأنها جملة واحدة بحيث لو حذف منها شيء لأخل ذلك الحذف بالمغزى من التشبيه . ومما يلاحظ فى الآية الكريمة أن هذه الجمل المتتابعة قد وقعت صفة لاسم نكرة "ماء" ولى أداة التشبيه . ومنه قول النبى ﷺ : "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة "فجملة" لا تجد فيها راحلة" وقعت صفة لإبل مائة . والمراد : أن الكامل فى الناس قليل فكل مائة لا تجد فيهم واحدا يوصف بالكمال . وقد يلى أداة التشبيه اسم موصول فتقع الجملة بعده صلة له كقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٢٤ .

أضَاءتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ ا للهُ بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[1] . أو اسم معرفة غير موصول فتكون الجملة بعده مستأنفة جوابا لسؤال مقدر كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ا للهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[2] فجملة "اتخذت بيتا" وقعت جوابا لسؤال مثار تقديره : ما حالها ؟ وسواء ولى الأداة اسم نكرة أو معرفة موصول أو غير موصول فإن وجه الشبه هيئة تركيبية منتزعة من مجموع الجمل الواقعة بعد الاسم ولا يمكن أن يكون هذا الاسم هو المشبه به لاستحالة استقلاله بالدلالة على المقصود من التشبيه بدون الجمل المذكورة بعده وإنما احتيج إليه ليكون ركيزة تعتمد عليها تلك الجمل المتتالية التى يتكون منها المشبه به .

موازنات :

وبناء على ما تقدم من العوامل الموجبة لغرابة التشبيه وبعده يكون قول امرئ القيس فى صفة سنان الرمح :

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

أعلى طبقة وأكثر غرابة من قول عنترة العبسى فى وصف السيف :

يتابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب[3]

وذلك أن كلا من الشاعرين لاحظ عدة أمور فى الطرفين يتكون منها وجه الشبه وهى : اللون المخصوص وما فيه من بريق ثم الاهتزاز والاضطراب ولكن امرأ القيس زاد

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤١ .

(٣) القبس الملتهب : النار الموقدة ، والضمير فى قوله : يتابع لورد بن حابس وفى قوله : غيره لنضلة الأسدى وكان لورد ثأر عنده ، والأبيض : السيف .

فى التفصيل وأمعن فى النظر والتأمل فوجد فى المشبه بـه صفـة لا يتـم بهـا التشـبيه وهـى الدخان الذى يعلو رأس الشعلة فنفاه وجرد السنا منه وأكسب تشـبيهه زيـادة فـى الغرابـة والبعد . ومعلوم أن هذا لا يقع فى خاطر الشاعر لأول وهلة بل لابد له من أن ينعم النظـر والتأمل فى أحوال الطرفين فيثبت ويحذف ويجمع ويفرق حتى يستقيم له التشبيه ويكتمـل وجه الشبه ، وكذلك يكون بيت بشار :

كـأن مثـار النقـع فـوق رءوسـنا　　　وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

أعلى طبقة وأبعد غرابة من بيت المتنبى :

يـزور الأعـادى فـى سمـاء عجاجـة　　　أسـنته فـى جانبيهـا الكواكـب[1]

ومن قول كلثوم بن عمرو العتابى :

تبنـى سـنابكها مـن فـوق أرؤسـهم　　　سـقفا كواكبـه البيـض المباتـير[2]

وذلك أن أبا "الطيب والعتابى اقتصرا فى التفصيـل علـى أن أريانـا صـورة أشـياء مشرقة لامعة وسط سـواد قـاتم وظـلام حـالك . ولكـن بشـارا زاد فـى التفصيـل وأمعـن فى النظر والتأمل إذ وجـد السـيوف فـى المعركـة تتحـرك حركـات سـريعة مضطربـة إلى جهات مختلفة فهى تعلـو وترسـب وتسـتقيم وتعـوج وتتلاقـى فيصـدم بعضهـا بعضـا ثـم تتفرق ، وهـى ذات أشـكال مستطيلة .. فعـبر عـن هـذه الدقـائق بكلمـة واحـدة وهـى قوله "تهاوى" لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى التهـاوى اسـتطالة أشـكال وتواقـع وتداخـل وبهـذا اكتمـل وجـه الشـبه وكـان تشـبيه بشـار آيـة

---

[1] العجاجة : الغبار ، والأسنة جمع سنان وهـو نصـل الرمـح ، والضمـير فـى قولـه : يـزور يعـود إلى الممدوح .

[2] السنابك : جمع سنبك وهو طرف الحافر ، وسقفا أى غبارا مثارا كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير : للسيوف القواطع جمع مبتار .

فى الإبداع والغرابة وكذلك يكون قول ابن المعتز فى وصف الآذريون وهو عباد الشمس :

سَقْيا لروضات لنا … من كل نَوْر حالية

عيون آذَرْيونها … للشمس فيها كالية

مداهن من ذهب … فيها بقايا غالية[1]

أوفى تفصيلا وأكثر غرابة من قوله فى صفة الآذريون أيضًا :

وطاف بها ساقٍ أديبٌ بمبزل … كخنجر عيَّارٍ صناعته الفتك

وحُمِّل آذريونة فوق أذنه … ككأس عقيق فى قرارتها مسك[2]

فقد شبه فى الأبيات الأولى عيون الآذريون أى : أزهاره التى تتجه إلى الشمس دائرة معها كأنها ترعاها ، شبه هذه الأزهار بأوعية صغيرة من الذهب الأصفر فيها بقايا من دهن أسود مصنوع من جملة أطياب يسمى بالغالية ، وشبه فى البيتين الآخرين : نفس الزهر وقد تزين به الساقى حاملا إياه فوق أذنه بكأس من العقيق الأحمر فى قرارتها مسك أسود . وكان التشبيه الأول أفضل وأغرب لأن زهر الآذريون : جسم مستدير يحيط بجوانبه أوراق متجاورة صفراء فى بعض أنواعه وحمراء فى البعض الآخر ، وفى وسطه

---

(١) النور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمراء فى وسطه نبو وارتفاع وقد يكون أصفر ، وكالية : تدور معها حيث دارت ، اسم فاعل من كلأ ، ومداهن : جمع مدهن وهو حق الدهن ، والغالية : أخلاط من الطيب .

(٢) المبزل : ما يصفى به الشراب وهو شبه حلمة الضرع فى الدن ونحوه يسيل الشراب منه ، والعيار : الكثير التجول والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ووجه الشبه بين المبزل والخنجر : الاعوجاج فيهما ، وحمل آذريونة فوق أذنه : هذه عادة الفرس يحملون هذا الورد فوق آذانهم ، والعقيق : خرز أحمر .

قرص أسود اللون يرتفع سواده متناقصا شيئًا فشيئًا إلى جوانب الأوراق وهو لا يملأ جوف الزهرة بل يكون منخفضا عن مستوى الأوراق كأنه فى قعرها . وبتأمل التشبيهين نجد أن ابن المعتز قد راعى اللون فحيث رأى بعض الزهور صفراء جعلها كالذهب وعندما رأى البعض الآخر حمراء جعلها كالعقيق . ولاحظ الشكل المستدير فجعل الزهرة مرة كالمدهن ومرة كالكأس .. وراعى اللون الأسود فى وسط الزهرة فجعله مرة غالية ومرة مسكا . ولاحظ أن هذا السواد لا يملأ جوف الزهرة فجعله مرة بقايا غالية ومرة مسكًا فى قرارة الكأس ، أما ارتفاع السواد فى تناقص تدريجى إلى جوانب الأوراق فقد لاحظه فى التشبيه الأول إذ دل عليه بقوله : "بقايا غالية" وبقايا الغالية يكون سوادها إلى جانب القاع أشد ثم يخف تدريجيا كلما ارتفعنا بالاستعمال إلى الحافة وهذا التدريج يساعد عليه ما فى دهن الغالية من مرونة ونعومة وتلك ملاحظة دقيقة لم يراعها فى التشبيه الثانى إذ دل على السواد فيه بقوله : "فى قرارتها مسك" والمسك جامد لا لين فيه فإذا استقر فى القاع ثبت و لم يمتد إلى جوانب الكأس كما هو شأن الغالية ولذا كان التشبيه الأول أكثر غرابة وأكمل فى استيفاء وجه الشبه بين الطرفين .. وكذا يكون قول أبى طالب الرقى :

وكأن أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق

أعلى طبقة وأكثر غرابة من قول ذى الرمة :

كحلاء فى برج صفراء فى نعج ... كأنها فضة قد مسها ذهب[1]

وترجع الغرابة هنا إلى ندرة وجود المشبه به فى البيت الأول إذ لا يكاد يرى المرء دررًا منثورة على بساط أزرق ولكنه كثيرا ما يرى فى سوق الصاغة الفضة ممزوجة بالذهب إما على طريق الخلط وإما على طريق التحلية والطلاء .. فالبيت الأول أجود

---

(١) البرج : أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شىء . والنعج : البياض الخالص والمراد : أن صفرتها يشوبها بياض خالص وهو محمود عندهم .

وأغرب لهذا من البيت الثانى وليس مرجع الغرابة والجودة إلى كثرة التفصيل والاستقصاء كما فى الموازنات السابقة بل إلى ندرة وجود المشبه به .

القيمة الفنية للتشبيهات الغريبة :

تعد التشبيهات البعيدة الغريبة من أبلغ التشبيهات وألطفها وأكثرها تأثيرا فى النفس لأنها تحتاج – كما قلنا – إلى إعمال الفكر وإطالة النظر فى أحوال الطرفين والتفتيش فى صفاتهما للوقوف على وجه الشبه بينهما والشيء إذا نيل بعد طلب وتفكير طويل يكون أوقع فى النفس وأشد تأثيرا وأرسخ فى الذهن وأثبت .

وفرق بين إعمال الفكر وإطالة النظر الذى يحتاجه التشبيه البعيد وبين إطالة التفكير فى التعقيد الذى يخل بفصاحة الكلام ؛ لأن إطالة التفكير وإنعام النظر فى التشبيه الغريب إنما هو غوص وراء المعانى اللطيفة والأسرار الدقيقة وذلك أن عدم ظهور وجه الشبه عند النظرة الأولى لا ينشأ عن خلل فى بناء التشبيه وإنما ينشأ من دقة المعنى وغرابته مما يحوج إلى إطالة النظر فيما صنع الشاعر ، هل استقصى الصفات الجامعة بين الطرفين أم لا ؟ وإذا اشترط هنا شرطا فهل اشترطه هناك ؟ وهل لهذا الشرط مدخل فى التشبيه ؟ وإذا بالغ فى صفة فى جانب المشبه فهل راعى هذه المبالغة فى الجانب الآخر . وهكذا ندور فى تفتيشنا حول استقصاء جوانب الشبه واستخراج دقائق التشبيه التى لا تظهر لنا عند النظرة الأولى :

فمثلا قول البحترى فى المديح :

دان على أيدى العفاة وشاسع — عن كل ند فى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه — للعصبة السارين جد قريب

يحتاج منا إلى إطالة النظر والتأمل لندرك أنه أراد بالشسوع فى جانب المشبه بعد المنزلة والمكانة لا بعد المكان ، ونعرف السر فى أنه قال فى جانب المشبه به أفرط فى العلو ليقابل ما أثبته فى جانب المشبه من شدة البعد المعنوى عن الأنداد ، ونقف على هدفه من

المبالغة فى قوله : "جد قريب" ليشاكل بين حالتى القرب والبعد فى بلوغ كل منها حد النهاية ، فإطالة النظر إذا إنما هى للوقوف على دقة الصنع وإبراز الحسن وجمال التعبير .
أما إطالة التفكير لعدم ظهور المعنى فى التعقيد اللفظى فالسبب فى ذلك يرجع إلى خلل واقع فى تركيب الكلام بعدم جريانه على قوانين النحو المشهورة فى نظام بناء الجملة وترتيب أجزائها بالتقديم والتأخير ونحو ذلك ، وفى التعقيد المعنوى يرجع إلى خلل فى استعمال الأساليب المجازية على غير شروطها المرعية كاستعمال الاستعارة بقرينة خفية لا ينكشف بها المعنى المراد . ولذا كان التعقيد مذموما معيبًا لأننا نطيل النظر فيه حتى نصل إلى المراد بدون فائدة وبلا ثمرة تجنى .

وسائل التصرف فى التشبيه القريب بما يجعله غريبا :

يستطيع الأديب المتمكن أن يتصرف فى التشبيه القريب المبتذل فيخرجه عن ابتذاله ويحوله إلى تشبيه غريب بعيد بإحدى الوسائل الآتية :

١ - أن يثبت للمشبه به صفة لا يتأتى وصفه بها ثم ينتزعها منه ويبنى على انتزاعها تفضيل المشبه على المشبه به . كقول المتنبى مادحا :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا ... إلا بوجه ليس فيه حياء

فى البيت تشبيه ضمنى لوجه الممدوح بالشمس . وتشبيه الوجه بالشمس تشبيه قريب مبتذل ولكن المتنبى تصرف فيه بجعله الحياء صفة من صفات الشمس ثم انتزعها منها وجعل الشمس تفقد حياءها بجرأتها على الظهور أمام الممدوح ، وهذا التصرف أكسب التشبيه غرابة وأزال عنه صفة الابتذال والقرب .
وقد يثبت الأديب الصفة ولا ينتزعها كقول أبى نواس مادحا أيضا :

إن السحاب لتستحيى إذا نظرت ... إلى نداك فقاسته بما فيها[1]

---

(١) الندى : الكرم ، وما فى السحاب : هو المطر .

التشبيه فـى البيـت ضمنـى كذلـك وهـو تشـبيه للمـدوح بالسـحاب فـى الكـرم والإغاثة ، وتشـبيه الممـدوح بالسـحاب تشـبيه قريـب مبتـذل ولكـن تصـرف أبـى نـواس وإضافته صفة الاستحياء للسحاب أزال ابتذاله وحوله إلى غريب بعيـد والفـرق بـين هـذا التشبيه وبين التشبيه فى بيت المتنبى أن الصفة هنا باقية وهناك مسلوبة .

٢ – أن يضيـف إلى التشـبيه مـا يفيـد تسـاوى الطرفـين فـى وجـه الشـبه بحيـث لا نستطيع أن نحدد أيهما مشبه وأيهما مشبه به ..

كقول أبى تمام :

فـردت علينـا الشـمس والليـل راغـم

بشـمس لهـم مـن جـانب الخـدر تطلـع

فـوا لله مـا أدرى : أأحـلام نـائم

ألمت بنـا أم كـان فـى الركـب يوشـع[(١)]

استعار لفظ "الشمس" لحبيبته الحسناء فهـى اسـتعارة مبنيـة علـى تشـبيه الحسـناء بالشمس وتشبيه الحسان أو وجوههن بالشمس تشبيه قريب مبتذل فصيره أبـو تمـام بعيـدا غريبا بما أضافه إليه من تساؤلات تسوى بين الطرفين مبالغة فى إضاءة وجـه الحبيبـة التـى بدت من جانب الخدر فبددت ظلام الليل وبدت جوانب الأفـق مضيئـة سـاطعة وعندئـذ

(١) راغم : اسم فاعل من رغم بمعنى : ذل وإنما حصل هذا لليل لزواله بطلوعها..والخدر : الستر الذى يمد للجارية أو كل ما يتوارى به .. ألمت : نزلت .. أم كان فـى الركـب يوشـع : يشـير إلى قصـة يوشع بن نون فتى موسى – عليهما السلام – واستيقافه الشمس فقد روى أنه قاتل الجبـارين يـوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل فى السـبت فـلا يحـل له القتال فدعا الله فرد الشمس حتى فرغ من قتالهم .

تعجب وتساءل فى حيرة : أهذا الـذى أرى حلمـا ؟ أم وجـه الحبيبـة أزاح ظلمـة الليـل ؟ أم كان يوشع – عليه السلام – فى ركب القوم فرد بدعائـه الشـمس بعـد مغيبهـا ؟ هـذا التشكك وتلك التساؤلات سوت بين الطرفين وحولت التشبيه من قريب مبتذل إلى بعيـد غريب .

٣ – التشبيه المشروط : وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به بقيـد يـبرز فضـل المشـبه على المشبه به .. وذلك كالتقييد بأسـلوب الشـرط أو الاسـتثناء أو الاسـتدراك فمـا جـاء بأسلوب الشرط قول رشيد الدين الوطواط :

عزماتـــه مثـــل النجـــوم ثواقبـــا   لـــو لم يكـــن للثاقبـــات أفـــول

شبه عزائم الممدوح التى تخترق المصاعب بالنجوم التـى تثقـب الظـلام وتبـدده .. وتشبيه العزائم بالنجوم قريب مبتذل فصيره الشـاعر بهـذا الشـرط بعيـدًا غريبًـا إذ جعـل العزائم تفوق النجوم وتفضلها لأنها نافذة الأثر على الدوام والنجوم أثرهـا مقصـور على وقت طلوعها دون وقت أفولها ..

ومنه قول بديع الزمان الهمذانى :

يكـاد يحكيــك صــوب الغيــث منســكبا

لـــو كـــان طلـــق المحيـــا يمطـــر الذهـــب

والبـدر لـو لم يغـب والشـمس لـو نطقـت

والأسـد لـو لم تصـد والبحـر لـو عـــذب[1]

فهذه التشبيهات قريبة مبتذلة ولكـن الشـاعر أزال ابتذالهـا وحولهـا إلى تشـبيهات بعيدة بإضافة أساليب الشرط المذكورة .

---

[1] الغيث : المطر ، وصوبه : عطاؤه ، والمحيا : الوجه ، وطلق الوجه : ضاحكه .

ومما جاء بأسلوب الاستثناء قول أبى تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك ذوابل[1]

فتشبيه النساء ببقر الوحش فى جمال العيون وحسنها تشبيه قريب مبتذل وكذلك تشبيههن بالرماح الخطية فى اعتدال القامة ولكن إضافة هذا الشرط "الاستثناء" حولت التشبيهين من الابتذال إلى الغرابة ، فالنسوة يفضلن البقر الوحشى بالأنس والملاطفة ويفضلن الرماح بالنضارة والنعومة .

ومما جاء بأسلوب الاستدراك قول ابن بابك :

ألا يا رياض الحَزْن من أبرق الحمى
نسيمك مسروق ووصفك منتحل
حكيت أبا سعد فنشرك نشره
ولكن له صدق الهوى ولك الملل[2]

شبه فى البيت الأول رقه نسيم الروض برقه طبع الممدوح وطيب خلقه تشبيها ضمنيا مقلوبا .. ثم شبه فى البيت الثانى رقة النسيم أيضا برقة طباع الممدوح تشبيها صريحا مقلوبا : فنشرك نشره ، واستدرك فجعل الممدوح أفضل من النسيم لما له من دوام المحبة وتعلق القلوب به ولما للنسيم من الملل والسأم إذا ما لم تحتمله الأجساد .. فالتشبيه فى البيتين قد تحول من الابتذال والقرب إلى البعد والغرابة بسببين : ما شرط فيه بالاستدراك ومجيئه مقلوبا .

---

(١) المها : بقر الوحش ، واحده : مهاة ، والقنا : الرماح واحده قناة ، والخط : اسم بلد تصنع فيها ، والذوابل : الجافة .

(٢) الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة ، وأبرق الحمى : موضع . والنسيم : الرائحة ، والوصف : النضارة والبهجة ، ومنتحل : مدعى .. والنشر : الرائحة.. وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم .

٤ – قلب التشبيه : وقد يخرج التشبيه عن الابتذال إلى الغرابة بالقلب وادعـاء أن المشبه أتم من المشبه به فى وجه الشبه كقول البحترى :

فى طلعة البدر شـىء مـن محاسـنها   وللقضيـب نصيـب مـن تثنيهـا[(١)]

شبه طلعة البدر بمحاسن المرأة ، وتثنى القضيب بتثنيهـا تشـبيها ضمنيًـا مقلوبـا ، والتشبيه المقلوب يفيد المبالغة بجعل الأصل فى وجه الشبه فرعا والفرع أصلا وقد ازدادت هذه المبالغة بقوله : "شىء من محاسنها" و"نصيب من تثنيها" وكأن الشبه بينهما لا يتحقق إلا بقليل من الحسن وشىء يسير من التثنى وبهذا تحول التشبيه مـن الابتـذال إلى الغرابـة . ومنه قول ابن وهيب :

وبـدا الصبـاح كـأن غرتـه   وجـه الخليفـة حـين يمتـدح[(٢)]

فتشبيه وجه الخليفة بغرة الصباح تشـبيه قريـب مبتـذل ولكـن الشـاعر حولـه إلى تشبيه غريب عن طريق القلب بادعاء أن وجه الخليفة أصل فى الإشراق والضياء .

٥ – الجمع بين عدة تشبيهات : وكذلك يخرج التشبيه عن الابتـذال بجمـع عـدة تشبيهات تدور كلها فى نطاق واحد : كقول البحترى :

كأنمـا يبسـم عـن لؤلـؤ   منضـد أو بـرد أو أقـاح

شبه ثغر المرأة المبتسم باللؤلؤ المنظوم والبرد والأقاح وبهذا الجمع تحول التشبيه إلى الغرابة والبعد .. وكقول امرئ القيس :

---

(١) المحاسن : جميع حسن على غير قياس لأنه لا واحد لـه مـن لفظـه ، والقضيـب : الغصـن ، وتثنيهـا تمايلها وتبخترها .

(٢) الغرة فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس وقد استعيرت هنا لبياض الصبح .

لــه أيطــلا ظبــى وســـاقا نعامـــة وإرخاء ســرحان وتقريــب تتفــل[1]

شبه خاصرتى جواده بخاصرتى الظبـى فـى الضمـور وسـاقيه بسـاقى النعامـة فـى الصلابة والمتانة ، وجريه بإرخاء السرحان فى السهولة واللين وعدوه فــى سـرعة بتقريـب ولد الثعلب وكلها تشـبيهات تـدور حـول الفـرس فصـارت بهـذا الجمـع بعيـدة غريبـة . وازدادت لطفا وحسنا .

---

(1) أيطلا الظبى : خاصرتاه ، والسرحان : الذئب ، وإرخـاؤه : جريـه فـى سـهولة ، والتتفـل : ولـد الثعلب ، وتقريبه : عدوه بأن يرفع يديه معا وينزلهما معا عند جريه أو عدوه .

مبحث أدوات التشبيه

أدوات التشبيه : ألفاظ تدل على المماثلة والاشتراك بين أمرين وهى حروف وأسماء وأفعال . فالحروف هي : الكاف وكأن : أما الكاف : فهى الأصل لبساطتها وتفيد المشابهة فى جميع استعمالاتها والأصل فيها أن يليها المشبه به كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلاَمِ﴾[1] وكقول المعرى :

أنت كالشمس فى الضياء وإن جاوز ... ت كيوان فى علو المكان[2]

فلفظ : "الأعلام" فى الآية الكريمة ولفظ "الشمس فى البيت قد وليا الكاف وهما مشبه بهما . فإن وليها غير المشبه به كان مقدرا بعدها كما فى قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[3] . فالمشبه به فى الآية محذوف تقديره : أو كمثل ذوى صيب بدليل قوله فى الآية : ﴿يَجعلُونَ أصابِعَهم فِي آذانِهم﴾ وقوله فى الآية قبلها : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[4] ، فالآيات مسوقة لبيان حال المنافقين فيما يكابدونه من حيرة وشدة بسبب ظهور نفاقهم بعد أن توهموا أنهم قد أمنوا على حياتهم بإظهار الإسلام وقد مثلوا أولا بحال من هو فى أشد الحاجة إلى النار فاستوقدها فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، ثم مثلوا ثانيا بحال قوم أصابهم مطر شديد فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق مهلكة تهدد حياتهم بالموت وكانوا يتوقعون فيه النفع والرخاء .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٤ .

(٢) كيوان : زحل وهو أعلى الكواكب السيارة .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

ونظير ذلك فى دخول الكاف على مشبه به مقدرة قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾[1] . إذ لا شبه بين كون المسلمين أنصار الله وبين قول عيسى ، وإنما الشبه بين كونهم أنصارًا للنبى ﷺ وكون الحواريين أنصارًا لعيسى ، فوجب أن يكون التقدير : كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى ابن مريم : من أنصارى إلى الله .

وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك إذا كان المشبه به مركبا ويكون هذا المفرد له اتصال وثيق بالمشبه به المركب . كما فى قوله تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[2] .

فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء بل المراد تشبيه حالها فى نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بالهيئة الحاصلة من كون النبات بعد نزول الماء شديد النضرة والاخضرار ثم بعد ذلك تراه قد يبس فتطيره الرياح كأن لم يكن ، ووجه الشبه : التلف والهلاك عقب الإعجاب والاستحسان ، فالكاف هنا لم تدخل على المشبه به وهو النبات وإنما دخلت على لفظ الماء باعتباره عنصرا مهما فى تكوين النبات وأوراقه وفروعه وثماره .

وأما كأن فإنها تفيد المشابهة غالبًا وذلك إذا كان خبرها جامدًا ، ويليها المشبه نحو قوله تعالى : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[3] .

---

(١) سورة الصف ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة القمر ، الآية : ٧ .

وقولنا : كأن النجوم مصابيح ، يقول امرؤ القيس :

نظـرت إليهـا والنجـــوم كأنهـــا مصـــابيح رهبـــان تشـــب لقفـــال

شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها وتعهد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر حتى الصباح فكذلك النجوم زاهرة طوال الليل وتتضاءل للصباح كتضاؤل المصابيح لها . فإذا كان خبرها مشتقا فالأرجح أنها لا تفيد المشابهة وإنما تفيد الظن بوقوع الخبر الذى بعدها نحو قولنا : كأن زيدًا قائم وكأن السماء ممطرة . فالمعنى أننا نظن قيام زيد ونظن إمطار السماء لأن قائمًا صادق على زيد وممطرة صادقة على السماء ولا معنى لتشبيه الشيء بنفسه .

والأسماء التى تفيد التشبيه هى : مثل وشبه ومماثل ومحاك ومشابه ومضاه ونحوها مما يؤدى معنى المشابهة . فإن كان الاسم جامدًا وليه المشبه به نحو : هذا الرجل مثل الأسد وشبه البدر وإن كان مشتقا وليه المشبه نحو : أنت مماثل الأسد ومحاك البدر ومشابه عمرًا ومضاه حاتما ، فقد ولى الاسم فى هذه الأمثلة الضمير العائد على المشبه .

والأفعال التى تفيد التشبيه هى : شابه وحاكى ويشابه ويضاهى ونحوها من الأفعال المتعدية الدالة على معنى المشابهة . فإن كانت الأفعال لازمة كتشابه وتماثل فإنها لا تدل على التشبيه لأن التشبيه يقتضى إلحاق الأدنى فى وجه الشبه بالأعلى حقيقة أو ادعاء وهذه الأفعال اللازمة إنما تدل على وجود التشابه بين الشيئين المقتضى مساواة كل واحد منهما للآخر فى وجه الشبه . فقولنا تشابه عمرو وبكر فى الوفاء ، المعنى أنهما تساويا فيه وليس أحدهما أعلى منزلة من الآخر . والأمر ليس كذلك إذا قلنا : عمرو يشبه بكرًا لأنه يفيد أن بكرا أعلى مرتبة فى وجه الشبه من عمرو ولذا شبه به وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه نحو علم وتيقن إن قرب وجه الشبه وحقق وحسب وخال وظن إن بعد وجه الشبه عن التحقيق وخفى عن الإدراك فيقال : علمت محمدا بحرا وتيقنت أنه حاتم وحسبت عمرًا أسدا وخلته حاتما وظننته إياسًا . وإنما قلنا إن هذه الأفعال تنبئ عن

التشبيه لأن التشبيه فى الواقع مستفاد من الأداة المقدرة فيه كما فى نحو : محمد أسد وعمرو بحر .

هذا وتختلف أدوات التشبيه فى الدلالة عليه فما كان من التشبيه صادقا قلت فى وصفه : كأنه أو هو ككذا أو يشبه أو يماثل أو شبه كذا أو علمته بحرا ، ورأيته غيثا . وتيقنت أنه حاتم ، ونحو ذلك من الأفعال التى تنبئ بالتشبيه وتدل على اليقين .. وما قارب الصدق قلت فيه : تراه أو تخاله أو تحسبه أو يكاد ونحوها من الأفعال التى ترشد إلى التشبيه وتدل على الظن والرجحان أو المقاربة ، وقد علمت أن التشبيه لم يفد بهذه الأفعال وإنما أفيد بأداة مقدرة[1] .

---

(١) انظر عيار الشعر ، ص ٢٤ .

التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد

ينقسم التشبيه باعتبار ذكر أداته وحذفها إلى قسمين : تشبيه مرسل وتشبيه مؤكد .

فالتشبيه المرسل : ما ذكرت فيه أداة التشبيه نحو : أنت كالأسد ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾[2] وكقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه

أساريع ظبي أو مساويك إسحل[3]

والتشبيه المؤكد : ما حذفت منه أداة التشبيه كقوله تعالى : ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[4] أي : تمر مرًا كمر السحاب .

كيف تبنى جملة التشبيه المؤكد ؟

يختلف بناء جمل التشبيه المؤكد باختلاف الصيغ التعبيرية التي تدل على التشبيه وهي كثيرة أبرزها ما يلي :

---

(١) سورة الفيل ، الآية : ٥ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢١ .

(٣) تعطو : تتناول ، والرخص : اللين وصف لأصبعها ، والشثن : الغليظ ، والأساريع : جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والأماكن الرطبة أبيض اللون معتدل الطول ناعم الملمس محمر الرأس تشبه به أنامل النساء.. وظبي : اسم موضع ، والإسحل : شجر له غصون يستاك بها .

(٤) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

١ – أن يقع المشبه به خبرا للمشبه سواء كان المشبه مذكورًا فى الكلام كقول الحماسى :

هم البحور عطاء حين تسألهم وفى اللقاء إذا تلقى بهم بُهُم[(١)]

وقول امرئ القيس :

فعيناك غربا جدول فى مفاضة كمر الخليج فى صفيح مصوب[(٢)]

شبه سيلان الدموع من العينين بسيلان الماء من غربى الجدول وأداة التشبيه محذوفة وقد وقع المشبه به خبرا للمشبه كما فى البيت السابق : "هم البحور" فهما تشبيهان مؤكدان ثم شبه سرعة جريان الدموع من العينين بسرعة مر الماء فى الخليج المنحدر تشبيها مرسلا لأن الأداة مذكورة كما ترى .. أو كان المشبه مقدرا كما فى قوله تعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَرجِعُونَ﴾[(٣)] وكقول عمران بن حطان :

أسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فالمشبه مبتدأ محذوف تقديره : هم صم : وهو أسد .. ونعامة وقد وقع المشبه به خبرا له .

---

(١) البهم : واحده بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى لاستبهار شأنه .

(٢) الغربان : الدلوان ، والمفاضة : الأرض الواسعة ، والجدول : النهر الصغير وأراد به هنا : البئر ، الخليج : النهر الصغير الذى يتفرع من النهر الأعظم والمراد به هنا : مجرى الماء إلى الروضة ، والصفيح : حجارة كبيرة على جانبى الجدول لئلا يتهدم والمصوب : المنحدر ، وهو أسرع لجرى الماء .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨ .

٢ – أن يقع المشبه به حالا صاحبها هو المشبه كما فـى قولـه تعـالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[١] فقد شبه النبى – عليه الصلاة والسلام – بالسراج المنير والمشبه به حـال وصـاحب الحـال هـو الضمير المنصوب فى قوله تعالى : "أرسلناك" العائد على النبى – عليه الصلاة والسلام – .

٣ – أن يقع المشبه به مضافا إلى المشبه كقول ابن خفاجة الأندلسى :

والريـح تعبـث بـالغصون وقـد جـرى

ذهـب الأصيـل علـى لجـين المـاء[٢]

شبه الماء باللجين وقد وقع المشبه به "اللجين" مضافا إلى المشبه "الماء" . أما ذهب الأصيل فإن أريد بالأصيل أشعة الشـمس قبيـل الغـروب فهـى مشبه والذهـب مشبه بـه ويكون من إضافة المشبه به إلى المشبه وإن أريد بالأصيل : الوقت ، كانت الجملة من قبيل الاستعارة ويكون هدف الشاعر أن يعبر عن صفرة شعاع الشمس فى هذا الوقت فشبهه بالذهب واستعار له لفظ الذهب على سيل الاستعارة التصريحية .. ومنه قول ابن حمديس الصقلى يصف تقوس الهلال :

كأنمـا أدهـم الإظـلام حـين نجـا

مـن أشـهب الصبـح ألقـى نعـل حـافره[٣]

---

[١] سورة الأحزاب ، الآيات : ٤٥-٤٦ .

[٢] الأصيل : المراد بها إما أشعة الشمس قبيل الغروب وإما الوقت ما بين العصر والمغرب . واللجين : الفضة .

[٣] الأدهم : الفرس الأسود ، والأشهب : الفرس الأبيض ، والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب ، وقد استعير النعل الذى يكون فى رجل الفرس للهـلال لمشـابهته لـه فـى الدقـة والانعطاف .

شبه ظلام الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب وقد وقع المشبه به مضافا إلى المشبه فى التشبيهين ثم استعار نعل الحافر للهلال . وفى البيت تخييل حسن بديع حيث صور الشاعر لنا معركة بين الليل والصبح انتصر فيها الصبح وفر الليل منزعجا من مطاردة الصبح له واستعان الليل على سرعة الفرار والهرب بإلقاء نعله ليكون ذلك عونا له على سرعة الفرار والنجاة ، وقد أخذ الشاعر من مخلفات المعركة نعل حافر الفرس فشبه به الهلال وبنى على التشبيه استعارته الغريبة .

ومثل قول الشريف الرضى يدعو الله أن يرطب قبور أحبابه :

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت ... حوامل المزن فى أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت ترضعه ... على قبوركم العرّاضة الْهَمِعُ[1]

شبه المزن بالحوامل والنبت بالجنين وقد وقع المشبه به وهو "الحوامل" و"الجنين" مضافا إلى المشبه وهو : "المزن" و "النبت" .

والمعنى : ما زال السحاب الممتلئ بالماء الشبيه بالحوامل الممتلئة بطونها بالأجنة يسقط على قبوركم ، ولا يزال النبات الأخضر المورق الشبيه بالأجنة الصغيرة يرويه على قبوركم السحاب الممطر .

أما الوضع والإرضاع فهما ترشيح للتشبيه ويجوز أن نجعل كلا منهما استعارة مستقلة بأن نشبه سقوط الأمطار من السحاب بوضع المرأة جنينها . وتغذية الماء النازل من السحاب للنبات بإرضاع الأم ولدها باللبن ثم حذف المشبه واشتق من المشبه به "الوضع والإرضاع" : تضع وترضع على سبيل الاستعارة التبعية . ومنه قول البحترى :

غمام سماح لا يغب له حيا ... ومسعر حرب لا يضيع له وتر[2]

---

(1) أرسى : ثبت وهى جملة دعائية . والمزن : السحاب ذو الماء ، والأجداث : القبور ، والعراضة : السحاب العريض والهمع : الممطر .

(2) السماح : الجود والكرم ، ومسعر الحرب : مشعلها ، والوتر : الثأر .

شبه السماح بالغمام وقد جاء المشبه به "الغمام" مضافا إلى المشبه وهو "السماح" .

٤ - أن يقع المشبه والمشبه به مفعولين لفعل من الأفعال التى تنصب مفعولين مثل علم ورأى وحسب وظن وخال ونحوها فهذه الأفعال تنبئ بالتشبيه وترشد إليه وليس أدوات بل الأداة تكون مقدرة .. من ذلك قولنا : علمت محمدا بحرا ورأيته أسدا وحسبت الرجل شمسا وخلته بدرا وظننته كوكبا . فقد وقع كل من المشبه والمشبه به مفعولين للأفعال المذكورة وهذه الأفعال قد أنبأت بالتشبيه ، أما الأداة فهى مقدرة والتقدير : علمت محمدا كالبحر .. وكالأسد .. إلخ .

ومن ذلك قول البحترى :

وإذا الأسنة خالطتها خلتها　　　فيها خيال كواكب فى الماء[1]

شبه الأسنة إذا خالطتها الدروع بخيال الكواكب تبدو فى الماء بجامع الصفاء واللمعان فالمشبه هو الضمير المنصوب فى "خلتها" العائد على الأسنة مع الجار والمجرور "فيها" والضمير فى "فيها" يعود إلى الدروع . والمشبه به : "خيال كواكب فى الماء" ولا يخفى أن المشبه والمشبه به قد وقعا مفعولين للفعل "خال" الذى أرشد إلى التشبيه وأن أداة التشبيه هى الكاف المقدرة والتقدير : خلتها فيها كخيال كواكب فى الماء .

---

(١) الأسنة : الرماح ، والضمير فى خالطتها يعود إلى الدروع وفى خلتها للأسنة . يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين يبدو فى الماء لأن الأسنة تكون لامعة كالكواكب والدروع تكون صافية كالماء .

مبحث أغراض التشبيه

هذا هو الركن الخامس من أركان التشبيه وهو الغرض منه أو الأسباب والدواعى التى تحمل الأديب على عقد التشبيه أو الغاية التى يرمى إليهـا البليـغ بتشـبيهه ويقصـد إلى تحقيقها أو الفائدة التى يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع باستخدام الأسلوب التشبيهى . وهذه الأغراض تعود فى الغالب إلى المشبه وقد يرجع بعضها إلى المشبه به .

الأغراض العائدة على المشبه :

١ – بيان إمكان وجوده وذلك إذا كان المشبه مـن الأمـور الغريبـة التـى يستبعد حصولها ويدعى استحالتها ، كما فى قول المتنبى :

فـإن تفـق الأنـام وأنـت منهـم فـإن المسـك بعـض دم الغـزال

ادعى المتنبى أن ممدوحه قد تناهى فى الصفات الفاضلـة إلى حـد صـار بـه جنسـا منفردا بذاته أشرف من جنس الإنسان وهو فى الواقع منهم ، وهذه دعـوى بعيـدة غريبـة تحتاج إلى بيان إمكانها وإثبات أن لها نظـيرا فـى الموجـودات الثابتـة .. ولـذا قـال : "فـإن المسك بعض دم الغزال" وعلى الرغم من أنه من جنس الدماء إلا أنه تنـاهى فـى الصفـات الشريفة إلى حد يتوهم لأجله أنه نوع آخر غير الدم لتفوقه بشرف رائحته .. والتشبيه فـى البيت ضمنى ، المشبه : حال الممدوح فى تفوقه على أهل زمانه تفوقا صار به كأنه جنـس منفصل عنهم ، والمشبه به : حال المسك فى تفوقه بشرف رائحته على الدماء حتـى صـار كأنه جنس آخر .

ووجه الشبه : خروج بعض أفراد الجنس بفضائله عن جنسه مع ملاحظة الأصـل فى بقائه داخل الجنس بالانتساب إليه .

والغرض من التشبيه : بيان إمكان المشبه بإثبات نظير له كما بينا .

ومن ذلك قول البحترى :

دان على أيـدى العفـاة وشاسـع عـن كـل نـد فـى النـدى وضريـب

كـالبدر أفـرط فـى العلـو وضـوؤه للعصبـة السـارين جـد قريـب

وصف الممدوح بصفتين متناقضتين فى الظاهر ثم زال هذا التناقض الظاهرى بالمشبه به الذى بين أن لما ادعاه الشاعر نظيرا فى الوجود .

وقول ابن الرومى :

قـالوا : أبـو الصقـر مـن شيبان قلـت لهـم

كـلا لعمـرى ولكـن منـه شـيبان

كـم مـن أب قـد عـلا بـابن ذرا شـرف

كمـا عـلا برسـول الله عدنـان

فالمشبه : أبو الصقر وقد شرفت به قبيلته وتلك دعوى غريبة لأن العادة أن يشرف الفرع بالأصل لا العكس ولكن المشبه به وهو رسول الله ﷺ وقد شرفت به عدنان أى العرب قاطبة قد أزال هذه الغرابة إذ بين أن لها نظيرا فى الوجود .

٢ - بيان حال المشبه بمعنى إيضاح صفته وذلك إذا كانت صفة المشبه مجهولة وحاله غير معلومة للمخاطب فيقصد المتكلم إلى بيان هذه الصفة وإيضاح تلك الحال .. من ذلك قول الأعشى :

كـأن مشـيتها مـن بيـت جارتهـا

مـر السـحابة لا ريـث ولا عجـل

شبه مشية المرأة من بيت الجارة حين تزورها بمرور السحابة التى تحمل المطر والغرض بيان حال المشبه . وقول الآخر :

كـأن سـهيلا والنجـوم وراءه صفـوف صـلاة قـام فيهـا إمامهـا

شبه هيئة سهيل وقد تقدم النجوم بهيئة الإمام يتقدم الصفوف فى الصلاة والغرض بيان حال المشبه وإبراز هيئته .

ومن ذلك تشبيه الشعر بالليل فى السواد والوجه بالبدر فى الإشراق والخد بالورد فى الحمرة . فهذه التشبيهات أفادت المخاطب لون الشعر وإشراق الوجه وحمرة الخد فاتضح لديه حال المشبه وبانت عنده صفته .

٣ – بيان مقدار الحال وذلك إذا كانت صفته معلومة للمخاطب والمجهول مقدارها من القوة والضعف أو الزيادة والنقصان .

من ذلك قولنا : سواد هذا الشعر كسواد الليل وحمرة هذا الوجه كحمرة الورد . فالمخاطب يدرك من التشبيه هنا مقدار السواد والحمرة لا نفس الصفة ، ومنه قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كمُرْهَفَة الحداد[1]

فسواد المداد معلوم والتشبيه أفاد شدته ورهافة الأقلام معروفة والتشبيه أفاد عظم دقتها ، وقول الآخر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

أفاد التشبيه مقدار حاله فى علاقته بفتاته وأنه بلغ أقصى غاية فى الحرمان وخيبة الأمل .

٤ – تأكيد حال المشبه وتقريرها فى نفس السامع . وذلك إذا كان كل من الحال ومقدارها معلومين وأريد بالتشبيه تأكيد انصاف المشبه بالصفة كتشبيه من لا يحصل

---

(١) الخافية : إحدى ريشات عشر فى مقدم الجناح يقال لها خواف . والمرهفة : المدقة ، والحداد جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع .

من سعيه على طائل بالراقم على الماء وبالقابض عليه . وتشبيه الحائر الذى يتخبط فى أمره بالتائه فى صحراء مظلمة . ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[1] ، بين التشبيه فى الآية ما لم تجر به العادة وهو رفع جبل الطور فوق رءوس اليهود بما جرت به العادة وهو الغمامة أو المظلة وذلك لتأكيد وتقرير هذا الأمر الحاصل .

وقول ابن الرومى :

بـــذل الوعـــد للأخـــلاء سمحـــا ... وأبـــى بعـــد ذلـــك بـــذل العطـــاء

فغـــدا كـــالخلاف يـــورق للعيـــ ... ـــن ويـأبى الإثمـــار كـــل الإبـــاء[2]

فالشاعر بين فى البيت الأول صفة المشبه ومقدارها من بذل الوعود وعدم الوفاء بها ثم جاء بالمشبه به فى البيت الثانى ليقرر ذلك ويؤكده .

٥ – تزيين المشبه وتجميله . وذلك عند إرادة مدحه والترغيب فيه .

كقول النابغة مادحا :

فـإنك شمـــس والملـــوك كواكـــب ... إذا طلعت لم يبـد منهـــن كوكـــب

وقول الآخر يصف جارية سوداء :

أكســـبها الحـــب أنهـــا صبغـــت ... صبغـــة حـــب القلـــوب والحـــدق

أبرز التشبيه فى البيتين تزيين المشبه للترغيب فيه .

٦ – تشويه المشبه وتقبيحه وذلك عند إرادة الذم والتنفير منه كقول الشاعر :

وإذا أشـــــار محدثـــــا فكأنـــــه ... قـــرد يقهقـــه أو عجـــوز تلطـــم

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

(٢) الخلاف : صنف من الصفصاف وليس به . وهو يورق ولا يثمر سمى خلافا ؛ لأن السيل يـأتى بـه سبيًا فينبت من خلاف أصله .

وقول الآخر فى وصف مغن مقبحا صوته :

وإن شـــــــدا فصوتــــــــه صـــــوت دجـــــاج يمســـــك

وكقوله فى تشويه الأنامل وتقبيحها :

وترى أناملها دبـت على مزمارهـا كخنـــافس دبـــت علـــى أوتـــار

فهذه التشبيهات قد أبرزت المشبه فى صورة مشوهة قبيحة . وقد أشار ابن الرومى إلى الغرضين السابقين بقوله :

تقـول هـذا مجـــاج النحـــل تمدحـــه وإن تعب قلـت ذا قئ الزنابـــير[1]

فعند إرادة تزيين الريق وتجميله تصفه بمجاج النحل وعند إرادة تقبيحه والتنفير منه تشبهه بقئ الزنبور .

٧ - إثارة الشعور باستحسان المشبه واستطرافه : وذلك بأن يكون المشبه بـه مما يندر خطوره بالبال لكونه لا وجـود له فى الواقع أو للبعد بين المشبه والمشبه به فى الجنس . فيظهر المشبه عندئذ فى صورة الشىء العجيب الذى يثير فى النفس كوامن الاستحسان والإعجاب . من ذلك تشبيه فحم فيه جمر متقد ببحر من المسك موجه الذهب ، وتشبيه محمر الشقيق بأعلام من ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه النيلوفر بدبابيس عسجد قطبها من زبرجد ، وتشبيه النجوم فى أديم السماء بدرر نثرن على بساط أزرق . ففى هذه التشبيهات نجد المشبه بـه من المركبات الخيالية التى يندر خطورها بالذهن ولذا برز المشبه فى صورة عجيبة ممتنعة تثير فى النفس كوامن الاستحسان والإعجاب والاستطراف ومن التشبيهات التى جمع فيها الشاعر بين طرفين

---

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : عسله ، والزنابير جمع زنبور وهو : ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

متباعدين فى الجنس فأثار بهذا الجمع استحسان النفس واستطرافها للمشبه ، تشبيه الثريا بعنقود العنب المنور . وتشبيه البرق بمصحف القارئ . وتشبيه زهر البنفسج بأوائل النار فى أطراف كبريت وتشبيه الفرس بجلمود الصخر[1] .

فمجئ المشبه به فى هذه التشبيهات من جنس بعيد عن جنس المشبه يجعل حضور المشبه به وخطوره بالبال نادرًا عند حضور المشبه فيه ، الأمر الذى يحتاج من الأديب إلى إطالة النظر ليجمع بين الطرفين المتباعدين ومن هنا كان استحسان المشبه واستطرافه .

ومما جاء من ذلك أيضا قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كأن إبرة روقه　　　قلم أصات من الدواة مدادها[2]

شبه الشاعر طرف قرن الظبية بقلم أصاب من الدواة مدادًا ولا يخطر ببال أحد وبخاصة إذا كان بدويا أميا لم يمارس الكتابة والقلم ، لا يخطر بباله عندما يرى قرن الظبية أقلام ومداد الدواة ولذلك نجد جريرا قد أشفق على عدى حين سمع الشطر الأول من البيت وقال : ماذا يقول هذا الأعرابى الجلف بعد ذلك وبم يشبه ؟ فلما قال : "قلم أصاب من الدواة مدادها" فجاء بالمشبه به من مكان أبعد ما يكون صلة بالمشبه مع إحكام وجه الشبه بين الطرفين تحولت شفقة جرير على عدى إلى حسد له لأنه أحس بفطنته وبمقدرته على الإتيان بما لا يستطيع هو أن يأتى به[3] .

---

(1) قد مرت بك هذ التشبيهات فارجع إليها .

(2) تزجى : تسوق والضمير للظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة وهو ولدها ، والروق : القرن ، وإبرته : طرفه .

(3) انظر الإيضاح ، جـ٣ ص ٤٣ .

وهكذا كلما تباعد الطرفان فى الجنس أثار التشبيه فى النفس كوامن الاستحسان والاستطراف لأنه يرينا الشيئين مثلين متباينين ومختلفين مؤتلفين ويرينا الصورة الواحدة فى السماء والأرض وفى خلقة الإنسان وخلال الروض ، ومبنى الطباع على أن الشىء إذا برز من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت النفس به أشغف وأعجب . وأعجب من هذا إذا شبه الشىء الواحد بضدين فى آن واحد كما يقال فى الممدوح : هو حياة لأوليائه موت لأعدائه وكقول أبى على محمد بن الحسين :

أنا نار فى مرتقى نظر الحا سد ماء جار مع الإخوان

وقول أبى تمام فى صفة الشيب :

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع[1]

وتشبيه الشىء الواحد بضدين يبرز المشبه فى صورة عجيبة غريبة ويثير فى النفس كوامن الاستحسان والتعجب والاستطراف[2] .

ما الذى يشترط فى وجه الشبه لتحقيق تلك الأغراض ؟

يرى بعض البلاغيين أن تحقيق تلك الأغراض وإفادتها إفادة تامة يقتضى أن يكون وجود وجه الشبه فى المشبه به أقوى وأتم وأشهر وأعرف من وجوده فى المشبه . فإذا قلنا : هذا الرجل كالأسد شجاعة ، وجب أن يكون وجود الشجاعة فى الأسد أقوى وأكمل من وجودها فى الرجل الشجاع وكذا يشترط أن يكون اتصاف الأسد بها أشهر وأعرف عند الناس وأظهر وأوضح لديهم من اتصاف الرجل الشجاع بها[3] .

---

(١) الأسفع : الأسود المشرب بحمرة والاسم منه : السفعة .

(٢) انظر أسرار البلاغة ، جـ١ ص ٢٤٦-٢٤٨ .

(٣) انظر الإيضاح ، جـ٣ ص ٤٠ .

ولكن الأرجح وما عليه أكثر البلاغيين أن هذا الحكم ليس على إطلاقه فالذى يشترط فى وجه الشبه كى تتحقق هذه الأغراض أن يكون وجوده فى المشبه به أشهر وأعرف وأظهر وأوضح لأننا نلحق الغامض بالواضح كى يتضح الغامض فإذا كان الوجه فى المشبه به أقل وضوحا منه فى المشبه ما صلح أن يكون بيانا له . أما من حيث القوة والكمال فالأمر يختلف حسب الغرض المراد من التشبيه فإذا كان الغرض تقدير وتأكيد ثبوت الصفة فلابد أن يكون وجه الشبه أقوى وأتم فى المشبه به من المشبه لأن الضعيف لا يصلح أن يكون مؤكدا ومقررا لما هو أكمل منه وأقوى . وإذا كان الغرض بيان المقدار فهو يحتاج إلى تساوى الطرفين فى وجه الشبه كى يتضح المقدار ولذا ينبغى أن يكون المشبه والمشبه به على قدر سواء فى الاتصاف بوجه الشبه . وإذا كان الغرض بيان إمكان المشبه فيكفى لإثبات إمكانه أن يوجد المشبه به وأن يحصل فى الخارج قويا كان أو ضعيفا . أما إذا كان الغرض تزيين المشبه أو تقبيحه أو استطرافه أو بيان حاله فيكفى لتحقيق هذه الأغراض وضوح وجه الشبه فى المشبه به دون حاجة إلى زيادته وقوته ، بل قد يكون وجه الشبه فى المشبه أقوى وأكمل منه فى المشبه به كما فى قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1] إذا لا يتأتى أن يكون نور المصباح فى المشكاة أقوى وأكمل من نور الله – جل جلاله – ولا مساويا له بل هو أضعف منه وأنقص كما لا يخفى .

ومن ذلك قول أبى تمام فى مدح أحمد بن المعتصم :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

---

[1] سورة النور ، الآية : ٢٥ .

فالمقام يقتضى أن يكون اتصاف الأمير أحمد بوجه الشبه أقوى وأتم من اتصاف هؤلاء المذكورين به ولذا لما أخذ على أبى تمام أن الأمير أكبر من أن يشبه فى ذلك بهؤلاء أنشد مرتجلا .

لا تنكروا ضربى لـه مـن دونـه ... مثلا شرودًا فى النـدى والبـاس

فـالله قـد ضـرب الأقـل لنـوره ... مثـلا مـن المشـكاة والنـبراس

وخلاصة القول فى هذا أن وجه الشبه من حيث الشهرة والوضوح يجب أن يكون فى المشبه به أشهر وأعرف وأظهر وأوضح حتى يتحقق الغرض من التشبيه أيًا كان هذا الغرض ومن حيث القوة والكمال يختلف وجوده حسب الغرض المراد من التشبيه كما بينا .

نقد وموازنة :

وبناء على ما اشترط فى وجه الشبه ضعف النقاد قول البحترى فى وصف ظلام الليل وبيان مقدار سواده :

على باب قنسرين والليل لاطخ ... جوانبه من ظلمة بمداد[1]

أراد أنه سهر مع إخوانه على باب هذه المدينة بعد أن نام الناس وغابت أعين الرقباء واسودت جوانب الأفق ثم أراد أن يعبر عن شدة سواد الليل ومقدار حلوكه فشبهه بالمداد الأسود والمداد أقل شهرة فى صفة السواد من الليل كما أنه أقل منه فى شدة السواد وبهذا لا يكون التشبيه محققا للغرض منه وهو بيان مقدار الصفة فى المشبه . واستحسنوا فى ذلك قول ابن الرومى :

حبر أبى حفص لعاب الليل ... كأنه ألوان دهم الخيل

---

(١) قنسرين : مدينة مشهورة بالشام قرب حلب .

يســيل للإخــوان أى ســيل بغــير وزن وبغــير كيــل[1]

حيث شبه الحبر بظلمة الليل فحقق بذلك الغرض من التشبيه وهو بيان مقدار سواد الحبر واستوفى الشرط الذى يقتضيه بيان المقدار من كون وجه الشبه فى المشبه به أشهر وأظهر إذا الليل أشهر فى الظلام من الحبر ، ومن وجوده على التساوى فى الشدة فى كل منهما . لأن الشاعر أراد المبالغة فى وصف الحبر بالسواد ، فسواد الحبر يساوى فى مقداره سواد الليل بناء على ما أراده الشاعر من المبالغة وإلا فإن سواد الليل أشد .

الأغراض العائدة على المشبه به :

يعود الغرض من التشبيه على المشبه به عند قلب التشبيه . والتشبيه المقلوب هو الذى يجعل فيه ما هو الأصل فى وجه الشبه مشبها وما هو الفرع مشبها به . فهو يقوم أساسًا على الفرض والتخييل والادعاء بجعل ما هو فرع فى وجه الشبه أصلا فيه وما هو أصل فرعا قصدا إلى المبالغة فى ثبوت وجه الشبه للفرع الذى صار أصلا . ولذا فإن الغرض العائد على المشبه به فى التشبيه المقلوب هو فى الواقع عائد على المشبه ، لأن المشبه به كان فى الأصل مشبها قبل أن يقلب التشبيه .

وأهم هذه الأغراض ما يلى :

١ - المبالغة فى اتصاف المشبه به بوجه الشبه وإيهام أن الوجه فى المشبه به أشهر وأقوى منه فى المشبه .

---

(١) لعاب الليل : المراد : ظلمة الليل وجعلها لعابًا ليجانس بينها وبين ما فى الحبر من سيولة . ودهم الخيل : سودها .

من ذلك قول ابن وهيب فى مدح الخليفة المأمون :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

جعل ما هو أصل فى الضياء وهو الصباح مشبها وما هو فرع فيه وهو وجه الخليفة مشبها به قصدا إلى المبالغة فى إعلاء شأن المأمون وتأكيد مدحه بإشراق الوجه . وقول البحترى :

فى طلعة البدر شىء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

جعل ما هو الأصل فى وجه الشبه وهو : طلعة البدر والقضيب مشبها وما هو الفرع فيه وهو محاسن الفتاة وتثنيها مشبها به بهدف المبالغة فى إثبات الوجه للمشبه به ثم ازدادت هذه المبالغة بشىء خارج عن إفادة التشبيه وهو جعل ما فى البدر وما فى القضيب شيئا قليلا ونذرا يسيرًا مما يوجد فى الفتاة . "شىء من محاسنها . نصيب من تثنيها"... ومنه قول الآخر :

رب ليل قطعته كصدود وفراق ما كان فيه وداع

جعل الصدود أصلا فى السواد والليل فرعا فيه وإن كان وجود السواد فى الصدود والفراق على طريق التخييل وفى الليل على جهة الحقيقة . ومنه قول الله – عز وجل – : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[1] . جعل مستحلوا الربا البيع فرعا فى الإباحة والحل ، والربا أصلا فيهما وذلك قصدا إلى المبالغة فى إثبات إباحة الربا واستجابة لأطماع نفوسهم وشدة حرصهم على جمع المال من أى طريق . وقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[2] جعلهم الله لتماديهم فى عبادة غير الله وتسميتهم لهذه

---

[1] سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

[2] سورة النحل ، الآية ١٧ .

المعبودات آلهة بمنزلة من يعتقد أن من لا يخلق أحق بالعبادة ممن يخلق فرعا ، ولذلك جعل من لا يخلق أصلاً فى استحقاق العبادة فشبه به ، وجعل من يخلق مشبها على طريق التشبيه المقلوب مبالغة فى تصوير جهلهم وتماديهم فى الشرك . وكان الأصل أن ينكر عليهم جعلهم غير الخالق شبيها بالخالق فى استحقاق العبادة .

٢ – بيان شدة الحاجة إلى المشبه به كتشبيه الجائع "البدر" فى إشراقه واستدارته بالرغيف . وتشبيهه المسك فى طيب رائحته بالشواء ، وذلك تنبيها إلى شدة حاجته للرغيف والشواء ويسمى هذا الغرض بإظهار المطلوب ، وهو لا يحسن إلا فى مقام الطمع فى حصول الشيء الذى جعل مشبها به .

موازنة :

وردت تعبيرات التشبيه فيها ضمنى وتفيد هذه التعبيرات المبالغة فى المديح بإشراق الوجه وإضاءته كقولهم : لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح . وغرته أضوأ أم البدر ونحو ذلك مما يفيد المساواة فى الإشراق والإضاءة بين الطرفين حتى أصبح من الصعب التفريق بينهما بالزيادة أو النقصان . كما ورد قولهم إذا أرادوا الإفراط فى المبالغة : نور الصباح يخفى فى ضوء جبينه ونور الشمس مسروق من نور وجهه ونحو ذلك مما يفيد أن نور الوجه والجبين تجاوزا فى الإضاءة والإشراق نور الصباح ونور الشمس . وعندما نقارن بين المبالغة فى هذه الأساليب والمبالغة فى بيت ابن وهيب .

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح

نجد أن المبالغة فى البيت قد فاقت المبالغة فى هذه الأساليب وذلك أنه فى المثالين الأولين وقفت المبالغة عند حد المساواة بين وجه الممدوح والصبح وبين غرته والبدر فى الإشراق والإضاءة فلم يصلا إلى مرتبة التشبيه فى البيت الذى أفاد أصالة وجه الخليفة فى الإشراق وجعل نور الصباح مقيسا عليه . وفى القولين الآخرين جاءت المبالغة على نفس القدر الذى جاءت عليه فى البيت مع فارق دقيق له اعتباره وهو أن المبالغة فى المثالين

مبالغة صريحة مكشوفة ليست مبنيـة علـى أصـل مسـلم فـى عقـول النـاس لأنهـا سيقت بأسلوب الخبر العام المتعرض للصدق والكذب . أما المبالغة فى البيت فهى مبالغـة مسـتترة خفية حيث بنيت على أصل ثابت فى عقول الناس وهو أن المشبه به فى كل تشـبيه أصـل فى وجه الشبه والمشبه مقيس عليه . فمجئ المبالغة عن طريق التشبيه تجعل السامع يتلقاهـا بالقبول والاستحسان لبنائها على أصل معتبر وطريق متبعة ..

التشابه

بتأمل التشبيهات المتقدمة فى أغراض التشبيه نجد أن الناقص من وجه الشبه قد ألحق بالزائد فيه بناء على ماتقرر من أن وجه الشبه يجب أن يكون أكثر وضوحا وظهوراً فى المشبه به منه فى المشبه . وفى بعض الأغراض يجب أن يكون أقوى وأتم سواء كان وضوحه وتمامه حقيقياً كما فى الأغراض العائدة على المشبه أو ادعائيا كما فى الأغراض العائدة على المشبه به ... فإذا لم يقصد بالتشبيه إلحاق الناقص بالكامل بل قصد تساوى الطرفين فى وجه الشبه بحيث يصلح كل واحد منهما لأن يكون مشبها ومشبها به دون ترجيح لأحدهما على الآخر .. فالأحسن عندئذ العدول عن صيغة التشبيه إلى صيغة التشابه ، كما فى قول أبى إسحاق الصابى :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فو الله ما أدرى أبالخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرب (١)

أراد أن الدمع والمدامة تساويا فى الحمرة أو فى الصفاء مساواة جعلته لا يستطيع أن يميز بينهما ولذا عدل عن التشبيه واستخدم صيغة التشابه وقد أكد هذه المساواة بالبيت الثانى الذى أفاد وقوعه فى الحيرة وعدم التمييز بين الدمع المسكوب والخمر المشروبة .

ومنه قول الصاحب بن عباد فى الخمر أيضا :

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر (٢)

---

١ - المدامة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامة شربه غيرها .. والعبرة : الدمع . والتشابه بين الخمر والدمع إما فى الحمرة فيكون ادعائيا وإما فى الصفاء فيكون حقيقيا .

٢ - القدح للكأس .. وكأن فى البيت الثانى للشك لا للتشبيه ...

ادعى المساواة بين الخمر والكأس في الصفاء فعدل عن التشبيه إلى التشابه ثم أكد هذه المساواة بالبيت الثاني الذى أفاد أنهما أشكلا عليه فلم يستطع أن يميز أحدهما من الآخر ..

ويجوز عند إرادة التساوى بين الطرفين فى الصفة استخدام صيغة التشبيه لأن العدول عنها إلى التشابه - كما قلنا - على جهه الأفضليةوالاستحسان ، ولذا جاز استخدام صيغة التشبيه عند إرادة التساوى بين الطرفين بقطع النظر عن زيادة وجه الشبه فى أحدهماعن الآخر ..كتشبيه غرة الفرس بالصبح بقصد المساواة بينهما فى وجه الشبه وهو "ظهور منير فى مظلم" وقطع النظر عما يوجد من تفاوت بين قوة الإشراق وسعة مداه في الطرفين ..وكذا تشبيه الصبح بغرة الفرس دون أن نعد ذلك من التشبيه المقلوب الذى يقتضى زيادة المبالغة. وكتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة والمرآة المجلوة بالشمس لمجرد اجتماعهما فى الاستدارة والتلألؤ دون نظر إلى ما بين نور الشمس ونور المرآة من تفاوت..وكتشبيه الشمس بالدينار الخارج من السكة فى قول ابن المعتز :

وكأن الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضرّاب (١)

وتشبيه الدينار بالشمس دون نظر إلى ما بينهما من تفاوت فى الحجم ومقدار التلألؤ... وكذا تشبيه ظهور ضوء الصبح بين ظلام الليل بعلم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم (٢)

(١) حدائد الضراب ، المراد بها آلات الصك .

(٢) الحله : كل ثوب جديد أو الثوب مطلقا .. والطراز : علم الثوب .. والمرقوم : المخطط

فقد نظر إلى مجرد حصول بياض فى سواد أكثر منه و لم ينظر إلى التفاوت بين مقدار البياض فى الصبح ومقداره فى العلم الأبيض ...وربما سأل سائل : إذا كان الطرفان متساويين فى وجه الشبه بغض النظر عما بينهما من زيادة أو نقصان فما الذى اقتضى جعل غرة الفرس مشبها والصبح مشبها به ثم العكس أو جعل الشمس مشبها والمرآة مشبهاً به ثم قلب التشبيه ما دامت المبالغة بالقلب غير مقصودة ..؟

والجواب : أن الذى اقتضى ذلك ليس ملاحظة ما بين الطرفين من زيادة أو نقصان وإنما ملاحظة أخرى ترجع إلى مقام الكلام ومدار الحديث فإذا كان الحديث يدور حول الفرس جعلت غرته مشبها ، وإذا كان يدور حول الصباح جعل هو المشبه لأن الحديث عنه والغرض من التشبيه متوجه إليه .. وكذا القول فى الشمس والمرآة أو الشمس والدينار فإن كان الحديث يدور حول الشمس قدمت وجعلت هى المشبه لأن العناية منصبة عليها والحديث إنما هو عنها وإن دار الحديث حول الدينار أو حول المرآة قدم ما يدور حوله الحديث وجعل مشبها لأنه موضع الاهتمام والغرض من التشبيه متوجه إليه...

التشبيه الحسن والتشبيه القبيح

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض منه إلى قسمين : تشبيه حسن مقبول وتشبيه قبيح مردود .

فالحسن المقبول : ماكان محققا للغرض الذى عقد التشبيه من أجله وافيا به بأن يكون وجه الشبه أشهر وأعرف فى المشبه به وذلك فى كل غرض من أغراضه . وأتم وأكمل إذا أريد تأكيد الصفة وتقريرها فى المشبه كتشبيه السفن بالجبال والرجل الضخم

بالفيل . وإذا كان الغرض بيان المقدار فيجب أن يكون الوجه على درجة واحدة فى الطرفين . وإن كان الهدف بيان الإمكان وجب أن يكون وجه الشبه مسلما به فى المشبه به حاصلا فيه معترفا به من المخاطب . وإن كان الغرض من التشبيه عائداً على المشبه به فإن صفتى الوضوح والكمال تكونان أكثر فى المشبه به على طريق التخييل والادعاء . إلى آخر ما وقفنا عليه من حديثنا عن أغراض التشبيه .

أما القبيح المردود : فهو ما أخل بالغرض المقصود من التشبيه و لم يف به . إما لعدم وجود شبه بين الطرفين . أو لكون الوجه بعيداً أو غير واضح فى المشبه به . وإما لتنافى التشبيه مع الذوق السليم ومجافاته للطبع القويم . فمن ذلك قول الكميت :

كأن الغطامط من غليها　　　أراجيز أسلم تهجو غفاراً (١)

فقد عابه نصيب وقال له : " **أخطأت ماهجت أسلم غفارا قط** " ومراده أن الواجب أن يكون التشبيه بشيء واقع معروف ... وقول الفرزدق :

يمشون فى حلق الحديد كما مشت　　　جرب الجمال بها الكُحَيْل الْمُشْعَل (٢)

شبه الرجال فى حلق الحديد بالجمال الجرب وهو تشبيه بعيد لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون ، إذ الحديد أبيض وإن أراد شيئا آخر فهو غير واضح ... ومع ما فيه من البعد ففيه أيضا سخف وغثاثه لتنافيه مع الذوق والطباع السليمه ...

وقول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه　　　سنا البدر فى دعجاء باد دجونها (٣)

---

١ - الغطامط : صوت غليان القدر . وفى لسان العرب مادة "غطمظ" ، أسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهمـــا مهاجاة ، وبهذا يكون الكميت قد شبه بشيء واقع معروف فلا عيب فى البيت .

٢- الكحيـل : القطران تطلى به الإبل وأشعل إبله بالقطران كثره عليها .

٣ - الدعجاء : السوداء صفة لموصوف محذوف والتقدير : ليلة دعجاء ، ودجونها : سوادها .

ورداءة هذا التشبيه ترجع الى أن الخدود بيض والمتعارف عليه أن يكون الخال أسود فتشبيه الخدود بالليل والخال بسنا البدر تشبيه ناقض للعادة ، ومخالف لما تعارف عليه الناس ..

وقول أيمن بن خريم فى مدح بشر بن مروان :-

فإنا قد وجدنا أم بشر　　　كأم الأسد مذكارا ولودا

فوجه الشبه : " **مذكارا ولوداً** " غير محقق فى المشبه به لأن أم الأسد ليست كذلك ..

وقول أعرابى فى صفة الشيب :

ومازلت ترجو نيل سلمى وودها　　　وتبعد حتى ابيض منك المسايح
مـلا حاجبيك الشيب حتى كأنه　　　ظباء جرى منها سنيح وبـارح(١)

شبه الشعر الأبيض فى حاجبيه بظباء سوانح وبوارح وليس هنالك وجه شبه واضح بين المشبه والمشبه به . . .

وقول آخر فى وصف روض :

كأن شقائق النعمان فيه　　　ثياب قد روين من الدماء

فالتشبيه مصيب والوجه محقق ولكن العيب أتاه من بشاعة ذكر الدماء وهو بصدد وصف زهر جميل فى روض أنيق . .

وقول بعض الأعراب يصف شدة غيرته :

فلو رأتنى أخت جيراننا　　　إذ أنا فى الدار كأنى حمار

---

١ - المسايح : جوانب الرأس ، والسنيح والسانح : ما ولاك ميامنه . والبارح : ما ولاك مياسره ، يتفاءل بالأول ويتطير من الثانى .

شبه نفسه بالحمار فى شدة الغيره ٠٠ فهم يقولون: "أغير من حمار" وهذا التشبيه وإن كان صحيحا فإنه لا يحسن بالإنسان أن يشبه نفسه بالحمار لاسيما بلفظ الإطلاق كما فى البيت ٠٠ لأن هذا يتنافى مع الذوق السليم ٠

وقول أبى عون الكاتب فى صفة الخمر تهتز فى زجاجتها وقد علاها زبد :

تلاعبها كف المزاج محبة ... لها وليجرى ذات بينهما الأنس

فتزيد من تيه عليه كأنها ... غريرة خدر قد تخبطها المــــس

فلو أن فى هذا كل بديع لكان مقيتا بشعا ٠٠٠ ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئا يشبه زبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس ٠٠؟

وقول الشنفرى يصف حركة السيوف فى القتال :

تراها كأذناب الحسيل صوادراً ... وقد نهِلت من الدماء وعَلَّتْ (١)

شبه حركة السيوف وقد ارتوت بدماء القتلى بحركة أذناب الحسيل عندما تلتقى بأمهاتها فهى تحرك أذنابها فرحة باللقاء ٠٠ ووجه الشبه وإن كان صحيحا وبخاصة إذا اعتبرنا أن لون الدماء قد قرب بين لون الأذناب ولون السيوف ٠٠ إلا أن الذوق السليم ينفر من مثل هذا التشبيه ٠

ومن تلك التشبيهات المعيبه ما مر بنا فى قول ابن شرف القيروانى فى معاقبة البرئ وترك الجانى :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم ... فكأننى سبابة المتندم

لعدم تحقق وجه الشبه فى المشبه به ٠٠

---

١ - الحسيل : ولد البقرة ويطلق على الواحد والجمع ٠٠ صوادراً : رواجعا يقال صدر عن الماء وعن البــــلاد: رجع٠٠والصدر نقيض الورد ٠٠ نهلت : النهل أول الشرب ٠٠ وعلت : العلل : الشربة الثانية ، والشرب بعد الشرب تباعا ٠٠ يقال علل بعد نهل ٠٠ والمراد : ارتواء السيوف بدماء القتلى٠

وقول البحترى فى وصف مقدار سواد الليل :

على باب قنسرين والليل لاطخ   جوانبه من ظلمة بمداد

لأن المشبه به وهو : "**المداد**" أقل شهرة واكتمالا فى صفة السواد من المشبه وهو الليل ...

هذا وقد عاب خصوم المتنبى قوله :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها   وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

إذ قالوا: أراد التناهى فى إطالة الوقوف فبالغ فى تقصيره فكم عسى هذا الشحيح أن يقف على خاتمه مهما بلغ شحه والخاتم مما لا يخفى فى التراب إذا طلب ، ولا يصعب الحصول عليه إذا فتش عنه .. وقد رد هذا القول بأن المتنبى أراد بالتشبيه : الصورة والصفة والهيئة التى يقف عليها بهذه الأطلال أى : لأقفن بها ذليلا خاضعا ، خاشعا متأملا ، كهيئة الشحيح فى وقوفه بحثا عن خاتمه فإنه يقف ذليلا خاضعا متأملا ... أو أنه لم يرد التسوية بين الوقوفين ، فى القدر والزمان والصورة ، وإنما أراد لأقفن وقوفا زائدا على القدر المعتاد ، خارجا عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف فى أمثاله .

ونظيره قول الآخر :

رب ليل أمد فى نفس العا   شق طولا قطعته بانتحاب

فنفس العاشق مهما بلغ من الطول لا يمتد امتداد أقصر أجزاء الليل ، والشاعر إنما أراد أن الليل زائد فى الطول على مقادير الليالى كزيادة نفس العاشق على الأنفاس .

التشبيــه الضمنى

هو التشبيه الذى يفهم من المعنى ويتضمنه سـياق الكـلام٠٠ والفـرق بينـه وبـين التشبيه الصريح أن التشبيه الصريح يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشـبيه المعروفه ، أما التشبيه الضمنى فيلمح فيه الطرفان من المعنـى ولا تبنـى جملتـه علـى إحـدى صور التشبيه التى عرفناها ٠ وغالبا ما يكون المشبه به فى التشبيه الضمنى برهانا وتعليلا للمشبه ٠

انظر الى قول أبى تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

شبه حال الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمم الجبال لا يسـتقر عليهـا مـاء السـيل ، و لم يأت التشبيه صريحا فى صورة من صور التشـبيه بـل جـاء ضمنيـا مفهومـا مـن معنـى الكلام وقد وقع فيه المشبه به تعليلا للمشبه ، كما ترى ٠

ومثله قول أبى الطيب :

من يهن يسهل الهوان عليه ماالجرح بميت إيلام

شبه حال من اعتاد الهوان فسهل عليه تحمله بحال الميت لا يتألم إذا جرح ، وقـد فهم التشبيه من المعنى فهو تشبيه ضمنى ٠٠٠ ومن ذلك قول الفرزدق يهجو جريرا:

ماضر تغلب وائل أهجوتها أم بلت حين تناطح البحران

شبه هجاء جرير "تغلب وائل" ببوله فى مجمع البحرين فكما أن بولـه فـى مجمـع البحرين لا يؤثر فكذلك هجاؤه "تغلب" قوم الفرزدق لا يبدو له أثر ٠

ومنه قولنا : لا أدرى : أوجهه أنور أم الصبح .. وغرته أضوأ أم البدر .. ونور الصباح يخفى فى ضوء وجهه .. ونور الشمس مسروق من نور جبينه ...

وقول المتنبى :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

وقول أبى نواس :

إن السحاب لتستحى إذا نظرت إلى نداك فقاسته بما فيها

وقول البحترى :

فى طلعة البدر شئ من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

فهذه التشبيهات جميعها ضمنية وقد مرت بك فارجع إليها ......

ومنه قول الفرزدق :

قوارض تأتينى وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيُفْعَمُ

شبه ضمنيا القوارض تأتيه ويحتقرها القوم بالقطر الذى يملأ الإناء على صغر مقداره ، وهو يشير بذلك إلى أن الكثرة تجعل الصغير من الأمور كبيرا .

مراتــب التشبيـــه

إذا أراد المتكلم أن يعقد تشبيها بين أمرين ، فقد يذكر جميع أركان التشبيه ، وقد يحذف بعض هذه الأركان ، وتختلف مراتب التشبيه من حيث ما يفيد من قوة المبالغة وشدة التخيل حسب ما يذكر من أركان التشبه ..

فأولى هذه المراتب: ذكر الأركان الأربعة كقولنا :" زيد كالأسد شجاعة "، ويفيد التشبيه عندئذ أصل المبالغة التى يحققها كل تشبيه ولا مجال فيه لتخيلات العقل وتوهماته .

المرتبة الثانية : حذف أداة التشبيه فقط كقولنا : محمد أسد شجاعة ، وحذف الأداة يفسح أمام العقل ميدان التوهم بأن المشبه والمشبه به شئ واحد .. فالتشبيه عندئذ يفيد قوة المبالغة ..

المرتبة الثالثة : حذف وجه الشبه فقط ، نحو "محمد كالأسد" وعندئذ تذهب النفس كل مذهب وتتخيل أن المشبه والمشبه به يتحدان فى جهات كثيرة ، وإن كان المقصود اجتماعهما فى صفة واحدة .. وفى هذا إفادة لقوة المبالغه كالمرتبة الثانية .

المرتبة الرابعة : حذف أداة التشبيه والوجه معا نحو : محمد أسد ، وهذه المرتبة أقوى المراتب ؛ إذ المبالغة فيها مضاعفة ، لأن حذف الأداة أفاد أن المشبه عين المشبه به ادعاء . وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب كل مذهب فى تقدير الوجه ، ولهذا أطلق البلاغيون على هذا التشبيه اسم : التشبيه البليغ ..

ومما يجدر ذكره أن حذف المشبه فى أى مرتبة من تلك المراتب لا يؤثر فيما يفيده التشبيه من مبالغة ، ولا يخرجه عن مرتبته إلى مرتبة غيرها ، فإذا قلنا : كالأسد فى الشجاعة ، بحذف المشبه اعتمادا على قرينة ما ، لا تتغير مرتبة هذا التشبيه فى إفادة أصل المبالغة ، ولا يخرج التشبيه عن مرتبته الدنيا بحذف المشبه .

هذا وتختلف منزلة التشبيه أيضا باختلاف الأداة المستعملة ، فقولنا : كأن زيدا أسد ، أبلغ من نحو : زيد كالأسد .. كما تختلف كذلك باختلاف وجه الشبه وطرفى التشبيه إفرادا وتركيبا وتعددا ، وعقلية وحسية ، على نحو ما مر بنا فى هذا الفصل .

الفصل الثانى
الحقيقة والمجاز

حقيقة الأمر : يقين شأنه .. **وحقيقة الرجل** : ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاع عنه ، وجمعها حقائق .. والحقيقه فى اللغة : ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه ، والمجاز ما كان بضد ذلك ، وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقه لمعان ثلاثة : الاتساع والتوكيد والتشبيه .. فإن عدم هذه الأوصاف كان الحقيقة البتة (١) .

فالحقيقة فى اللغة : وصف على وزن : "فعيل" إما بمعنى مفعول من قولنا : حققت الشئ أى : أثبته فهو حقيق أى : مثبت وإما بمعنى فاعل من قولنا :حق الشئ أى . ثبت فهو حقيق أى : ثابت .. قال عز وجل : **"لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ"** (٢) .

والمعنى : لقد ثبت القول .. ثم نقل هذا اللفظ "حقيقة" من الوصفية وجعل اسما للكلمة المستعملة فيما وضعت له باعتبار أنها مثبتة فيما وضعت له أو ثابتة فيه .

والتاء فى لفظ "حقيقة" ليست للتأنيث إذ يجوز أن نقول : هذا اللفظ حقيقة ولو كانت للتأنيث لما صح أن يقال ذلك .. وانما هى للدلالة على نقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية وللإشعار بالأصل الذى كانت عليه الكلمة قبل النقل .

---

١ - انظر لسان العرب مادة حق ص ٩٤٢ .

٢ - سورة يس الآية ٧ .

هـذا والحقيقـه والمجـاز إذ أطلقـا انصرفـا إلى الحقيقـة اللغويـة والمجـاز اللغـوى ولا يحتاجان إلى تقيدهما باللغويين إلا فى مقـام المقارنـة بينهمـا وبـين الحقيقـة العقليـة والمجـاز العقلى للتفرقة بينهما .

والحقيقة فى الاصطلاح : هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له فـى الاصطـلاح الذى جرى به التخاطب .. فلفظ "الأسد" إذا استعمل فى الحيوان المفترس كـان حقيقـة لاستعماله فيما وضع له فى كافة الاصطلاحات .. ولفظ "الصـلاة" إذا استعمل بعـرف الشرع فى الأقـوال والأفعـال المفتتحـة بالتكبير المختتمـة بالتسـليم كـان حقيقـه .. وإذا استعمل بعرف أهل اللغة فى الدعاء كان حقيقة أيضا لاستعماله فيما وضعه لـه أصحـاب هذا الاصطلاح أو ذاك .. ونلاحظ فى التعريف أن الكلمة قد قيدت بقيود ثلاثة :

١ – **كونها مستعملة** : فالكلمة قبل الاستعمال أى الكلمة التى وضعها الوضع و لم تستعمل ؛ لا تدخل فى اللغة ، فلا تسمى حقيقة كما لا تسمى مجازاً ...

٢ – **وفيما وضعت له** : خرج بهذا القيد الكلمة المستعملة فى غير ما وضعـت لـه فى جميع الاصطلاحات : اللغوية والشـرعية والعرفيـة فإنهـا تكـون مجـازا .. وخرج أيضا الخطأ اللسانى وهو مـا استعمل فـى غـير مـا وضـع لـه خطـأ ، كقولك لصاحبك : خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب ، فمثـل هـذا لا يسـمى "حقيقة" لاستعماله فى غير ما وضع له ولايسمى مجازاً لعدم وجود علاقة بين الفرس والكتاب .. **والمراد بالوضع** : تعيين اللفظ للدلالة على معنـاه بنفسـه من غير قرينة .. فدلالة اللفظ على معناه المجازى ليست وضعيـة ؛ لاحتياجـه إلى القرينه المانعة من إرادة المعنى الوضعى .. ودلالة المشترك على أحد معنييه الموضوعين له وضعية ، لأن القرينه التى احتاج اليها المشترك تعين أحد المعنيين الموضوع لهما اللفظ لغة ، وليست كقرينة المجاز التى تعين معنى لم يوضـع لـه اللفظ .

٣ - **في اصطلاح التخاطب** : خرج بذلك الكلمة التى يستعملها المتكلم فى غير ما وضعت له فى اصطلاحه ، كالصلاة يستعملها الشرعى فى الدعاء ، فهى مجاز بحسب اصطلاحه وإن كانت حقيقة فى اصطلاح اللغوى .

أقسام الحقيقة : وتنقسم الحقيقة باعتبار المصطلح الذى ترجع إليه إلى أربعة أقسام:

١- **الحقيقه اللغوية** : وهى ما وضعها واضع اللغه ودلت على معنى مصطلح عليه فى تلك المواضعة . . . فمرجع الدلالة فيها إلى وضع اللغة كاستعمال لفظ الإنسان والفرس والجبل والشجرة والزهرة والسماء والأرض والنوم واليقظة والأم والأب. وغير ذلك من الألفاظ فى معانيها الموضوعة لها فى عرف اللغة .

٢ - **الحقيقة الشرعية** : وهى اللفظة التى يضعها أهل الشرع لمعنى غير ما كانت تدل عليه فى أصل وضعها اللغوى كالصلاة والزكاة والسجود والركوع والكفر والإيمان والإسلام ، فهذه الألفاظ نسيت معانيها اللغوية ودلت بالشرع على معان أخرى صارت فيها حقائق شرعية . . فمرجع الدلالة فيها إلى اصطلاح أرباب الشرع .

٣ - **الحقيقة العرفية الخاصة** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف خاص كاستعمال لفظ : المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والرفع والنصب والجر والجزم ، فى معانيها المصطلح عليها فى عرف النحويين فقد صارت هذه الألفاظ حقائق فى معانيها التى اصطلح عليها نحويا ونسى النحاة معانيها اللغوية . . وكذا استعمال الاستعارة والتشبيه والمجاز عند البلاغيين . . والسكون والعرض والجوهر عند المتكلمين .

٤ - **الحقيقه العرفية العامة** : وهى ما كان مرجع الدلالة فيها إلى عرف عام لم يتعين صاحبه كاستعمال لفظ "الدابة" عند كثير من الناس فى الدلالة على الحيوان الذى يستخدمونه فى حياتهم اليومية ، كالحمار والبقرة والجمل والبغل والفرس ، وهى موضوعة فى أصل اللغة للدلالة على كل مادب على الأرض ، قال تعالى : **(وَمَا من دَابَّةٍ فى الأرْضِ إلاّ عَلَى ا للهِ رِزْقُهَا)** (١) فصار استعمالها فى الدلالة على الحيوان الذى يستخدمونه ، حقيقة فىعرفهم ولو أطلقوها على معناها الوضعى ، لكانت مجازا عند أرباب هذا العرف العام ..

(١) سورة هود آية : ٦ .

المجـــــــاز

المجاز فى اللغة مصدر ميمى على وزن "مفعل" وهو إمـا أن يكـون بمعنـى الجـواز والتعدية من جاز المكان يجوزه إذا تعداه وقطعه .. وقد سميت بـه الكلمـه التـى جـازت مكانها الأصلى وتعدته لغيره أو التى جاز بها المتكلم معناها الأصلى إلى غيره فتكون هـذه التسمية من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل أو المفعول .. وإما أن يكون بمعنى مكـان الجواز والتعدية من قولهم : جعلت هذا مجازا إلى حاجتى أى طريقـا إليهـا فهـو مـن جـاز المكان أى : سار فيه وسلكه إلى كذا ، لا من جازه إذا تعـداه ، فيكـون لفـظ المجـاز اسـم مكان وقد أطلق على الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها .

إنكار المجاز والحقيقة : يزعم البعض أن اللغـة كلهـا حقيقـة ، وينكـرون المجـاز ، ويذهبون إلى أنه غير وارد فى القرآن الكريم ولا فى كلام الناس .

وحجتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة (١) .

ويزعم البعض الآخر أن أكثر اللغة عند التأمل مجاز لا حقيقة ، فقولنا : قـام زيـد مجاز ، لأن زيدا لم يفعل كل القيام بل فعل بعضه ، فهو من وضـع الكـل موضـع البعـض للاتساع والتوكيد ولذا يقال : قام قومة وقومتين .. وقياما حسنا وقياما قبيحا .

وكذا قولنا : "ضربت زيدا" مجاز أيضا ، لأن القائل فعل بعض الضرب لا كله ، ولأنه ضرب بعض زيد لا جميعه ، فقد ضرب يده أو رجله أو ناحية مـن نواحـى جسـده ولهذا فإنه إذا احتاط جاء ببدل البعض فيقول : ضربت زيداً رأسه أو كتفه .. ثم هو مع

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ ص٤٧ والبرهان جـ٣ ص٤٣٢ .

ذلك متجوز لأن الضرب وقع ببعض الـرأس وبجـزء مـن الكتـف (١) . . وهـذان الرأيـان مبنيان على خطأ فى التصور وعلى كثير من التدقيق الذى تنفر منه طبيعـة هـذه اللغـة . . ويتضح ذلك فيما يلى :

١ - أن المجاز قد ورد فى اللغة وفـى القـرآن الكريـم فنحـن نقـول : "رأيـت أسـداً" وتريد رجلا شجاعا . . والله عز وجل يقول : **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾** (٢) ويقـول: **﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾** (٣) . . والقريـه لا تسـأل ، وليـس للذل جناح ، فالمعنى على المجاز .

٢ - **أن المجاز يفارق الكذب من جهتين :**

الأولى : أن الكذب لا تأويل فيه والمجاز مبنى على التأويل والصـرف عـن الظاهر .

الثانية : أن المجاز لابد فيه من نصب قرينة على إرادة خلاف الظاهر من اللفظ، مانعة من إرادة المعنى الحقيقى له . . . أما الكذب فليس فيه قرينة على إرادة غير الظاهـر ، بـل إن قائله يبذل قصارى جهده لترويج ظاهـره وإبراز صحة باطله .

٣ - أن القائلين بأن أكثر اللغة مجاز قد بنوا رأيهم على كثير من التدقيـق الـذى تنفـر منه طبيعة اللغة ؛ لأنه تدقيق لا يصل بنا إلى غاية مرجـوة . فلـو قلنـا : مـرض زيد ، أفادت هذه الجملـة الإخبـار بمـرض زيـد ولـو ذهبنـا ندقـق : أى مـرض أصابه؟ وأى جزء منه مرض؟ أرجله أم فخذه أم بطنه أم صدره أم رأسه أم يـده

---

(١) أنظر الخصائص جـ٢ ص٤٤٧ والطراز جـ١ ص٤٤ .

(٢) سورة يوسف : ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٢٤ .

- أم إصبعه؟ وإذا كان الجزء المريض من زيد هو الإصبع فأى موضع منه؟ وأى إصبع من أصابعه ؟ وهل كل الإصبع ؟ أم إحدى أنامله ؟ وإذا كانت إحدى أنامله أهى الأولى أم الثانية أم الثالثة؟ وهل الأنمله كلها؟ أم جزء منها؟ ..الخ . وهذا تدقيق لا غاية وراءه ولا فائده ترتجى منه .. بل إن طبيعة اللغة وعفوية الدلالة تتنافى معه وتأباه . وبهذا يتضح لنا أن إنكار الحقيقة فى اللغة إفراط وإنكار المجاز تفريط فالمجازات لا يمكن دفعها والحقائق لا يتأتى إنكارها والرأى السديد هو أن اللغة والقرآن الكريم يشتملان على الحقائق والمجازات معا . فما كان من الألفاظ مفيدا لما وضع له فى الأصل فهو حقيقة ، وما أفاد غير ما وضع له فى الأصل فهو مجاز والمقام هو الذى يحدد ما يقتضى استعماله من حقائق أو العدول عنها إلى المجازات .

المجاز المفرد والمجاز المركب : ينقسم المجاز باعتبار الإفراد والتركيب إلى قسمين : مجاز مفرد ، وهو ما كان اللفظ المتجوز به مفردا كقوله تعالى : (**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ**) (١) ، أى أناملهم ..

وقول أبى تمام مادحا :

يا ابن الكواكب من أئمة هاشم والرجح والأحساب والأحلام

فالمراد بالأصابع فى الآيه : الأنامل والمراد بالكواكب فى البيت : آباء الممدوح .

ومجاز مركب : وهو ما كان اللفظ المتجوز به مركبا نحو : مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ؟ فالمراد : تردده فى الأمر فهو يقبل عليه مرة ويتراجع عنه مرة أخرى.

(١) سورة البقرة الآية ١٩ .

تعريف المجاز المفرد : فالمجاز المفرد هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

فخرج "بالكلمة المستعملة" الكلمه قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازا على نحو ما مر فى تعريف الحقيقة .

وخرج "بغير ما وضعت له" الحقيقة ، فإنها مستعملة فيما وضعت له .. وقولنا: "فى اصطلاح التخاطب" إشارة إلى أن المعتبر فى تحديد المجاز أو الحقيقة ، الاصطلاح الذى يقع به التخاطب .. فالشرعى إذا استعمل لفظ "الصلاة" فى الدعاء كانت مجازا ، وإذا استعملها فى الأركان الخاصه كانت حقيقة فى عرفه .. والبلاغى إذا استعمل "الكناية" فى الستر والخفاء كانت مجازا . ولفظ "الدابة" إذا استعمل عند أرباب العرف العام فى الدلالة على الإنسان كان مجازا وإن كانت مستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح أهل اللغة . واللغوى إذا استعمل لفظ "الأسد" فى الدلاله على الرجل الشجاع كان مجازا وإذا استعمل فى الدلالة على الحيوان المفترس كان حقيقة ... وهكذا .

وقولنا "على وجه يصح" إشاره إلى وجوب العلاقة الرابطة بين المعنى المجازى والمعنى الذى وضع له اللفظ ، وخرج بذلك الغلط اللسانى كأن نشير إلى حجر ونقول لشخص : خذ هذا الفرس .. فاستعمال لفظ "الفرس" لا يسمى مجازا ؛ لأنه لا علاقه بين الحجر والفرس .

والقرينة : هى الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له وتقييدها بالمانعة احترازا عن الكناية ؛لأن قرينتها لا تمنع إرادة المعنى الأصلى مع المعنى الكنائى .

هذا والمجاز المفرد يتنوع باعتبار المصطلح الذى يقع به التخاطب إلى أربعة أنـواع: مجاز لغوى ومجاز شرعى ومجاز عرفى خاص ومجاز عرفى عـام ٠٠ علـى نحـو مـا مـر فـى تعريف الحقيقة ٠

ما الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل؟ : ينقسم المجاز المفرد باعتبار نوع العلاقـة الرابطة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى الذى استعمل فيه اللفظ إلى قسمين :

١ - **مجاز بالاستعارة** : وهو ما كانت علاقته المشـابهه بـين المعنـى الأصلـى والمعنـى المجازى كقولنا : رأيـت بحـرا يغـترف النـاس مـن كرمـه ، فالعلاقـة بـين البحـر والرجل الكريم المشابهة فى العطاء ٠

٢ - **مجاز مرسل** : وهو ما كانت علاقتـه غـير المشـابهة كقولنـا : أمطـرت السـماء نباتا، فالعلاقة بين النبـات والغيـث المسـببيه ؛ إذ النبـات مسـبب عـن الغيـث ٠ وكقوله تعالى : ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ**﴾ (١) فالعلاقه بين الأصابع والأنامل الكلية إذ الأنملة جزء من الإصبع ٠

المجاز المرسل وعلاقاته : فالمجاز المرسل : هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين ٠٠ وسمى مرسلا لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فـى الاستعارة إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يدعـى اتحادهمـا ٠٠ أو لأنـه أرسـل أى أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة ٠

وعلاقة المجاز المرسل معناها : أن يكون هناك تـلازم وترابـط يجمـع بـين المعنيـين ويسوغ استعمال أحدهما فى موضع الآخر وهذه العلاقات كثيره أشهرها ما يلى :

---

(١) سورة البقرة آية ١٩ ٠

علاقة السببية : وهى أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببا فى المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب .. والمجاز بهذه العلاقة كثير فى استعمالات العرب ، ففى ذلك قولهم : "رعينا الغيث" فالغيث : مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن المعنى الحقيقى للغيث سبب فى المعنى المراد الذى هو "النبات" .. وقرينة المجاز قولهم : "رعينا" إذ الغيث لا يرعى .. والسر البلاغى فى العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى مثل هذا التعبير هو إبراز مدى أهمية الغيث وفرحهم به وأثره فى نفوسهم حتى كأنه هو المرعى لا النبات.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (١) فالاعتداء الأول والثالث قد استعملا استعمالا حقيقا والاعتداء الثانى استعمل استعمالا مجازيا ، لأن المراد به ، المجازاة والقصاص ، فعبر بالسبب وهو الاعتداء عن المسبب وهو الجزاء والقصاص على سبيل المجاز المرسل . وتكمن بلاغة المجاز هنا فى إبراز قوة السببية بين الاعتداء وجزائه وأن الجزاء يجب أن يعقب الاعتداء فلا يتخلف عنه ويشعر بذلك هذه الفاء "فاعتدوا" وما تقتضيه من سرعة المجازاة ... ولا يقال إن هذا يتناقض مع الدعوة إلى العفو والحث على الصفح ؛ لأن المقام هنا مقام تحد بين المسلمين والكفرة فهو يقتضى الشدة والقوة وسرعة الردع والمقام هناك مقام بيان للمعاملة بين المسلمين بعضهم بعضا وذلك أدعى للعفو والمسامحة ... فلكل مقام مقال .

ومثله قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾(٢) فالمراد بالسيئة الثانية : الجزاء والقصاص الذى يتسبب عن السيئة فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب على سبيل المجاز المرسل .. ويجوز حمل الآية على الحقيقة على اعتبار أن المراد بالسيئة الثانية ما يسىء الجانى ويؤذيه ؛ لأن جزاء السيئة مهما كان عدلا فإنه يسئ إلى الجانى ويؤذيه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٤ . (٢) سورة الشورى آية ٤٠ .

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الجهل معناه في اللغة : السفاهة والحمق وقد أراد عمرو بالجهل المسند إليه الصادر منه: جزاء المعتدين وعقوبتهم على جهلهم وسفاهتهم ، فهو مجاز مرسل حيث عبر بالسبب عن المسبب .. وقوله تعالى (**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**) (١) أراد عز وجل : ونعرف أخباركم فعبر عن المعرفة والعلم بالاختبار الذى هو سبب المعرفة على طريق المجاز المرسل .. وعلم الله عز وجل أزلى فهو عليم بكل شيء ولا يحتاج فى علمه إلى ابتلاء .. ولكن المراد ظهور حقيقة المبتلى وانكشافها فيصبح علم الله تعالى متعلقا بالمعلوم الواقع ..

ومن ذلك قول المتنبى:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

أراد أن يعبر عن شهرة أدبه وذيوع شعره وبلوغه مبلغا جعل من لاعلم له بالأدب ينظر إليه ويعلمه ومن لم يسمع شعرا يسمع كلماته ويدركها .. وقد عبر الشاعر بالأعمى والأصم وأراد من لامعرفة له بالأدب ولا علم عنده بجيده ، والعلاقه بين المعنيين: السببية فإن السمع والبصر من أسباب العلم بالأشياء والعمى والصمم من أسباب الجهل بها، والقرينة قوله :" نظر وأسمعت كلماتى " فإنه يستحيل أن يسمع الأصم أو يبصر الأعمى شيئا .

وقول الآخر :

أكلت دما إن لم أرعك بضَرَّة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

---

(١) سورة محمد آية ٣١ .

فهو يدعو على نفسه – إن لم يحقق رغبته فى الكيد لامرأته بضرة حسناء– أن يقتل له قتيل ويعجز عن الأخذ بثأره فيرضى بأخذ ديته ويأكل منها وقد عبر عن الدية بالدم ، والدم سبب فيها فهو مجاز مرسل أطلق فيه السبب وهو الدم على المسبب وهو الدية.

ومن ذلك إطلاق " اليد" على العطاء والنعمة لأن اليد سبب فى إيصال النعمة للمحتاجين كما فى قولهم : جلت يده عندى ... وكثرت أياديه على ... وعمت أياديه الورى .. يريدون بذلك نعمه وعطاياه... ويشترط فى هذا الاستعمال أن يكون فى الكلام إشارة إلى صاحب النعمة كالضمير العائد على الممدوح فى الأمثلة المذكورة ولذا لا يقال : كثرت الأيادى عندى .. أو اتسعت اليد فى البلد .. أو ادخرت يدا ، لأن المتبادر إلى الذهن عندئذ هو المعنى الحقيقى دون المعنى المجازى ، لخلو الكلام غالبا من القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، وفضلا عن ذلك فإنه يصير إلى كلام غث متهافت خال من الفصاحة .

ومن إطلاق اليد وإرادة النعمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأزواجه : "**أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا** " ... فالحديث يحتمل ثلاثة أوجه :

أولها : أن تكون اليد مجازا عن العطاء أو الإنعام ويكون أفعل التفضيل "أطولكن" المشتق من الطول ضد القصر ترشيحا للمجاز لملاءمته اليد الحقيقية ، كما أن ذكر ما يلائم المشبه به يكون ترشيحا للاستعارة ، والمعنى عندئذ: أسرعكن لحوقا بى أبسطكن نعمة وأوسعكن عطاء ..

ثانيها : أن تكون اليد مجازا عن العطاء أو الإنعام أيضا وأفعل التفضيل مشتقا من الطول – بسكون الواو – بمعنى الفضل والمعنى عندئذ أسرعكن لحوقا بى أفضلكن نعمة . والنعمة توصف بالفضل على جهة الحقيقة فلا ترشيح للمجاز عندئذ .

ثالثها : أن يكون فى الحديث "جار ومجرور" متعلق " بأطول " والتقدير ، أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا بالعطاء بمعنى أنها تزيد فى مدها عند العطاء وعندئذ فلا مجاز ولا ترشيح بل اليد مستعملة فى معناها الحقيقى وكذلك الطول – ضد القصر – ويكون أطولكن يدا بالعطاء، كناية عن الكرم وحب العطاء والبذل كما يكنى بقصر اليد عن البخل وكراهية البذل .

وكما تطلق اليد ويراد بها النعمة لأنها سبب فى إيصال النعمة ، فإنها تطلق كذلك ويراد بها القدرة ، لأن اليد سبب فى ظهور سلطان القدرة من بطش وضرب ومنع ونحوه ... ومن ذلك قولهم : " اليد لبنى فلان " والمراد : القوة والغلبة .. وكقوله تعالى (**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**) (١) والمعنى : قوته ونصرته فوق قوة أصحاب البيعة ونصرتهم .

أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** " فليس من قبيل المجاز المرسل ، بل من التشبيه البليغ ، إذ المراد من الحديث أن المسلمين متساوون فى الدماء وفى الذمة ، وفى التعاون والنصرة ، فيؤخذ الأمير بدم الفقير ، ويعاهد عنهم أدناهم منزلة ، فيسرى عهده على الجميع ، وكل واحد منهم فى إطار الجماعة كالإصبع فى اليد والجماعة كلها كاليد ذات الأصابع المتعاونة ، فكما لا تخذل الأصابع بعضها بعضا فالواجب على المسلمين ألا يتخاذلوا ، وبهذا يكون قوله عليه الصلاة والسلام : " وهم يد على من سواهم" ، من قبيل التشبيه البليغ الذى حذفت أداته ووجهه .

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

وقيل يجوز جعله مجازا مرسلا حيث عبر باليد عن العون وهى سببه والمعنى : وهم عون على من سواهم ، من إطلاق السبب على المسبب ...

ومن ذلك استعمالهم لفظ "الإصبع " فى الأثر الدقيق من حذق بارع أو رسم جميل أو نقش لطيف ، إذ الإصبع سبب فى إحداث هذا الأثر البديع الرائع .. ومنه قولهم: إن لفلان على هذه اللوحة إصبعا .. وإصبع فلان بادية فى هذا الخط ، ولهذا الصائغ فى صناعة هذا السوار إصبع بارعة .. وكقول الشاعر فى صفة راعى الإبل :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

أى : ترى له عليها أثر حذق ومهارة .. ويشترط لصحة هذا الاستعمال أيضا أن يكون للإصبع تأثير فى إحداث الأثر الذى يعبر بها عنه .. فلا يقال : هذه أصابع الدار ، مرادا آثارها المتبقية ولا يقال : هذه أصابع المطر مرادا الآثار التى تخلفت عنه من وحل وطين.

علاقة المسببية : وهى أن يذكر المسبب ويراد السبب بأن يكون المعنى الأصلى للفظ المذكور مسببا عن المعنى المراد فيطلق اسم المسبب على السبب من ذلك قولهم : أمطرت السماء نباتا ، أى : ماء فذكروا المسبب " نباتا " وأرادوا السبب " ماء " فهو مجاز مرسل علاقته المسببية .. ومنه قوله تعالى : (**هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ**) (١) والذى ينزل من السماء هو الماء الذى يتسبب عنه الرزق فذكر المسبب فى موضع السبب وتكمن بلاغة المجاز فى الآية الكريمة فى قوة السببية بين الماء والرزق وفى ذلك إيحاء وتنبيه للمؤمن إلى أن الرزق مصدره السماء فليطمئن وليمض على النهج القويم فالرزق قد قدره الله وكفله للجميع إنه منزل من السماء.

---

(١) سورة غافر : ١٣ .

وكذا قوله تعالى (**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَـةَ أَزْوَاجٍ**) (١) ..أى أنـزل لكـم الماء الذى تشربه الأنعام والذى ينبت النبات فترعاه الأنعام .. فذكر المسبب وهـو الأنعـام فى موضع السبب وهو الماء وفيه إشارة إلى قوة السببية وتنبيه وطمأنة للمؤمـن كمـا فـى الآيه السابقة .. وتحتمل الآية الكريمة وجهين آخرين :

أحدهما : أن المراد بإنزال الأنعام : حكم الله وقضاؤه بخلقها وإيجادها فقد قضى الله عز وجل وقدر إيجادها ، وقضاء الله بعد ثبوتـه فـى اللـوح المحفـوظ يـنزل إلى الأرض لتنفيذه .. فالإنزال لا يتعلق بالأنعام نفسها وإنما يتعلق بحكم الله وقضائه بإيجادها ، وعلى هذا فليس فى الآية مجاز.

ثانيهما : أن الله عز وجل يخلق كل شيء فى الجنة ثم ينزله من الجنـه إلى الأرض وهو رأى بعض المفسرين .. وعليه فلا مجاز أيضا فى الآية الكريمة ..

ومنه قول الشاعر يصف غيثا:

أقبل فى المستن من ربابه   أسنمة الآبال فى سحابه (٢)

أراد : أن الغيث انصب عليهم من سحابه الأبيض فسقى الأرض وأنبت النبـات فارتوت الإبل وشبعت وسمنـت ونمـت أسـنمتها ، وقـد جعـل الشـاعر أسـنمة الإبـل فـى السحاب والذى فى السحاب هو الماء وهذا من ذكر المسبب فى موضع السـبب .. ومنـه قول الحق تبارك **وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً**) (٣) والنار لا تؤكل وإنما المراد : يأكلون مالا حراما تتسبب عنه النار التى تكـوى

---

(١) سورة الزمر : ٦ .

(٢) المسـتن : مـوضع جريان الغيث المنصب يقال : استنت العين : انصب ماؤها . والرباب : السحاب الأبيـض والضمير فيه للغيث والآبال : جمع إبل . وأسنمتها : جمع سنام وهى ما ارتفع من ظهر البعير .

(٣) سورة النساء آية ١٠ .

بها جنوبهم وظهورهم وجلودهم فذكر المسبب النار فى موضع السبب وهو المال الحرام " مال اليتامى " وتكمن بلاغة المجاز فى الآية الكريمة فى إبراز هذه السببية ، وفى إظهار فظاعة وبشاعة تلك الصورة ، صورة من يأكلون أموال اليتامى ، فهم يأكلون نارا تقذف فى أفواههم فتندلع فى بطونهم فيكون الألم والعذاب .

وقولهم :" كما تدين تدان" أى : كما تفعل تجازى فقد عبر عن الفعل بالدين والدين وهو المجازاة والمكافأة مسبب عن الفعل فهو مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أطلق لفظ المسبب وهو المجازاة وأريد السبب وهو العمل والفعل . أما تدان الثانى فهو حقيقة لأن المراد به المجازاة والمكافأة ..

وفى علاقة المسببية التعبير بالفعل عن إرادته فالإرادة سبب والفعل مسبب عنها وقد كثر ذلك فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى (**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**) (١) والمعنى إذا هممت أو عزمت أو أردت قراءته فاستعذ بالله حيث علم من السنة أن الاستعاذة تسبق القراءة ، وفى الآية رتبت الاستعاذة بالفاء على القراءة فكان هذا الترتيب قرينة على أن المراد بالقراءة : إرادتها والعزم عليها فهو مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أطلق المسبب وهو الفعل وأريد السبب وهو العزم والإرادة ... وفى ذلك – كما قلنا – إبراز لقوة السببية بين الإرادة والفعل وتنبيه للمؤمن وحث له على أن يقترن العزم بالفعل فلا يكون هنالك مجال للأمانى الكاذبة وأحلام اليقظة والتقاعس وحياة الكسل. ومنه قوله تعالى (**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى**) (٢) أريد بالنداء إرادته والعزم عليه فهو من ذكر المسبب فى موضع السبب والقرينة أنه رتب بالفاء قوله "إن ابنى من أهلى" على النداء مع اتحاد زمنهما فى الواقع .

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨ .

(٢) سورة هود آية ٤٥ .

وقوله عز وجل : ﴿وَكَمْ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾(١) ذكر الإهلاك وأراد : إرادته والعزم عليه بقرينة أنه رتب بالفاء بجيء البأس على الإهلاك وإتيان البأس متقدم على الإهلاك فدل ذلك على أنه أراد بالفعل وهو الإهلاك إرادته والعزم عليه فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب ٠

وقوله جل وعلا : ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)عبر بالإهلاك فى موضع الإراده فهو من ذكر المسبب وإرادة السبب ٠

علاقة الجزئية : وهى أن يذكر الجزء ويراد الكل كما فى قوله تعالى : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (٣) وقوله عز وجل : ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبداً لَمَسْجِد أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنَ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (٤) ٠٠ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** ٠٠ فالمراد بالقيام فى هذه النصوص : الصلاة وهو ركن من أركانها وقد سميت الصلاة به من باب تسمية الكل باسم الجزء ٠٠ وكذا قوله تعالى : ﴿كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (٥) وقوله عز وجل : ﴿فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا﴾(٦) وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٧) فقد عبر عن الصلاة فى هذه الآيات بالسجود وهو ركن من أركانها وذلك عن طريق المجاز المرسل الذى علاقته الجزئية ٠

ومنه قول معن بن أوس المزنى فى ابن أخته :

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافية هجانى

---

(١) سورة الأعراف آية ٤ ٠
(٢) سورة الأنبياء آية ٧ ٠
(٣) سورة المزمل آية ٢ ٠
(٤) سورة التوبة آية ١٠٨ ٠
(٥) سورة العلق آية ١٩ ٠
(٦) سورة النجم آية ٦٢ ٠
(٧) سورة الحجر آية ٩٨ ٠

فقد ذكر القوافى والقافية وأراد بهما : القصائد والقصيدة مجازا مرسلا علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل . هذا ويشترط فى الجزء الذى يراد به الكل أن يكون مما جرى العرف على استعماله فى الكل ، أو يكون لهذا الجزء اتصال وثيق بالمعنى المراد .. فقد وجدنا القرآن الكريم يسمى الصلاة قياما أو سجودا لأنهما ركنان أساسيان من أركانها .. كما يسميها ذكرا أو ركوعا قال تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (١) .. وكل هذه أساسيات فى الصلاة .. ولم نر القرآن يسمى الصلاة تشهدا أو بسملة أو جلوسا .. وبهذا يتضح لنا أن الجزء المعبر به عن الكل ، يجب أن يكون له اتصال وثيق ، ومزيد اختصاص بالمعنى والسياق .. وقد عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة منه فنراه مرة رقبة ومرة عينا ومرة وجها ومرة كفا ومرة قدما ومرة قلبا ولا يصلح جزء من هذه الأجزاء مكان الآخر لاختلاف السياق الذى يقتضى هذا الجزء دون ذاك . انظر إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ (٢) وقوله عز وجل : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ (٣) فقد عبر عن العبد أو المولى فى الآيتين بالرقبة لأنها أهم جزء فى الإنسان ولأن معانى السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور فى الأعناق .. وهم يقولون : بث الأمير عيونه فى المدينة .. وعين العدو تجول فى البلد ويريدون بالعين الربيئة أو الجاسوس فسمى الجاسوس عينا باسم جزئه لأن عينه أبرز عضو فيه يستخدمه فى التجسس .

ونقول : فلان تتزاحم حوله الأقدام .. أو هو خير من تسعى له قدم .. فى مقام المدح بالسيادة والكرم ، فقد عبرنا عن طالبى العطاء بالأقدام ، لأن بها يسعون قاصدين الممدوح فى قضاء حوائجهم .

ويقول الشاعر :

وكنت إذا كف أتتك عديمة ترجى نوالا من سحابك بلت

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣ .
(٢) سورة البلد الآية ١٣ .
(٣) سورة المجادلة الآية ٣ .

فقد عبر بالكف عن الإنسان المعدم ، لأن السياق عطاء وأخذ والمعدم يمد يده راجيا عطاء وخيرا يلقى بها ولذا عبر عنه بالكف .

ويقول امرؤ القيس :

أغرك منى أن حبك قاتلى . وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فقد عبر عن نفسه بالقلب لأن السياق سياق حب وغزل وهيام .

ويقول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

عبر عن الرجال المعروفين بالشرف والسيادة والنبل بالوجوه وذلك على طريق المجاز المرسل الذى علاقته الجزئية ، وقد آثر التعبير بالوجه ، لأن المقام مقام شرف وسيادة ونبل ووجاهة ..

وهكذا عبر عن الإنسان بأجزاء مختلفة من أجزاء جسده وفى كل مرة رأينا الجزء الذى عبر به عن الكل "الإنسان" له اتصال وثيق ومزيد اختصاص بالسياق والمعنى ولا يصلح جزء من أجزاء الإنسان المذكورة مكان الآخر لاختلاف السياق كما أوضحنا..

علاقة الكلية : وهى أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أى يطلق اسم الكل ويراد جزؤه كقوله تعالى : (**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**)(١)وقوله عز وجل : (**وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ**)(٢) فقد عبر بالأصابع فى الآيتين وأراد الأنامل من باب إطلاق لفظ الكل على

(١) سورة البقرة آية ١٩ .

(٢) سورة نوح آية ٧ .

الجزء مجازا مرسلا علاقته الكلية .. والسر البلاغى فى العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى الآيتين هو رغبة القوم فى تعطيل حاسة السمع بأقصى ما يمكن مبالغة فيما يشعرون به من هول الصواعق وفظاعتها فى سورة البقرة ، ومبالغته فى إعراضهم عن الحق فى سورة نوح.. والقرينه استحالة وضع الإصبع كلها فى الأذن عادة ..

وفى قول السموءل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا   وليست على غير الظبات تسيل(١)

عبر بالنفوس عن الدماء فهو مجاز مرسل علاقته الكلية لأن الدماء جزء من النفوس والقرينه قوله : "تسيل" ، لأن السيلان يكون للدماء ... ومنه قولهم : "قطعت السارق" يريدون : يده ، وقولنا : أكلت نبات الأرض وشربت ماء النيل وقرأت فى البلاغه ما كتب السابقون واللاحقون ، والمراد : بعض النبات وجزء من الماء وكثير مما كتبوا فهو مجاز مرسل علاقته الكلية .. والقرينة استحالة أكل الكل أو شربه واستحالة الإحاطة بكل ما كتب ...

علاقة اعتبار ما كان : وهى أن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل كما فى قوله عز وجل : (**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بالطَّيِّبِ**) (٢) فاليتيم من مات أبواه و لم يبلغ سن الرشد وهو لا تسلم إليه أمواله لعجزه عن التصرف فيها فى هذه السن وإنما تدفع إليه بعد أن يتجاوز سن اليتم ويصير رشيدا فتسميتهم "يتامى" عندئذ باعتبار ما كان قبل ذلك والقرينة : الأمر بدفع أموالهم إليهم لاستحقاقهم التصرف فيها..وإيثار التعبير عنهم بلفظ اليتامى مع أن اليتم قد زال يفيد أمرين :

---

(١) الظبات : جمع ظبة بضم الظاء وتخفيف الباء وهى حد السيف .

(٢) سورة النساء الآية ٢ .

أولهما : الإنباء بسرعة إعطائهم أموالهم بمجرد ذهاب اليتم عنهم فكأن صفة اليتم لا تزال عالقة بهم وقت دفع المال ، لأنه يدفع إليهم عقب زوالها مباشرة ٠٠ وهذا واضح فى قوله تعالى : **(فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)** (١) ٠

ثانيهما : التذكير بحال هؤلاء اليتامى وكيف حرموا من عطف وحنان الأبوة وأنه لا يليق بالمؤمن أن يطمع فى مال من هذا شأنه ٠

ومنه قول تعالى : **(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَيَحْيَى)** (٢) سمى مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا ، لأن المرء لا يوصف بالإجرام بعد الممات إلا باعتبار حاله التى كان عليها من قبل ، ويومىء هذا الوصف بالحال التى يكون المجرم يوم القيامه عليها حيث تبدو عليه آثار الذلة والمهانة والندم وكأن صفة الإجرام تظل لاصقة به فى هذا اليوم ووراء ذلك ما وراءه من شدة العذاب والعقاب ٠٠

ومن ذلك قولنا : أكلنا قمحا وشربنا عنبا ٠٠ أى أكلنا خبزا قد صنع من القمح وشربنا نبيذا قد عصر من العنب ٠٠ فتسمية الخبز قمحا والنبيذ عنبا باعتبار ما كان عليه من قبل والقرينة أن العنب لا يشرب والقمح لا يؤكل عادة ٠٠٠

علاقة اعتبار ما يكون : وهى أن يعبر عن الشئ باسم ما يئول إليه فى المستقبل كما فى قوله تعالى : **(قَالَ أَحَدُهُمَا : إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْراً)** (٣) يريد عنبا يئول عصيره إلى خمر لأن الخمر عصير والعصير لا يعصر وإيثار لفظ الخمر بالتعبير ينبىء بالإثم الذى يرتكبه العاصر فهو لا يعصر عنبا وإنما يعصر خمرا ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : **"لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها"** ٠

---

(١) سورة النساء الآية ٦ ٠ (٢) سورة طه الآية ٧٤ ٠

(٣) سورة يوسف الآية ٣٦ ٠

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١) يريد أن مآله إلى الموت وهم كذلك بقرينة الخطاب لأن من مات فعلا لايخاطب .. وقوله عز وجل : ﴿وَقَالَ نُوحٌ : رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ (٢) فالمولود يولد على الفطرة مؤمنا نقيا سواء أكان أبواه مؤمنين أم كافرين والمراد بـ "فاجرا كفارا" فى الآية أن ما يلدة الكفرة سيئول إلى ذلك فى المستقبل . وقوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ﴾ (٣) أى بمولود مآله أن يكون غلاما حليما .

علاقة المحلية : وهى أن يذكر اسم المحل ويراد الحال به كما فى قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهاَ وَالْعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهاَ﴾(٤) فالمراد : أهل القريه وأصحاب العير، فسمى الحال باسم محله مجازا مرسلا ، وفى العدول عن الحقيقه إلى المجاز إشارة إلى ذيوع أمر السرقة ، واشتهارها ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ (٥) إلى درجة أنه لو سئلت القرية والعير أى الجمادات والحيوانات لنطقت بها وأجابت .

وقوله عز وجل : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ .. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (٦) فالمراد : أهل ناديه لاستحالة دعاء النادى الحقيقى ، تسمية للشىء باسم محله .

ومنه قول الشاعر :

إن العدو وإن تقادم عهده   فالحقد باق فى الصدور مغيب

فالمراد بالصدور : القلوب التى تحل بها تسمية للشىء باسم محله .

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٠ .
(٢) سورة نوح الآية ٢٧ .
(٣) سورة الصافات الآية ١٠١ .
(٤) سورة يوسف الآية ٨٣ .
(٥) سورة يوسف الآية ٨١ .
(٦) سورة العلق الآية ٧ .

علاقة الحالية : وهى أن يذكر اسم الحال ويراد المحل كما فى قوله تعالى : **(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**(١) فالمراد برحمة الله : جنته لأن الرحمة حالة فيها تسميه للشىء باسم ما يحل به ٠ وقوله تعالى (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**) (٢) فالمراد بالزينة : اللباس وكل ما تحل به ، لأن الزينة لا تؤخذ .

ومنه قول المتنبى يصف جيوش سيف الدولة :

والأعوجية ملء الطرق خلفهم والمشرفية ملء اليوم فوقهم (٣)

المعنى : أن خيول الجيش قد ملأت الطرق وسيوفه قد سدت الفضاء .. فعبر باليوم وأراد : الفضاء الذى يحل به اليوم ويأتى عليه الليل والنهار ، فهو مجاز مرسل علاقته الحالية .

وقول الآخر :

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا بعد مربع (٤)

أراد : ألما على قبر معن فذكر الحال وهو معن وأراد ما يحل به وهو القبر .

علاقة الآلية: وهى أن يعبر عن الشىء باسم الآله التى يحصل بها كما فى قوله تعالى **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)** (٥) والمراد : إلا بلغة قومه

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٧ ٠ (٢) سورة الأعراف الآية ٣١ ٠

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبنى هلال والمشرفيه : السيوف

(٤) ألما : أنزلا به ٠ والغوادى : السحاب ينشأ غدوة ومفردها : غادية ٠ مربع : أربعة أيام متوالية ٠

(٥) سورة إبراهيم الآية ٤ ٠

فذكر اللسان وأراد اللغة لأنه آلة للتعبير عنها ..وقوله تعالى : (**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**) (١) المراد : اجعل لى ذكرا حسنا يدوم بعد مماتى ، فسمى الذكر لسانا ، لأن اللسان هو الآلة التى يوجد بها الذكر والثناء .

ومنه قوله عز وجل :(**فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُون**)(٢)عبر بالعين وأراد البصر والرؤية لأن العين آلة الإبصار فهو مجاز مرسل علاقته الآلية .

علاقة المجاورة : وهى أن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره ، وذلك إذا كثر اقتران الاسمين ومجاورتهما كثرة تسوغ استعمال أحدهما مكان الآخر ، كما فى إطلاق لفظ الراوية على المزادة أى قربة الماء من قولنا: شربنا من الراوية أو خلت الراوية من الماء ، الراوية اسم للبعير الذى يحمل عليه الماء فلما كثرت مجاورة المزادة لظهر الراوية أطلق على المزادة اسم الراوية مجازا مرسلا علاقته المجاورة .

ومنه قولنا ركب الفرسان سروجهم ، نريد خيولهم فسميت الخيول سروجا لكثرة مجاورتها لظهور الخيل .. وقولنا أصابتنا السماء نريد الغيث المجاور عادة لجهة السماء .. وقولنا : جر الغلام الخفض نريد البعير الهزيل المخصص لحمل الأمتعة الحقيرة والخفض : اسم للحقير التافه من متاع البيت فسمى البعير باسم ما يحمله لعلاقة المجاورة..ومنه قول عنترة العبسى :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه　　　ليس الكريم على القنا بمحرم

وقول ليلى الأخيلية :

رموها بأثواب خفاف فلا ترى　　　لها شبها إلا النعام المنفرا

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤ .　　　(٢) سورة الأنبياء الآية ٦١ .

ذكر عنترة الثياب وأراد الجسد ، وذكرت ليلى الأثـواب وأرادت الرجـال الذيـن ركبوا الإبل فرموها بأنفسهم ، وذلك على طريق المجاز المرسل لعلاقة المجاورة .

وقول الآخر :

إن لنا أحمرة عجافاً   يأكلن كل ليلة إكافا (١)

أطلق لفظ الإكاف على العلف الذى تأكله الأحمرة للمجاورة لأن العلـف يحمـل على الإكاف ، ويحتمل أن تكون العلاقة السببية لأن ثمن الإكاف سبب فى الحصول على العلف .

علاقات أخرى : ومن علاقـات المجـاز المرسـل : اللزوميـة وهـى أن يطلـق اسـم اللازم ويراد الملزوم كقولنا . نظـرت إلى الحـرارة والمـراد : نظـرت إلى النـار أو إلى مولـد الحرارة ... فالحرارة يلزم لها وجود نـار أو مولـد لهـا والنظر يكـون إلى النـار أو إلى هـذا المولد . ففى لفظ الحرارة مجاز مرسل علاقته اللزومية حيث أطلق اللازم وأريد الملزوم وقد يطلق الملزوم ويراد اللازم كقولنا : دخلت الشمس فـى النـافذة والمـراد : دخـل الضـوء ، فالضوء لازم للشمس.

ومن ذلك قوله تعالى : (**مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ**) (٢) وقولـه عـز وجل : (**مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**) (٣) فالمعنى الحقيقى للفظ :"**منع**" هـو الصـرف عن فعل الشيء والمعنى المراد منه فى الآيتين هـو الدعـوة إلى تركـه ، فيكـون معنـى : مـا منعك .. ؟ مادعاك إلى ترك الاتباع .. والسجود ؟ من استعمال اسـم الملـزوم وهـو المنـع والصرف عن الفعل وإرادة لازمه وهو الدعوة إلى تركه .. وهذا معنى سليم لا يحـوج إلى القول بزيادة " لا" فى الآيتين وهو رأى الإمام السكاكى .

---

(١) أحمرة : جمع حمار وعجافا : جمع عجفاء وهى الهزيلة والإكاف : برذعة الحمار .

(٢) سورة طه آية ٩٣ .   (٣) سورة الأعراف آية ١٢ .

وفي الآيتين وجوه أخرى أهمها :

١. أن لفظ منع على معناه الحقيقي و "لا" صلة "زائدة" والمعنى : ماصرفك عن اتباعي ..وعن السجود ؟

٢. أن " منع " ليس مأخوذا من المنع بمعنى الصرف بل من المنعة والحماية فيكون المراد : ما حماك مني حين تركت السجود ؟ وما حماك حين تركت اتباعي ؟ وعندئذ لا مجاز في اللفظ ، لأن منع بمعنى حمى : حقيقة لغوية .. ولا يقال إن جواب "هارون" **(قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي)** (١)وجواب إبليس (**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**)(٢) .. يبطلان هذا الرأي إذ الجواب الصحيح ينبغي أن يكون : حماني كذا أو حماني فلان .. لأنا نقول: الجواب لا يتحتم أن يكون على وفق السؤال بل كثيرا ما يجاب المستفهم بغير ما يتطلب استفهامه لسر بلاغي يقتضيه المقام كما في الآيات الكريمة : **(أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟ قَالُوا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)** (٣) .

(أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ؟ قَالَ : سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُم وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) (٤) .

(مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)(٥).. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة (٦) .

---

(١) سورة طه آية ٩٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٢ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٧٥ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٧ .
(٥) سورة الأنبياء ٥٣ .
(٦) ارجع إلى أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ص ٢٩٤ .

والسر البلاغى فى العدول عمـا يتطلبه السؤال فى الآيتين إلى ما عليه النظم الكريم هو التسليم بأنه لا كالىء يحرسه ولا حامى يحميه وكأن المسئول قد فتش ونقب فلما لم يجد منعة ولا حماية أجاب بما أجاب .

٣ - أن تكون الآيتان بتقديـر " فـى " لا" مـن " والمعنـى : مـا سـبب امتنـاعك فـى تركك اتباعى .. وفى تركك ألسجود .

ومن هذه العلاقات : التعلق الاشتقاقى وهو أن يذكر اللفظ ويراد مـا اشـتق منـه من اسم الفاعل أو المفعول كقوله تعالى :(**هَذَا خَلْقُ ا للهِ**) (١) وقوله عـز وجـل : (**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ**)(٢) حيث أطلق المصـدر فـى الآيتـين وأريـد اسـم المفعول..ومنها العموم والخصوص كقوله تعالى :(**الَّذِينَ قَالَ لَهُـمُ النَّـاسُ إنَّ النَّـاسَ قَـدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُمْ**) (٣) فالمراد بلفظ الناس الأول : المثبطون ، وبالثـانى أبـو سـفيان ومن معه من المشركين .. وكقوله عز وجل : (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَـا آتَـاهُم ا للهُ مِنْ فَضْلِهِ**)(٤) فالمراد بالناس النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابـه رضـوان ا لله عليهـم .. فقد ذكر لفظ العموم فى الآيتين وأريد به الخصوص .

ومنه قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ اتَّـقِ ا للهَ**)(٥) ، وقولـه : (**يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**) (٦) فقد ذكر لفظ " النبى " صلى ا لله عليه وسـلم فـى الآيتين وأريد به كل مكلف فهو من إطلاق لفظ الخاص وإرادة العام.

(١) سورة لقمان الآية ١١ .
(٢) سورة البقرة ٢٢٥ .
(٣) سورة آل عمران ١٧٣ .
(٤) سورة النساء ٥٤ .
(٥) سورة الأحزاب ١ .
(٦) سورة الطلاق ١ .

ومنها علاقة الضدية كقولنا : سرت فى مفــازة ممتـدة والمراد : صحـراء مهلكـة وقولنا : انظر أيها الأعمى ، فى مقام التوبيخ فالمراد بلفظ الأعمى : البصير وكـذا إطـلاق لفظ " السليمم " على " اللديغ " أو " الجريح " وإطلاق لفظ " الملآن " على " الفارغ ".

ومنها علاقة الإطلاق والتقييد وهى أن يكون اللفظ مقيدا فيطلق عـن قيـده كمـا فى قول رؤية بن العجاج :

ومقلة وحاجبا مزججا   وفاحما ومرسنا مسرجا (١)

فالمرسن : اسم لمحل الرسن وهو أنف البعير أطلق عن قيده وأريد به : مطلق أنـف فصح إطلاقه على أنف الإنسان باعتباره أحد أفراد هـذا المطلـق هـذا هـو رأى السـكاكى ويرى عبدالقاهر أن اللفظ بعد أن يطلق يقيد ثانية فلفظ " المرسن " أطلق عن قيده وأريـد به مطلق أنف ثم قيد مرة ثانية وأريد به أنف الإنسـان . فالسـكاكى يـرى أن المتكلـم قـد تصرف تصرفاواحدا وهو إطلاق اللفظ عن قيده وعبدالقـاهر يـرى أن المتكلـم يحتـاج الى تصرف ثان وهو التقييد بعد الإطلاق .. ومن ذلك إطلاق " المشفر " على شـفة الإنسـان وهى فى الأصل للبعير .. وإطلاق الخرطوم على أنفه وهو فى الأصل للفيل كما فى قولـه تعالى (**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**)(٢) أطلق الخرطوم على أنف الوليـد بـن المغـيرة وهـو فـى الأصل للفيل .

المجاز الخالى مـن الفـائدة والمفيـد: المجـاز المرسـل إذا كـانت علاقتـه : الإطـلاق والتقييد فهو خال من الفائدة لأنه لا يخرج عن استعمال اللفظ فى أعم مما وضـع لـه عنـد السكاكى وعن استعمال المقيـد فـى مقيـد آخـر عنـد عبدالقـاهر فكـان هـذا الاسـتعمال كاستعمال المترادفات فى أن كلا من اللفظين لا يفيد معنى أكثر مما يفيده الآخر .

(١) الفاحم : الشعر الشديد السواد . والمسرج : نسبة إلى سريج أو إلى السراج فالمراد على الأول: الدقـــة والاستواء وعلى الثانى : الحسن والبهجة .

(٢) سورة القلم ١٦ .

أما إذا كانت علاقته غير الإطلاق والتقييد فإنه لابد أن يفيد فائدة تختلف باختلاف نوع العلاقة .. فتوجه السؤال إلى القرية وإرادة أهلها يفيد المبالغه فى شيوع أمر السرقة .. والتعبير بالرزق عن الماء وبأسنمة الآبال عن الغيث يفيد إبراز السببية والإشاره إلى تكفل المولى عز وجل بالأرزاق وإلى تعلق نفس العربى ولهفته إلى الغيث... وهكذا على نحو ما مر بك فى تلك العلاقات .

تحول المجاز الخالى من الفائدة إلى مفيد : المجاز المرسل الذى علاقته "الإطلاق والتقييد" خال من الفائدة – كما ذكرنا – لأن المراد بتلك العلاقة بجرد التعبير عن هذا العضو بذاك .. التعبير مثلا عن الأنف بالمرسن وبالخرطوم ، وعن الشفة بالمشفر.. دون قصد الى ذم أو هجاء أما إذا قصد ذلك فإنه عندئذ يصير مفيدا ويخرج من دائرة المجاز المرسل إلى دائرة الاستعاره المفيدة إذ تصبح علاقة المجاز حينئذ المشابهة .

من ذلك قول الفرزدق فى الهجاء :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى ولكن زنجى غليظ المشافر(١)

شبه شفتيه بشفتى البعير فى الغلظ ثم استعمل لفظ المشبه فى المشبه على طريق الاستعارة وهو يرمى بذلك إلى ذمه وتقبيح صورته .

وقول الحطيئة يخاطب الزبرقان بن بدر :

قَرَوْا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره (٢)

---

(١) أسم لكن محذوف والتقدير : ولكنك زنجى .

(٢) قروا : أضافوا من القرى . العيمان : الظمآن إلى شرب اللبن .. وقلص : انقبض وانكمش من تأثير الشراب البارد يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .

أراد الحطيئة أنه بقى فى جوار الزبرقان وهو ظمآن إلى اللبن و لم يجد فى جواره ما يسد به رمقه سوى الماء الذى أثر فى شفتيه فتقلصتا وصارتا كشفتى البعير فلما صار إلى غيره وترك جواره أكرمه بذلك الغير .

والشاهد فى البيت : استعارة المشافر للشفاه تقبيحا لصورتها وتشويها لمنظرها لينبىء ذلك عن سوء معاملة الزبرقان له .

ومنه قول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها   إلى ملك أظلافه لم تشقق

يقول : سأمنع ناقتى أن تسير الى أحد أو أجعل وجهة سيرها إلى ملك عظيم عريق فى الملك لا إلى عبد دخيل على الملك مشقق الأظلاف .. والشاهد فى البيت : استعارة الأظلاف وهى لما اجتر من الحيوان لأظافر المذكور على سبيل السخريه والتهكم فالجامع بين الأظافر والأظلاف هو تشققها وسوء منظرها والشاعر فى هذا البيت يعرض بأحد الملوك .

ومن ذلك قوله عز وجل : (**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**) (١) أطلق لفظ الخرطوم وهو للفيل على أنف ذلك المعاند على سبيل السخريه والتهكم .. فلفظ الخرطوم مستعار للأنف وليس مجازا مرسلا .

المزايا البلاغية للمجاز المرسل : لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز المرسل إلا لإفادة أسرار متنوعة وتحقيق أغراض بلاغية متعدده أهمها ما يلى :-

(١) سورة القلم آية ١٦ .

١ - **الإيجاز كما في قولنا** : رعينا الغيث .. فهو أوجز من قولنا رعينا النبات الذى كان الغيث سببا فى نموه واخضراره ، فقد طوى المسبب وذكر فى موضعه السبب .. وكما فى قوله تعالى : **(وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)**(١) أى: ينزل الماء الذى يتسبب فى إيجاد الرزق .

٢ - **المبالغة كما فى قوله عز وجل** : (**جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ**)(٢) فقد ذكرت الأصابع فى موضع الأنامل مبالغة فى تعطيل أسماعهم لشدة عتوهم ونفورهم وإعراضهم عن الحق .

٣ - يفسح مجال التعبير أمام الأديب أو المتكلم فعن طريق المجاز يستطيع أن يتخير الألفاظ الملائمة للقافية أو الفاصلة ، وأن يتجنب الألفاظ التى تخل بفصاحة الكلام ، فيترك الحقائق ويستعمل المجازات حتى يسلم تعبيره مما يخل بفصاحته .

٤ - يعين المتكلم على تحقيق ما يهدف إليه من أغراض . كالتعظيم والتحقير والتهويل وغير ذلك ، تقول : رأيت العالم ، تقصد : رأيت طالب العلم الذى سيصير عالما .. فأنت بذلك تعظمه وترفع من شأنه .. وتقول: انظر إلى الجيفة كيف يطغى ويتكبر .. تريد من سيموت فيصبح جيفة منتنة ، فأنت بهذا تحقره وتضع من شأنه .. ومن ذلك قوله تعالى : **(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فى آذانهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)** (٣) أفادت الآية شدة الهول والرعب ، والخوف الذى انتابهم ، والذى من أجله حاولوا إخفاء أسماعهم بأقصى ما يستطيعون .

٥ - كما لا يخلو المجاز المرسل من خيال يعرض للسامع عندما تمر بذهنه المعانى الحقيقية لتلك الألفاظ التى سرعان ما تتلاشى أمام المعانى المجازية

---

(١) سورة غافر آية ١٣ .　　(٢) سورة نوح آية ٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٩ .

المقصودة . . هذا الخيال يحقق الجمال وإمتاع النفس التى ترى النبات والرزق بمختلف صنوفه يتدفق من السماء ، وأسنمة الآبال يسعى بها السحاب . . وهذا يأكل دما ويمضغه بأسنانه . . وذاك يأكل ناراً فتكوى بها أحشاؤه . . هذه الصور تخطر فى النفس فور سماع جملها وهى وإن كانت تزول سريعا أمام المعنى المراد بنصب القرينة إلا أنه بخطورها يتحقق إمتاع النفس وإثارة الذهن فتقع المعانى فى النفس موقعها . . إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية والأسرار واللطائف التى تكمن وراء أساليب المجاز المرسل .

الاستعارة

تختلف الاستعارة عن المجاز المرسل - كما سبق - فى أن العلاقة فيها بين المعنيين: الأصلى الذى وضع له اللفظ ، والمجازى الذى استعمل فيه هى علاقة المشابهه ٠٠ ولك أن تعرف الاستعارة بالمعنى الاسمى فتقول : هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى ، أو أن تعرفها بالمعنى المصدرى فتقول: هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعه من إرادة المعنى الأصلى ٠٠ ولذا صح الاشتقاق فيقال : لفظ مستعار ، ومتكلم مستعير ، ومعنى مستعار منه وهو المشبه به ، ومعنى مستعار له وهو المشبه ٠٠

ومن شواهدها قوله تعالى فى شأن المنافقين : **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾** (١) ، حيث استعير لفظ المرض من العلة الجسمانية للنفاق ، والعلاقة هى المشابهة الحاصلة بين المرض والنفاق فى أن كلا منهما يفسد ما يتصل به ، المرض يفسد الأجساد والنفاق يفسد القلوب ، والقرينة المانعة من إرادة المرض الجسمانى هى أن الآية الكريمة مسوقه لذم المنافقين الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ، و لا معنى لأن يكون الذم فى وصفهم بالمرض الجسمانى ، بل المراد ، ذمهم بفساد قلوبهم ، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز فى الآية الكريمة ينبىء بتمكن النفاق واستحكامه واستقراره فى قلوب المنافقين ، حتى صار مرضا مازج دماءهم واستشرى فيها .. ومنها قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم(٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٠ ٠

(٢) شاكى السلاح : من الشوكة وهى القوة وأصله : شائك ، ففيه قلب مكانى ، والمراد أنه قوى تام السلاح والمقذف: الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع لقوته ، أو الذى قذف باللحم ، واللبد : الشعر المتجمع بين كتفى الأسد ٠

حيث استعار لفظ الأسد للبطل الشجاع المدجج بالسلاح وقد أضفت الصفات المذكورة :" مقذف له لبد أظفاره لم تقلم " ، أضفت على المستعار له ألوانا من القوة وصنوفا من البطولة الفائقة .. وواضح لك أن المشبه فى كل من الآية والبيت قد طوى وطرح وذكر فى مكانه المشبه به ..

ومنها قول أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد جعل للمنية أظفارا تنشبها فى فريستها ، حيث شبهها بالسبع وطوى المشبه به رامزا له بشيء من لوازمه وهو الأظفار والإنشاب اللذان أثبتهما للمشبه ... وهذا الإثبات قرينة الاستعارة .

هذا وقد عرف الخطيب القزويني الاستعارة بقوله :" هى ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له " (١) فهى مبنية على التشبيه وقائمة عليه ومتضمنة له ، كما رأيت فى الشواهد ، ولا يصرح فيها إلا بطرف واحد من طرفى التشبيه ، فإن صرح فى العبارة بطرفى التشبيه معا نحو : محمد أسد، ورأيته بحرا ، ولئن سألته لتسألن به الغيث ، فهل يعد مثل هذا الكلام من قبيل الاستعارة أم يعد تشبيها ؟ هذا ما سنقف عليه فيما يلى إن شاء الله .

الفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ

عرفنا أن جملة التشبيه تتكون من مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبه وأن هذه الأجزاء قد تذكر جميعها فيقال : أنت كالبحر عطاء ، وقد يحذف الوجه فيقال: أنت

(١) الإيضاح جـ ٣ ص ١٠٤

كالبحر أو الأداة فيقال أنت البحر عطاء ، ولا خلاف بين العلماء فى كون هذا تشبيها وليس استعارة . . وقد تحذف الأداه والوجه معا فيقال : أنت الأسد أو أنت أسد أو هو بحر ويسمى هذا بالتشبيه البليغ – كما مر بنا – وقد يلحق بالأداة والوجه المشبه فيحذف وينوى تقديره لا يطرح منسيا إذ هناك فرق بين الحذف مع نية التقدير كقوله تعالى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) (١) ، وقوله القائل :

أسد عليَّ وفى الحروب نعامة فتخاءُ تنفر من صفير الصافر

وبين الحذف مع نسيان المحذوف وعدم إرادته كقولنا : رأيت بحراً يخطب الناس فى المسجد ، فقد حذف المشبه هنا ولا يتأتى تقديره بل إن تقديره يخل بالمعنى ويغير الأسلوب ويحول مجرى الكلام . . وقد اختلف العلماء فى التشبيه البليغ وهو الذى حذفت أداته ووجهه أو لحق بهما المشبه على نية تقديره وإرادته ، فبعضهم عده تشبيها وبعضهم جعله استعارة وبعضهم فصل القول فجعل منه تشبيها فى بعض السياقات واستعارة فى البعض الآخر . .أما إذا حذف المشبه و لم يرد بل دخل فى جنس المشبه به وعد فرداً من أفراده نحو : رأيت أسداً يحارب بسيفه . . أو حذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وأجرى هذا اللازم على المشبه فجعل له نحو : أنشبت المنية أظفارها ، فلا خلاف بين العلماء فى كون هذا استعارة وليس بتشبيه . . الخلاف إذاً ينحصر فى التشبيه البليغ أتشبيه هو أم أستعارة ؟ وإليك بيان آراء البلاغيين فى ذلك .

رأى جمهور البلاغيين : يرى أكثر البلاغيين أن نحو قولنا : محمد أسد ، وكان خالد أسداً ، وعلمت عليا بحراً ، وفر الجبان نعامة ، ومررت بفتاة بدر . . وقول المتنبى مادحاً :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد(٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٨ .

(٢) الهزبر : أقوى أنواع الأسود . والخضاب : الحناء . والفريص : جمع فريصة وهى لحمة بين الثدى والكتف أو بين الجنب والكتف .

أى : أنت أسد وموت .. وقول عمران هاجيا :

أسد على وفى الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

أى : أنت أسد ونعامة .. يرون أن مثل هذا تشبيه بليغ ويفرقون بينه وبين الاستعارة من عدة وجوه :

أولها : أن المشبه به فى التشبيه البليغ محكوم به على المشبه - كما فى الشواهد المذكورة فقولنا : محمد أسد ، أفاد إثبات معنى الأسدية لمحمد فمحمد محكوم عليه وأسد محكوم به ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التشبيه ، إذ يستحيل كون محمد أسداً على الحقيقة ، وهذه الاستحالة قرينة على أن مقصود المتكلم إثبات مشابهة محمد لحقيقة الأسد ، لا إثبات حقيقة الأسد له .. أما فى الاستعارة فالمشبه به محكوم عليه بغيره فقولنا : كلمت أسداً وعنت لنا ظبية ، المشبه به ، وهو الأسد والظبية محكوم عليه ، إذ الكلام وقع على الأسد ، والظهور وقع من الظبية ، فالسياق ليس لإثبات التشبيه كما فى "محمد أسد" وإنما لإثبات الظهور- والكلام المحكوم بهما على المشبه به ..

ثانيها : أن التشبيه غرض مقصود لذاته فى التشبيه البليغ لإفادة المبالغة وليس وسيلة لإفادة غيره ولذا استحق اسم التشبيه ، أما فى الاستعارة فالتشبيه ليس غرضا مقصوداً لذاته ، بل هو مقصود تبعا إذ هو وسيلة يتوصل بها الى جعل المشبه واحداً من أفراد المشبه به ولذا نتناساه ونتجاهله فيطوى المشبه ويحذف وأحيانا ترشح الاستعارةبأوصاف

لا تلائم المشبه ولا توجد فيه بل توجد فى المشبه به ، كما فى قولة تعالى : **"أولئكَ الَّذينَ اشْتَروُا الضَّلاَلَةَ بالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَاَ كَانُوا مُهْتَدِينَ"** (١) حيث استعير الشراء للاختيار ثم رشحت الاستعارة بذكر ما يلائم المستعار منه أى المشبه به وهو الربح والتجارة فهما بلاغاً "الشراء" المستعار منه ٠

ثالثها : أن المشبه فى التشبيه البليغ مذكور فى الكلام إما لفظا أو تقديرا -كما فى الشواهد المذكورة - ، أما فى الاستعارة فيجب حذفه وطيه وتناسبه- كما رأينا - ، ولذا كانت المبالغة فى الاستعارة أقوى والخيال أشد ، فقد يقع فى الوهم أن المشبه به مراد به معناه الحقيقى لا المجازى ، وذلك قبل الوقوف على القرينة ، فإذا قلنا: رأيت اسداً يخطب الناس فقد يقعُ فى الوهم قبل أن نقف على القرينة أن المراد: الحيوان المفترس ، وسرعان ما يندفع هذا التوهم بالقرينة ٠٠ وذلك لا يتأتى فى التشبيه البليغ لوجود المشبه لفظا أو تقديرا ٠٠٠

رابعها: هناك من الأساليب ما صرح فيها بلفظى المشبه والمشبه به وحذفت منها أداة التشبيه ووجه الشبه ، ولكن لم يقع المشبه به خبرا عن المشبه ولا فى حكم الخبر ٠٠ وذلك كأسلوب التجريد فى نحو : لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر ، ولقيت بفلان أسداً وقابلت به بحرا ، فقد ذكر المشبه وهو فلان والمشبه به وهو البحر والأسد ولم يقع المشبه به خبرا عن المشبه ٠٠ ولذا لم يقل أحدٌ بأن هذا الأسلوب تشبيه بليغ ، وفى ذات الوقت لم يقل بأنه استعارة ٠٠ بل هو تشبيه بالاتفاق ولكن الخلاف فى كونه تشبها صريحاً أم تشبيها ضمنياً ، وأكثر البلاغيين

---

(١) سورة البقرة آية ١٦ ٠

على أنه تشبيه ضمنى ، فهو أسلوب مستقل يتضمن التشبيه ولهذا يقع فى بعض صوره ما لا يفيد التشبيه أصلا ، كقولنا : لى من فلان صديق حميم .. ولقيت به رجلا كريما .. ومن تلك الأساليب قول الله عز وجل : "**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**" (١) فقد صرح بالمشبه به وهو : "الخيط الأبيض"، و "الخيط الأسود" وبالمشبه وهو "من الفجر" ودل السياق على إرادة المشبه الآخر المقابل للخيط الأسود وتقديره "من الليل" ، وحذفت الأداة ووجه الشبه ، و لم يقع المشبه به خبرا عن المشبه ولا فى حكم الخبر كما هو واضح .. ولذا .. فهو ليس بتشبيه بليغ وفى نفس الوقت ليس باستعارة وانما هو تشبيه ضمنى .. يقول الزمخشرى: (إن قوله "من الفجر" أخرجه من باب الاستعارة ، كما أن قولك : رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها) (٢) ..

ومنها قولك : ضوء الشمس مسروق من ضوء جبينه ، وقول أبى تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

وقول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه ماالجرح بميت إيلام

فليس هنالك أداة تشبيه مذكورة ، ومع هذا أفادت تلك الأساليب التشبيهات الضمنية ، حيث استشف منها طرفا التشبيه .

رأى بعض البلاغيين : ويرى بعض العلماء أن هذا الاسلوب أى : التشبيه المحذوف الوجه والأداة ، والذى يقع المشبه به فيه خبرا عن المبتدأ أو فى حكم الخبر ، كما فى الأمثلة التى مرت بك .. يرونه استعارة لاتشبيها . ويحتجون لرأيهم بما يلى:

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) الكشاف جـ ١ ص ١٧٥ .

١ – أن فيه ما فى الاستعارة من المبالغة فى دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ..
٢ – أن حمل المشبه به على المشبه والحكم به عليه فى نحو محمد أسد يرجع إلى أن لفظ "أسد" ليس مستعملا فى معناه الحقيقى الذى هو الحيوان المفترس بل هو مستعمل فى معنى "الجرىء" فحمله على "محمد" باعتبار أن محمداً أحد أفراد "الجرىء" ، وهذا الحمل صحيح لاتحاد الحقيقتين ومن ثم كان لفظ "أسد" استعارة لا تشبيه.

:

والواقع أن الخلاف بين الرأيين لفظى – كما ذكر الخطيب – ومرجعه إلى الاختلاف فى تعريف كل من التشبيه والاستعارة وإلى محاولتهم تصحيح الحمل فى نحو: محمد أسد فمن عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى بأداة مذكورة أو مقدرة أخرج التشبيه البليغ من الاستعارة وكذلك من عرف الاستعارة بأنها المجاز الذى تضمن تشبيه المعنى المراد بالمعنى الذى وضع له اللفظ أخرج أيضاً التشبيه منها لأنه يلزم عليه تشبيه الشيء بنفسه ، وقد صحح هؤلاء الحمل فى نحو : محمد أسد بتقدير أداة التشبيه.. ومن عرف التشبيه بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر بأداة مذكورة لا محذوفة جعل التشبيه البليغ استعارة ، وكذا من عرف الاستعارة بأنها الكلام الذى بنى التشبيه فيه على حذف الأداه ودعوى الاتحاد بدخول المشبه فى جنس المشبه به .. وقد صحح هؤلاء الحمل فى نحو : محمد أسد بأن محمداً يعد أحد أفراد "الجرىء" الذى استعمل فيه لفظ الأسد .

رأى عبدالقاهر : يرى الإمام عبدالقاهر أن التشبيه الذى حذفت أداته ووجهه ووقع المشبه به فيه خبراً عن المبتدأ أو فى حكم الخبر ، يرى أن مثل هذا من التشبيه وليس استعارة ولكنه يعود فيفصل القول فيه على النحو التالى :

١ – بعض جمل هذا التشبيه لا يجوز تسميتها استعارة وهى تلك الجمل التى يمكن دخول جميع أدوات التشبيه عليها ويكون دخولها مقبولا ومستساغا ،

ويتحقق ذلك إذا كان المشبه به معرفة نحو : محمد الأسد ، وهند شمس النهار فيمكننا أن نقول : محمد كالأسد وكأن محمدا الأسد وهو مثل الأسد ويشابه الأسد وخلته الأسد ، وكذا هند كشمس النهار وكأنها شمس النهار وحسبتها شمس النهار وهى مثل شمس النهار وتشبه شمس النهار ..

٢ - بعضها يجوز تسميته استعارة ولكن تسميته بالتشبيه أقرب وأفضل ، وهى تلك الجمل التى يحسن دخول بعض أدوات التشبيه عليها دون بعض وذلك إذا كان المشبه به نكرة نحو زيد أسد ، وهند بدر فيحسن أن تقول : كأن زيداً أسد وكأن هنداً بدر وخلته أسدا وعلمتها بدرا ، ولا يحسن أن نقول : هو كأسد وهى كبدر ، ولذا صار له شبه ما بالاستعارة فى عدم تقدير الأداة معها ...

٣ - بعضها يترجح تسميته استعارة وهى الجمل التى لا يحسن تقدير أداة من أدوات التشبيه فيها إلا بتغيير فى بنائها وذلك بأن يكون المشبه به نكرة موصوفة بأوصاف لا تلائمه نحو : فلان بدر يسكن الأرض وهو شمس لاتغيب .. وقول البحترى :

شمس تألق والفراق غروبها　　　عنا وبدر والصدود كسوفه (١)

فلا يحسن تقدير الأداة هنا إلا بتغيير فى صياغة الكلام فيقال : فلان كالبدر إلا أنه يسكن الأرض . وكالشمس إلا أنه لا يغيب وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه ، وذلك لأن دخول الأداة بدون تغيير يؤدى إلى التشبيه بشيء مجهول لا حقيقه له . ولذا غيرت النكرة إلى معرفة ليكون المشبه به هو جنس البدر لا واحدا من أفراده ، وجيء بالاستثناء لصرف الوصف بسكنى الأرض عن البدر الحقيقى إلى البدر الادعائى وهو الممدوح .. وهكذا .

---

(١) تألق : أى تتألق بمعنى تلمع فحذفت التاء . والصدود : الإعراض.. والكسوف : قد يطلق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

٤ - بعضها يتعين حمله علــى الاستعارة وهــى تلـك الجمـل التى يستحيل تقديـر أدوات التشبيه فيها ، لأن تقديرها يؤدى إلى التناقض وإفساد غرض المتكلـم ، وذلك إذا كان المشبه به نكرة موصوفة بصفات لاتوجد فيه ، ومراعاة التشبيه معها يفسد معنى الكلام . ويذهب بالغرض منه ، كقول المتنبى :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه يرعد

فلا يقال : هو كأسد دم الأسد الهزبر خضابه .. لأن مقتضى التشبيه أن يكــون المشبه به أقوى من المشبه أو مثله فى قوته ، وقوله : "دم الأسد الهزبـر خضابـه ، يقتضـى أن يكون الممدوح أقوى من الأسد ، وهذا تناقض ، ولكــن حمـل البيـت علـى الاستعارة يدفع هذا التناقض حيث تكون الصفات المذكورة منصبـة علـى الممـدوح لا علـى الأسـد وكذا القول فى تشبيهه بالموت .. ومن ذلك قول البحترى :

وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا وموضع رجلى منه أسود مظلم

فلو قلنا كأنه بدر أضاء .. أو هو كبدر أضاء الكون إلا موضع قدمى . لأدى إلى التشبيه بمجهول لا وجود له ، ولذهب بغرض البحترى وهـو أن الممـدوح يعـم النـاس بخيره ويخصه بالحرمان ، وحمل البيت على الاستعارة يدفع ذلك ويحقق غرض الشاعر ، إذ تكون هذه الصفات جاريه على الممدوح لا على البدر ، وبذا تتحقق المبالغة التى يقصدها البحترى ...

أى هـذه الآراء أرجـح : وأرجـح هـذه الآراء رأى الجمهـور ، وهـو أن التشـبيه البليغ تشبيه وليس باستعارة حيث صرح فيه بطرفى التشبيه .. ومـا يـراه عبدالقـاهر مـن ترجيح إطلاق اسم الاستعارة على بعض صوره وتحتيم إطلاقها على بعـض ، يمكـن دفعـه بـأن الكـلام فيهـا مبنى علـى الخيال ، وعلى تصور وجود أشياء خيالية وأجناس جديـدة تضاف إلى الأشياء الموجودة والأنماط المألوفة .. فالمتنبى يتخيل أسداً دم الأسود خضابـه

وموتا فرائص الموت منه ترعد ثم يشبه بهما ممدوحه .. وبدر البحترى بدر متخيل يضئ جميع الأرض إلا موضع قدمه، وهكذا .. فهنالك بدر يسكن الأرض وشمس لا تغيب وهما من صنع الخيال .. والذى يتعم النظر فى كلام عبدالقاهر يجده يحوم حول هذه الفكره (١).....

أمجاز لغوى الاستعارة أم عقلى ؟ اختلف البلاغيون فى الاستعارة ، هل تعد من قبيل المجاز اللغوى ، أم هى من قبيل المجاز العقلى ؟ .

فيرى جمهور البلاغيين أنها مجاز لغوى ، بمعنى أن التصرف الذى يحدث فيها تصرف فى دلالة اللغة ، حيث يتم بتغيير فى دلالة الألفاظ ونقلها من معانيها الأصلية إلى معان أخرى ..

ودليلهم على ذلك أن لفظ المشبه به فى الاستعارة كالبدر فى قولنا : صافحت بدرا وضع فى اللغة للكوكب المضىء ، ولم يوضع للمشبه هو "الرجل المشرق الوجه" ولا لمعنى عام يشمل الكوكب والرجل ، وهو "مطلق مشرق" ، ولذا كانت دلالته على المشبه عن طريق التشبيه والادعاء ونقل اللفظ من الدلالة على الكوكب المضىء اللامع: إلى الدلالة على الرجل المشرق الوجه الحسن الطلعة ، وهذا تصرف لغوى ، ولا يقال: كيف يكون هذا تصرفا لغويا ، ولفظ "البدر" لم يوضع للرجل المضىء ، لأنه لو كان لفظ "البدر" موضوعا للرجل البهى المضىء لكانت هذه الدلالة عن طريق اللغة لا عن طريق التشبيه .

والبلاغيون متفقون على أن هذه الدلالة عن طريق التشبيه والادعاء وكذا لو كان لفظ البدر موضوعا لمطلق مشرق للزم أن يكون صفة مشتقة ، لا اسم جنس واللغويون جميعا متفقون على أنه اسم جنس .. ولذا كانت الاستعارة مجازاً لغويا .

(١) انظر أسرار البلاغة ص ٢٦٧ وارجع إلى كتابنا دراسات بلاغية مبحث الاستعارة والتشبيه البليغ .

ويرى بعض البلاغيين أنها مجاز عقلى ، بمعنى أن التصرف الذى يحدث فيها تصرف عقلى بحت لا دخل للغة فيه ، لأن النقل فيها ليس للألفاظ فقط ، بل هو نقل للألفاظ والمعانى معا فلفظ "الأسد" فى قولنا .. رأيت أسداً يتكلم ، لا ينقل من الأسدية إلى الرجل الشجاع مجردا عن معناه ، بل ينقل معناه إلى المشبه ويجعل الرجل الشجاع بواسطة الادعاء واحدا من أفراد الأسود ، وإذا صار واحدا منهم كان إطلاق اسم الأسد عليه حقيقة ، فالتصرف إذاً فى تحويل الرجل الشجاع من حقيقة الإنسانية إلى حقيقة الأسدية ، بواسطة أمور عقلية هى التشبيه ثم تناسيه وادعاء أنه صار واحدا من أفراد الأسود ، وكلها تصرفات عقلية ، ويؤيد ذلك ما يلى :-

١ - أن نقل الاسم لو كان مجردا من معناه لكانت الأعلام المنقولة نحو : يزيد ومنصور وخالد وصخر ، من قبيل الاستعارة ؛ لأنها نقلت من معانيها الأصلية وسمى بها أشخاص دون نقل معانيها معها ، ولذا لم يقل أحد بأنها استعارة ..

٢ - لو كان نقل الاسم فى الاستعارة مجردا عن معناه لما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقه ، إذ لا أبلغية فى نقل اللفظ مجرداً عن معناه .

٣ - لو كان نقل الاسم فى الاستعارة مجردا من معناه ، لما صح أن نقول فيمن قال: عنت لنا ظبية ، وأراد فتاه جميلة ، إنه جعلها ظبية ، أى أثبت لها معناها ، كما لا يقال فيمن سمى ابنه صخرا ، إنه جعله صخرا ، لأن الجعل تحول من جنس إلى آخر ، ولا تحويل فى التسمية ، لكن من المسلم به أن من قال : عنت لنا ظبية ، وأراد فتاة جميلة ، أنه يريد أن يجعلها ظبية ، أى : يثبت لها معنى ظبية ، ولهذا وبخ المشركون لجعلهم الملائكة إناثا فى قوله عز وجل : **(وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمنِ إِنَاثاً أَشهِدُوا خَلْقَهُمْ؟)** (١) .

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٩ .

٤ - لولا ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به وصيرورته واحداً من أفراده ، لما صح التعجب فى قول ابن العميد يصف غلاما جميلا قام على رأسه يظلله من الشمس :

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

لأن ما يوجب التعجب هو الأمر الغريب النادر كشمس حقيقية تظلل من الشمس الحقيقية . . ولما صح النهى عن التعجب فى قول ابن طباطبا :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر (١)

حيث استعار القمر لصاحبه وأدخله فى جنس الأقمار فصح لذلك النهى عن التعجب . . . ومثله قول الآخر :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر فى كل يوم طالع فيها (٢)

حيث استعار البدر للمرأة . . وأدخلها فى جنس البدور فصارت بدرا حقيقيا ، فلم يعد غريبا أن يبلى غطاء رأسها لطلوعها كل يوم فيه ، ولا مجال لإنكار هذا البلى . .

رد الجمهور : وقد رد الجمهور على هذه الأدلة بأن نقل معنى المشبه به إلى المشبه وادعاء دخوله فى جنسه وجعله واحدا من أفراده مبنى على التنزيل والافتراض وتناسى التشبيه ، وذلك بقصد المبالغة ، وليس تحويلا للمشبه إلى حقيقة المشبه به فى

---

(١) البلى : الفساد . والغلالة : ثوب صغير يلاقى البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه . وزر : شد ، وهم يزعمون أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها لضوء القمر ، فكيف إذا زرت عليه ؟ إن البلى عندئذ يكون أشد سرعة إليها .

(٢) يبلى : يخلق ويفسد . . والمعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها .

الواقع . . فاللفظ المستعار لا يخرج عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له ، وصحة التعجب والنهى فى الشواهد المذكورة ، لا تقتضى أننا جعلنا المشبه هو نفس المشبه به على الحقيقة ، بل جعلناه داخلا فى جنسه على طريق الادعاء لتحقيق المبالغة ، وفرق بين جعل الشيء الشيء حقيقة وبين جعله إياه ادعاء وتخييلا .

هل قيام القرينة المانعة ينافي الادعاء ؟ : وقيام القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلى للمشبه به في الاستعارة لا ينافي الادعاء ، لأن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به وجعله واحدا من أفراده ، ليس معناه جعل حقيقة المشبه هى حقيقة المشبه به فى الواقع ، بل بهذا الادعاء تصبح أفراد المشبه به نوعين : نوع يمثل الحقيقة الأصلية للمشبه به ، ونوع يمثل الحقيقة الادعائية والقرينة إنما تمنع إرادة الأصلية ، وتعين إرادة الادعائية وتنويع أفراد الجنس الواحد ، ليس بدعا فى استعمالات العرب بل هو سنة معروفة فنحن نقول عن الرجل الذى تجاوز الحد فى الجرأه : إنه ليس بإنسان ، وإنما هو أسد ، فنجعل أفراد الأسد نوعين ، نوع فى هيكل الحيوان وجسمه ، ونوع فى صورة الإنسان . ومما جاء من ذلك قول المتنبى :

نحن قوم م الجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

فقد جعل الجن نوعين : نوع هو الحقيقة الأصلية للجن وهى الأجسام النارية الخفية ، ونوع فى صورة الإنس ، كما جعل الطير نوعين : نوع هو الطير ذو الأجنحة ونوع فى صورة الجمال .

وقول عمرو بن معد يكرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

فقد جعل التحية نوعين : نوع بالسلام ونوع بالضرب ، وفى البيت استعارة تهكمية ، حيث نزل مواجهة العدو بالأذى منزلة ملاقاته بالتحية على سبيل السخرية

والتهكم ، والضرب الوجيع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى للتحية .. ومثله قولهم : عتابك السيف جعلوا العتاب نوعين : عتاب الكلام وعتاب السيف ونزلوا إعمال السيف منزلة العتاب على سبيل الاستعارة التهكمية والسيف قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى للعتاب .. ولا يجوز جعل التعبيرين من التشبيه البليغ لتنافى ذلك مع المقصود من الكلام؛ لأنه ليس المراد أن التحية كالضرب والعتاب كالسيف فى شدة التأثير ، ولكن المراد جعل إعمال السيوف مكان العتاب ، والمواجهة بالأذى مكان التحية ، قصدا للسخرية والتهكم.. وكذا قولهم : جوابك الصمم ، وأجرك المنع جعلوا الجواب نوعين : نوع بالكلام ، ونوع بالصمم والإعراض وجعلوا الأجر كذلك نوعين : نوع متعارف وهو إعطاء المال ونوع غير متعارف وهو المنع ، وعدم العطاء .. والمراد الثانى على سبيل الاستعارة التهكمية .

ومنه قول عامر بن الحارث النميرى :

وبلدة ليس بها أنيس ... إلا اليعافير وإلا العيس (١)

فقد جعل الأنيس نوعين : متعارف وهو الذى يؤنسك من بنى الإنسان وغير متعارف وهو اليعافير والعيس هذا على جعل الاستثناء متصلا ، أما على جعله منقطعا ، فلا يقدر فيه دخول المستثنى منه الا على رأى بعضهم.

وكذا القول فى الآية الكريمة **﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَ لاَ بَنُونَ إلاَّ من أَتَى ا للهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** ، (٢) حيث جعل المال والبنين نوعين : نوع هو الأمتعة والنقود والرجال . ونوع هو القلب السليم ، هذا على جعل الاستثناء متصلا ، أما على جعله منقطعا ، فلا تنويع فى الآية إلا على رأى بعضهم - كما قلنا - وعلى كل فليس فى الآية تشبيه ولا استعارة .

---

(١) المراد بالبلدة : المفازة . واليعافير : جمع يعفور وهو ولد البقرة الوحشية . والعيس : جمع أعيس ومؤنثه عيساء وهى الإبل التى يخالط بياضها صفرة ...

(٢) سورة الشعراء ٨٨ ، ٨٩ .

الفرق بين الاستعارة والكذب : يزعم البعض أن الاستعارة تدخل فى الكـذب ، وهذا زعم مخطىء لأن الاستعارة تفارق الكذب من جهتين :

الأولى : أن الاستعارة مبنية على التأويل ، وذلك بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه بـه وصيرورتـه فـرداً مـن أفـراده ، فيصبـح المشـبه بـه نوعـين : متعارف وغير متعارف على نحو ما مر بك .. أما الكذب فـلا تـأويل فيه .. بل إن الكاذب يتبرأ من التأويل .

الثانية : أن الاستعارة لابد فيها من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى للفظ المستعار وتصرفه إلى المستعار له ، أما الكاذب فلا يقيم قرينة ولا ينصـب دليـلا على إرادة غير الظاهر ، بل يجد ويبـذل قصـارى جهـده ليـبرز ويظهـر صحة باطله ..

هل تقع الاستعارة في أعلام الأشخاص ؟ : الأصل في الاستعارة ألا تقع في أعلام الأشخاص كخالد وعمرو وزيد ومكة والمدينة والقاهرة وأسيوط ، وذلك لأن هذه الأعلام وضعت للدلالة على ذوات معينة ، فهي تفيد التشخيص والتعيين ولا تفيد الجنسية المقتضية للعموم ، والاستعارة تقتضي العموم . ووجود أفراد كثيرين يدخلون تحت جنس واحد ، إذ هي تقوم على ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به وجعله فردا من أفراده ... لكن إذا اشتهر علم الشخص بوصف وعرف به صار بذلك شبيهًا بأسماء الأجناس التي تصدق على كثيرين وعندئذ تجوز استعارته ، كما تستعار أسماء الأجناس ، مثال ذلك أن : " حاتمًا " قد اشتهر بالكرم حتى صار إذا أطلق لفظ " حاتم " ، فهم منه معنى الكرم فأصبح بذلك عامًا وكأنه قد وضع لذي الجود مطلقًا ، وبهذا تصح استعارة لفظ " حاتم " لكل شخص كريم ... وكذلك القاهرة قد اشتهرت بزحامها وكثرة ضوضائها فإذا رأيت مدينة مزدحمة ، كثيرة الضوضاء ، صح أن تستعير لها لفظ القاهرة فتقول لصاحبك انظر : نحن نسير في القاهرة ويزعجنا زحمتها وضوضاؤها ...

* * *

أقسام الاستعارة

الاستعارة التحقيقية : وهي الاستعارة التي يكون المعنى المراد بها وهو المستعار له أي : المشبه ، له تحقق ووجود يدركه الحس أو العقل ، وليس أمرًا خياليًا أو وهميًا . ولهذا سميت تحقيقية ، وتنقسم عند الجمهور إلى قسمين :

مكنية وسيأتي الحديث عنها ، وتصريحية وهي ما يصرح فيها بلفظ المشبه به المستعار ، كقولنا : رأيت أسدًا يخطب الناس ، فالمعنى المراد وهو الرجل الشجاع له تحقق ووجود فهو مدرك بالحس ، وقد صرح فيها بلفظ المشبه به كما ترى ... ومنها قول زهير بن أبي سلمى :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

فقد استعار لفظ الأسد للبطل الجسور المدجج بسلاحه الذي يقذف به في المعارك لقوته وخبرته ، وحين جعل البطل أسدًا جعل له لبد الأسد وأظفاره المخيفة التي لم تقلم ...

وقول البحتري :

وصاعقة في كفه ينكفي بها ... على أرؤس الأعداء خمس سحائب

فقد استعار الصاعقة لنصل السيف لتشابههما فيما يوقعان من أذى ... ثم استعار لفظ السحائب لأصابع الممدوح لتشابههما في الجود والخير .

وقول أبي دلامة يذم بغلته ويصور سيرها :

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا ... برجليها وتخبز باليدين[1]

---

(١) الشهباء ، البغلة البيضاء . غدونا : دخلنا الغداة وهي أول النهار ...

فقد شبه حركة رجليها بحركة يدي العاجن في الانزلاق وعدم الاستقرار فرجلاها لا يثبتان على الأرض ، بل ينزلقان إلى الأمام وكذلك يدا العاجن لا يثبتان في مكان ، بل ينزلقان لرخاوة العجين إلى الأمام . ثم شبه حركة يديها وهما لا يتقدمان إلى الأمام ، بل ينثنيان إلى الخلف نحو بطنها في تقوس واعوجاج ، بحركة يدي الخابز ، حيث يثنيهما إلى صدره في تقوس ليستجمع قوته ويقذف بأقراص العجين داخل التنور ، فالشاعر قد استعار العجن لحركة الرجلين والخبز لحركة اليدين ، ثم اشتق منهما ، تعجن وتخبز على سبيل الاستعارة التبعية ... فالمعنى المجازي المراد في هذه الشواهد وهو البطل الشجاع ونصل السيف وأصابع الممدوح وحركات الدابة ، له تحقق ووجود إذ هو من المشاهدات الحسية .

ومما يدرك بالعقل قوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ (١)، أي من الضلالات إلى الهدى فقد استعيرت " الظلمات " للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما ، واستعير " النور " للإيمان لتشابهما في الهداية ، والمستعار لهما هما الضلال والإيمان كل منهما محقق عقلاً ... أما قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ (٢)، فيحتمل أن تكون الاستعارة تحقيقة حسية ، أو تحقيقية عقلية ، وذلك أنه صرح بالمشبه به وهو " اللباس " ، فلو جعلنا المستعار له ما أصاب أهل القرية من هم وحزن ، وهول وفزع ، واضطراب في التفكير ، بسبب ما حل بهم من أحداث ؛ كانت الاستعارة تحقيقية عقلية ، ولو جعلناه ما أصابهم من الإعياء وصفرة الوجوه وهزال الجسم بسبب تلك الأحداث ، كانت الاستعارة حسية تحقيقية ، والجامع بين " اللباس " والمستعار له في

---

(١) سورة إبراهيم ١ .

(٢) سورة النحل ١١٢ .

كل هو الإحاطة والشمول فقد أحاطت هذه الأحداث بأهل القرية وتمكنت منهم وشملتهم كما يشمل اللباس صاحبه ويحيط به ...

وتنبه إلى دقة التعبير القرآني في الآية الكريمة ، فالقوم كانوا آمنين مطمئنين يأتيهم رزقهم رغدًا من كل مكان ، فكفروا بأنعم الله عزَّ وجلَّ ، فكان مقتضى صنيعهم شدة المؤاخذة وشمولها ، ولذا عبر بالإذاقة ليفيد شدة الإصابة ، وباللباس ليفيد الإحاطة والشمول ، ولو قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف لأفاد الإحاطة والشمول دون الشدة ، وكذا لو قيل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، لأفاد شدة الإصابة دون الإحاطة والشمول . ولذا آثر النظم الكريم التعبير بالإذاقة واللباس ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، ليفيد الأمرين معًا : شدة الإصابة وشمولها وإحاطتها ...

الاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية : والاستعارة المكنية هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به . بل يطوي ويرمز له بلازم من لوازمه . ويسند هذا اللازم إلى المشبه ... ولهذا سميت استعارة مكنية . أو استعارة بالكناية ، لأن المشبه به يحذف ويكنى عنه بلازم من لوازمه ... وإثبات لازم المشبه به للمشبه هو ما يسمى بالاستعارة التخيلية وهي قرينة المكنية .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبه المنية بالسبع ثم طوى المشبه به ورمز له بلازمه وهو الأظفار وأثبت هذا اللازم للمشبه ، فالمنية أو السبع استعارة مكنية وإثبات الأظفار لها استعارة تخيلية .

هذا وقد اختلف البلاغيون في تحديد مفهوم الاستعارتين : المكنية والتخييلية . فيرى جمهور البلاغيين أن المكنية هي لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه والمحذوف المدلول عليه بشيء من لوازمه ... والتخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فيقال في

إجراء الاستعارتين في البيت المذكور : شبهت المنية بالسبع بجامع الاغتيال في كل ، ثم تناسى التشبيه وادعى دخول المشبه في جنس المشبه به ثم قدر في النفس حذف المشبه به وزمر إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على سبيل الاستعارة المكنية ... ثم أثبت الأظفار للمنية على سبيل الاستعارة التخيلية ...

ويرى الخطيب أن المكنية هي التشبيه المضمر في النفس ، المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، من غير أن يكون للمشبه أمر ثابت حسًا أو عقلاً ، استعير له لازم المشبه به وأطلق عليه ... فيقال في البيت المذكور : شبه الشاعر في نفسه المنية بالسبع ثم تناسى التشبيه . وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به وهو " الأظفار " للمشبه ، وليس للمشبه وهو المنية شيء محقق حسًا أو عقلاً ، استعير له لفظ الأظفار .

ونلاحظ أنه أطلق الاستعارة المكنية على التشبيه المضمر في النفس وهو فعل من أفعال المتكلم ... وقد عرفنا أن الاستعار لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، والألفاظ خلاف الأفعال ، فلا وجه لتسمية التشبيه المضمر في النفس استعارة .

وواضح أن الخطيب يوافق الجمهور في سبب تسمية هذه الاستعارة بالمكينة وهو عدم التصريح بالمشبه به والدلالة عليه بلازمه ، ويوافقهم أيضًا في تحديد مفهوم الاستعارة التخييلية وهي إثبات لازم المشبه به للمشبه ، وليس للمشبه شيء محقق حسًا أو عقلاً استعير له هذا اللازم ، ولذا كانت هذه الاستعارة تخيلية ، وهي قرينة الاستعارة المكنية فهما متلازمان ... أما مخالفته لهم في تحديد مفهوم الاستعارة المكنية ، إذ هي عنده فعل من أفعال المتكلم فلا وجه لتسميتها استعارة وعند الجمهور من قبيل الاستعارة التحقيقية ، لأن لفظ المشبه به يستعار لشيء محقق هو المشبه كاستعارة السبع للمنية في البيت المذكور .

ويرى السكاكي أن الاستعارة المكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه أي من جنسه ، فيقال في بيت أبي ذؤيب : شبهت المنية بالسبع ثم تناسى التشبيه وادعى أن المنية فرد من أفراد السبع وأن السبع صار نوعين : متعارف وهو الحيوان المفترس ، وغير متعارف وهو الموت الذي ادعيت له السبعية ، ثم استعير اسم المشبه وهو الموت الذي ادعيت له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه وهو المنية ، وأريد به المشبه به وهو السبع ... فهي من قبيل المجاز اللغوي كما عند الجمهور ويرى أن الاستعارة التخييلية ، ما كان معناها صورة وهمية لا تحقق لها حسًا ولا عقلاً ، كالأظفار في البيت فإنه لم شبه المنية بالسبع في الاغتيال ، أخذ الوهم في تصويرها بصورته ، فاخترع لها صورة الأظفار ثم أطلق عليها لفظ أظفار السبع ... فالمشبه الصورة الخيالية للأظفار والمشبه الصورة الحقيقية لها والمستعار اللفظ الموضوع للصورة الحقيقية ، والقرينة إضافتها إلى المكنية ... ولا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية ، فقد توجدان معًا كما في البيت ، وقد توجد التخييلية من غير المكنية كقولهم : أظفار المنية التي كالسبع نشبت بفلان ... ففي " أظفار " استعارة تخييلية وجدت مع تشبيه صريح .

ونلاحظ أن هذه الاختلافات في تحديد مفهوم الاستعارتين ترجع إلى توجيه كل منهما ، وكلها - كما رأينا - توجيهات محتملة قائمة على التصور والتخيل ... وإليك أمثلة متنوعة من شواهد الاستعارتين ...

يقول لبيد :

وغداةِ ريح قد كشفت وقِرَّةٍ ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها(١)

---

(١) الواو : واو رب . والقرة : البرد . والشمال : الريح الباردة ... يفخر بأنه يطعم الناس ويوقد لهم النار ليمنع عنهم عادية البرد .

جعل للشمال يدا وللقرة زمامًا بأن شبه الشمال في تصريفها القوة والتحكم في طبيعتها بالإنسان الذي يتصرف في الأمور ... وشبه القرة بالبعير بجامع الانقياد للغير ، ثم تناسى التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به وهو اليد والزمام للمشبه ، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في تصرف الريح تصرف الإنسان القادر، وانقياد القرة لها انقياد البعير المذلل ... ومنها قول الآخر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان[1]

أثبت للعناية عيونًا بأن شبهها بالإنسان ثم تناسى التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم أثبت لازم المشبه به للمشبه قصدًا إلى المبالغة ... وكذا القول في قول الحجاج : " إني أرى رءوسًا قد أينعت وحان قطافها " ، أثبت للرءوس قطافًا وإيناعًا أي : نضجًا وهما من خصوصيات الثمار والأزهار .

وقول المتنبي :

ولما قلت الإبل امتطينا ... إلى ابن أبي سليمان الخطوبا[2]

جعل الخطوب تمتطى ... والذي يمتطى هو الحيوان المعروف .

وقول أبي تمام :

لما انتضيتك للخطوب كفيتها ... والسيف لا يكفيك حتى ينتضى[3]

جعل ممدوحه سيفًا ينتضى ويلجأ إليه عند الشدة وعند النوازل ثم طوى المشبه به ورمز له بلازمه وهو الانتضاء .

---

(١) لاحظ الشيء : رعاه ، والمعنى : إذا قدر لك أن تكون ملحوظًا بعناية الله فلن يمسك ضر ، وكنت بمأمن من كل شر .

(٢) قلت الإبل : عزت . وامتطينا : ركبنا . والخطوب : الأمور الشديدة .

(٣) انتضى السيف : جرده من غمده .

وقول الآخر :

عضنـــــا الدهـــــر بنابـــــه　　　ليـت مـــا حـــل بنـــا بـــه[1]

جعل الدهر نابا يعض به ولا ناب له إنما الناب للحيوان المعروف .

وقوله :

إذا مـا الدهـر جـر علـى أنـاس　　　كلاكلـــه أنـــاخ بـــآخرين[2]

شبه الدهر بالبعير ... ثم حذف المشبه به بعد تناسي التشبيه وجعل المشبه فردًا من أفراده ، رامزًا له بلوازمه وهي الكلاكل والجر والإناخة ، وأثبت هذه اللوازم للمشبه وهو الدهر .

وقول السري الرفاء :

وقد كتبت أيـدي الربيـع صحائفـا　　　كأن سطور السرو حسـنا سـطورها[3]

جعل للربيع أيادي يكتب بها صحائف ذات سطور جميلة ، وتلك من خصائص الإنسان الذي يكتب ويسطر .

وقول الآخر :

ولئن نطقـت بشـكر بـرك مفصحـا　　　فلســان حـالي بالشـــكاية أنطـــق

(١) بنابه : الناب في آخر الشطر الأول ناب الحيوان وفي نهاية البيت . للباءان . حرفا جر والهاء ضمير يعود للدهر .

(٢) الكلاكل : جمع كلكـل وهـو الصدر . وأنـاخ أبـرك يقـال أنـاخ الإبـل : أبركهـا ومثلـه تنـوخ ، واستناخت : بركت .

(٣) السرو : شجر عال ملتف الأغصان .

جعل للحال لسان ينطق بالشكوى ، تشبيهًا لها بالإنسان الناطق ويجوز أن يكون : " لسان حالي " من إضافة المشبه به إلى المشبه فيكون تشبيهًا لا استعارة .

وقول زهير بن أبي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله . وعُرِّي أفراس الصِّبا ورواحله[1]

وذلك على جعل " الصبا " مأخوذا من الصبوة ، وهي الفساد والجهل والانهماك في اللذات ، فيكون قد شبه " الصبا " بجهة من الجهات التي يسافر إليها كالحج والتجارة ، انتهت حاجته منها فعاد إلى داره ورفع عن الأفراس سروجها وعن الإبل رحالها ... ثم تناسى التشبيه وادعى دخول المشبه في أفراد المشبه به الذي طوى ورمز له بلوازمه وهي الأفراس والرواحل التي عريت ، ثم أسندت تلك اللوازم إلى المشبه وهو " الصبا " على سبيل التخييل ...

أما إذا جعل " الصبا " مأخوذا من الصباء وهو الشباب وصغر السن فيجوز جعله استعارة مكنية أيضًا على معنى أن الشباب قد ولى وانقضى ، فيكون قد شبهه بجهة لا يذهب إليها ... ثم طوى المشبه به وأسند لازمه وهو الرواحل والأفراس إلى المشبه وهو " الصبا " ويجوز جعله استعارة تصريحية بتشبيه الغرائز المنطلقة في سن الشباب والتي تدفع إلى الهوى وارتكاب المفاسد ، بالأفراس والرواحل المنطلقة إلى الأماكن البعيدة ... واستعارة الرواحل والأفراس لتلك الغرائز علىفراس لتلك الغرائز على سبيل الاستعارة التصريحية العقلية ، أو يكون المشبه هو الأسباب الموصلة لارتكاب المفاسد من مال وأصحاب ... واستعارة الأفراس والرواحل لهذه الأسباب المحسوسة على سبيل الاستعارة التصريحية الحسية والقرينة هي إضافة الأفراس والرواحل للصبا ...

---

(١) صحا : أي : أفاق من السكر وهو مستعار هنا للسلو وزوال العشق وأقصر : أي : أمتنع عن قدرة وعري : عطل . والرواحل : جمع راحلة وهي الشديد من الإبل الذي يقوى على الأحمال والأسفار .

ومن شواهد الاستعارة المكنية في النظم الكريم قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ (١) فقد شبه الذل بطائر ، ثم حذف ورمز له بلازمه وهو الجناح ، وأثبت هذا اللازم للمشبه ، ولعلك تشعر بما وراء الاستعارة في الآية الكريمة من حث للمؤمن على الخضوع لوالديه ؛ وأن يكون في خضوعه وبره كالطائر الذي يرفرف بجناحيه حنوًا وحنانًا ... وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (٢)، يقول الزمخشري في بيان الاستعارة في الآية الكريمة : " فإن قلت : من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد ؟ ، قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها ، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه " (٣) ... وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ (٤) حيث شبه الغضب بكائن حي ، يحث موسى عليه السلام ـ ويحركه ، وقد حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت ، وأثبت هذا اللازم للغضب على سبيل الاستعارة التخييلية ...

وهذا ولازم المشبه به الذي يثبت للمشبه ينبغي أن يكون له اختصاص قوي بوجه الشبه في المشبه به حتى تتحقق المبالغة المطلوبة ... وهذا اللازم على نوعين :

الأول : ما يتحقق به كمال وجه الشبه في المشبه به كقولنا : ظهر وجه الحق ، فالمشبه به المطوى هو الإنسان المشرق الوجه ، وقد أثبت لازمه وهو " الوجه " إلى المشبه

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧ .

(٣) الكشاف جـ ١ صـ ٧٥.

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

وهو " الحق " وهذا اللازم يتحقق به كمال الإشراق في المشبه به ، لأن الوجه هـو مظهـر الإشراق والوضوح في الإنسان ... ومن ذلك بيت الهذلي السابق :

وإذا المنيـــة أنشـــبت أظفارهـــــا ألفيـــت كــــل تميمـــــة لا تنفـــــع

لأن الأظفار وهـي لازم المشبه بـه الـذي أثبت للمشبه ، هـي الـتي يكمـل بهـا الاغتيال في السبع لأن فتكه بها أقوى من فتكه بالأنياب ...

الثاني : ما يتحقق به قوام وجه الشبه ووجوده في المشبه به ، كقولنـا مشـت بنـا أقدام الزمن إلى المصير المحتوم ، فقد طوى المشبه به وهو الإنسان ، وأثبت لازمـه وهـو " الأقدام " إلى المشبه وهو " الزمن " وهذا اللازم لا يتحقق وجود وجه الشبه وهو الانتقـال والذهاب إلى الغاية في المشبه به المحذوف " الإنسان " إلا بذكره ووجوده ...

ومنه قول الشاعر :

ولئن نطقت بشـــكر بـــرك مفصحًـــا فلســـان حـــالي بالشـــكاية أنطـــق

لأن اللسان وهو لازم المشبه به الذي أثبت للمشبه ، لايوجد وجه الشـبه وهـو " الدلالة الكاملة على الشيء " في المشبه بـه المطـوي " الإنسـان " إلا بوجـوده وذكـره في الصياغة ...

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية : وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية ، **فالأصلية** : ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس ، يدل علـى واحـد غير معين من جنسه ، سواء كان اسم عين ، كالأسد والثعلب والبحر والغيث والسـهم ، أو اسم معنى وهو المصادر ، كالقتل والنـوم واليقظـة ، ويدخـل في الاستعارة الأصليـة ، أسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة ، لأنها صـارت لشـهرتها بالصفـة كاسـم الجنـس بالتأويل وذلك نحو : " حاتم " الذي اشتهر بالكرم ، فصح استعارته لكـل رجـل كريـم ،

لأن شهرته بالكرم ، جعلته كالموضوع لمطلق ذات متصفة بالكرم فصار بهذه الشهرة اسم جنس تأويلاً ...

تقول في استعارة اسم الذات : ضمت الأم زهرتها إلى صدرها ، تريد طفلتها ، وتقول : أسود المعركة ، أي الشجعان ، وبحور العلم ، أي : العلماء ، وثعالبة الاستعمار: أي الماكرين ، فالمستعار في هذه الأمثلة اسم ذات ... وتقول في استعارة اسم المعنى : آلمني قتل فلان أباه وذبحه أخاه ، تريد : الأذى والإذلال ، وتقول : سباحة الفكر ؛ أي : تنقله في أمور شتى ، ونوم العقل ، أي : توقفه عن التفكير ، وخياطة الدرع . أي : سرده . ويقظة الضمير ، أي تنبهه لأداء الواجب ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** ﴾ (١) أي نفاق فالمستعار هنا اسم معنى ، ويقال في إجراء هذه الاستعارة شبه الأذى والإذلال بالقتل والذبح بجامع الإيلام الشديد في كل ، ثم ادعى أن الأذى والإذلال داخلان في جنس القتل والذبح وفردان من أفرادهما ، ثم استعير القتل والذبح للأذى والإذلال وكذا يقال في بقية الشواهد .

وقد سميت هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية ، لأنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية ، ولأن التبعية مبنية عليها وتابعة لها ، فهي لها أصل - كما سترى .

ومنها بالإضافة لما سبق قول الشاعر :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

حيث استعار الدم للدموع التي تفيض من العيون وتفيد هذه الاستعارة فداحة الخطب وشدة ما حل بالقبيلة فقد فاضت عيونها دماء لا دموعًا من هول الموقف ، وهذا بالتالي ينبيء بعظم الممدوح الذي يبدد تلك الأحوال ويغيرها بكرمه وشجاعته إلى أمن وسرور .

---

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

وقول كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

حيث شبه النظرة الثاقبة التى رمته بها فتاته بالسهم النافذ بجامع قوة التأثير في كل ، ثم حذف المشبه وادعى أنه فرد من أفراد المشبه به فاستعير له لفظه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ...

والاستعارة التبعية : ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسمًا مشتقًا أو حرفًا كقولنا : نطقت الحال بكذا ... وطار فلان إلى المعركة ... ونام عقل فلان . فالمراد : دلت الحال ، وأسرع فلان ، وغفل عقله وتوقف عن الفهم ، فاللفظ المستعار هنا فعل ، وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى . ثم استعير النطق للدلالة الواضحة . فصار النطق بالاستعارة معناه : الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق : نطق بمعنى " دل على سبيل الاستعارة التبعية : وكذا القول في " طار " و " نام " .

ومن استعارة المشتقات قولنا : فلان عقله نائم ، وفلان عقله يقظان ، وعظيم فعالك ناطق بكل حالك ، وهذا مقتول فلان ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [(1)]، فالمراد : فلان عقله غافل وفلان عقله منتبه وعظيم فعالك دال ، وهذا مأذى فلان ... وكل نفس تحس بشدة الموت عند الاحتضار كما يحس الذائق للشراب المر ما فيه من مرارة ... ويقال في إجراء الاستعارة في هذه المشتقات شبهت الغفلة بالنوم بجامع عدم الإدراك في كل ثم استعير النوم للغفلة ، فصار النوم بالاستعارة معناه الغفلة ، ثم اشتق من النوم : نائم ، بمعنى : غافل ... وكذا القول في : " يقظان " ، و " ناطق " ، و " مقتول " ، و " ذائقة " .

---

(١) سورة آل عمران ١٨٥ .

ومن استعارة الحروف : قولنا : فلان في نعمة ، فالمراد : أنه متمتع بالنعمة تمتعًا تامًا ، كأنه في داخلها .

لماذا كانت الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف تبعية ؟

وعدت الاستعارة في الأفعال والمشتقات تبعية لما يلي :

أولاً : أن الاستعارة قائمة على التشبيه ، والتشبيه يقتضي أن يكون المشبه والمشبه به موصوفين بوجه الشبه ، لأن الوجه وصف جامع بين الطرفين ، ولايصلح للموصوفية إلا الحقائق الثابتة في الخارج كالجسم واللون والأسد ، أو في العقل كالعلم والجود والذكاء . فيقال : جسم صغير ، وعلم واسع ، أما الأفعال والمشتقات فلا ثبوت لها لا خارجًا ولا عقلاً ، إذ هي متجددة متغيرة لدخول الزمن المتغير في مفهوم الأفعال ولزومه للمشتقات ، ولذا لا تصلح أن تكون موصوفًا ، وبالتالي لا تصلح للتشبيه ، فيتحتم أن يجري التشبيه أولاً في المعاني الثابتة القابلة للوصفية وهي المصادر ، ثم يستعار المصدر المشبه به للمصدر المشبه ، ويشتق منه الفعل أو اسم الفاعل أو اسم المفعول بعد أن يحمل المعنى الجديد لمصدره الذي انتقل إليه بالاستعارة ، فيكون الفعل أو المشتق حينئذ تابعًا لمصدره في حمل المعنى الجديد - كما رأينا في إجراء الاستعارة - ولا يعترض على ذلك بأن العرب قد وصفت المشتقات فقالوا : شجاع باسل وجواد فياض ، وبأن الحركة والزمان متغيران وغير ثابتين ، وقد وصفا فقيل : حركة بطيئة وزمان عجيب ، لأننا نقول : إن " باسل وفياض " وصفان آخران للموصوف الذي وصف بالشجاعة وبالجود ... والحركة والزمان قد تقررا في الذهن وتحددا فيه ، ومن هنا صح وصفهما .

ثانيًا : أن جريان الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابع لجريانها في مصادرهما ، لأن الأفعال والمشتقات لا تنفك معانيها عن معاني أصولها وهي المصادر ، فإذا تغير معنى الأصل بالاستعارة تغير تبعًا لذلك معنى الفرع المشتق منه ، وقد اعتبر البلاغيون التشبيه

والاستعارة في المصدر قبل اعتبارهما في الفعل والمشتقات ، لأن المصدر هـو المعنى القـائم بالذات ، فهو الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والاستعارة قبلاً .

أما الحروف فقد عدت الاستعارة فيهـا تبعيـة ؛ لأن الحـرف لا يـدل علـى معنـى مستقل بل يدل على معنـى في غـيره ، ولـذا لا يصلـح للتشـبيه ولا للاسـتعارة ، بـل يقـع التشبيه والاستعارة في متعلق معناه ؛ لأنــه هـو الـذي يستقل بالدلالـة ... ومتعلـق معنـى الحرف ـ عند الخطيب ـ هو مدخوله ، وعند الجمهور ، هو المعنـى العـام الـذي نفسـر بـه الحرف ، ويتضح ذلك في قولنا : " فلان في نعمة " ، فالخطيب يشبه مدخول الحرف وهو " النعمة " بظرف تحل فيه الأشياء بجامع مطلق ارتباط وتعلق في كل ، ويدل على التشـبيه بلفظ " في " الذي هو لازم من لوازم المشبه به وهو الظرف ... والجمهور يشبه الارتبـاط الحاصل بين النعمة وصاحبها بالظرفية التي هي ارتباط حاصل بين الظرف والمظروف ، ثم يسري التشبيه من هذا العام إلى أفراده فيستعار اللفظ " في " من فرد من أفـراد المشـبه بـه لفرد من أفراد المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف .

وإليك بعض شواهد هـذه الاستعارة : قـال ﷺ : " **خـير النـاس رجـل يمسـك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها** ... "[1] حيـث شـبه العـدو بالطـيران بجـامع قطـع المسافة بسرعة في كـل ، ثـم استعير الطـيران للعـدو ، فصـار العـدو بالاستعارة معنـاه : الطيران ، ثم اشتق من الطيران : طار بمعنى عدا على سبيل الاستعارة التبعية .

ومنه قول امرأة ترثي قتيلاً :

لـو يشـا طـــار بــه ذو ميعـــة   لاحق الآطـال نهـد ذو خصـل[2]

---

(١)الهيعة : الصيحة المفزعة ، وأصلها من هاع يهيع إذا جبن ، والمراد : أنه رجل مستعد للجهاد كلما سمع صيحة مستغيث من المسلمين أسرع إليه ليقاتل معه .

(٢)الميعة : النشاط . الآطال : جمع إطل وهو الخاصرة ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوي : والخصل : جمع خصلة وهي الشعر المجتمع .

أرادت : عدا به مسرعًا ... وقول الآخر :

فطـرت بِمُنْصُلـي في يَعْمَـلات ... دوامي الأيـد يخبطن السـريحا[1]

أراد أنه قام بسيفه مسرعًا إلى نوقه فعقرها ، وسالت الدماء على أيديها وأخـذت تضرب بأقدامها القيود المقيدة بها من شدة الجراح ... فالاستعارة في البيتين تبعية كمـا في الحديث ولا يخفى عليك إجراؤها .

وقول البحتري :

يـتراكمون على الأسـنة في الوغـى ... كالفجر فاض على نجوم الغيهـب[2]

يريد أنهم بواسل يندفعون بشدة وصبر إلى مواطن الموت كما ينبسط الفجر دفعة فينشر ضوءه على الكون ... وقد استعار الفيض لانبساط الفجـر إذ شـبه انبسـاط الفجـر وسرعة انتشار ضوءه بفيضان الماء ، ثم استعاره له واشـتق منـه "فـاض " بمعنـى . انبسـط وانتشر بسرعة ...

وقول أبي الطيب يمدح أبا فراس الحمداني .

نـثرتهم فـوق الأحيـدب نـثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهـم [3]

ومنخه٩٨

أراد أن ممدوحه هزم أعدائه شر هزيمة ، فشتت شملهم وفرقهـم فانتشـروا في غـير نظام كما تنثر الدراهم فوق العـروس ... فقـد شـبه تفـرق أجسـامهم وتسـاقطها بتفـرق الأجسام الصغيرة ونثرها بجامع التفرق والتساقط على غير نظام في كل ، ثـم اسـتعير النـثر

---

(١)المنصل : السيف ، واليعملات : النوق المطبوعة على العمل جمع يعملة ، والسريح السير الذي يشد على أرجلها .

(٢)يتراكمون : يجتمعون بكثرة وازدحام . والأسنة : الرماح ، والوغى : الحرب . والغيهب : الظلمة ، وجعلهم كالفجر نظرًا لما عليهم من الدروع اللامعة .

(٣) الأحيدب : جبل ببلاد الروم .

من المشبه به للمشبه واشتق منه " نثر " بمعنى فرق ، على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل ...

وقول القطامي :

لم تلق قومًا هم شر لإخوتهم — منا عشية يجري بالدم الوادي

نَقريهم لهذميات نَقُدُّ بها — ما كان خاط عليهم كل زرّاد(1)

يصف قومه بالشجاعة وأنهم أشد خطرًا على الأعداء عند احتدام المعركة واشتداد القتال فهم يطعمونهم سيوفًا تشق دروعهم وتفري ضلوعهم ... وقد استعار لذلك القرى للضرب بالسيف بجامع الترحيب والإكرام في كل ، واشتق منه نقرى بمعنى نضرب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية ، ثم استعار الخياطة للسرد بجامع ضم الأطراف في كل ، واشتق منها الفعل " خاط " بمعن : سرد على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل .

ومن ذلك قوله الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (2)، نزل الإنذار منزلة التبشير لقصد التهكم والسخرية ، فشبه الإنذار بالتبشير بجامع إدخال السرور في كل ، ثم استعير التبشير للإنذار واشتق منه الفعل بشر بمعنى أنذى على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ (3)، فقد شبه التفريق بالتقطيع بجامع إزالة الاتصال في كل ، ثم استعير التقطيع للتفريق ، واشتق منه الفعل " قطع " بمعنى فرق .

---

(1) لإخوتهم : المراد : أعدائهم . ونقري : نطعم والمراد هنا الضرب بالسيف ، واللهذميات : جمع لهذم وهو السيف القاطع والنسبة فيها للمبالغة ، والزراد : صانع الزرد وهو الدرع ، وإسناد الجري إلى الوادي مجاز عقلي ، ونقد : نقطع .

(2) سورة آل عمران الآية ٢١ .

(3) سورة الأعراف آية ١٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (١) المراد : بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ويمحوه فإذا هو ذاهب ، فقد استعير " القذف " للإيراد ، و " الدمغ " للمحو والإزالة ، و " الزهاق " للذهاب ثم اشتق مها " نقذف " و " يدمغ " و " زاهق " ، على سبيل الاستعارة التبعية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٢) المراد : السفيه الغوي حيث شبه السفه والغي بالحلم والرشد ، ثم استعير : الحلم والرشد للسفه والغي ، واشتق منهما : حليم ورشيد بمعنى : سفيه وغوي على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

هذا وكما تقع الاستعارة التبعية في مادة الأفعال وهي حروفها الدالة على الحدث على نحو ما رأينا ـ فقد تقع في صيغتها وهي هيئتها الدالة على الزمان كصيغتي الماضي والمضارع ... من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (٣) فأمر الله لم يأت بعد ، بدليل قوله ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ ، فكان الأصل أن يقال : يأتي أمر الله ، ولكن عبر بالماضي مجازًا ليفيد أن هذا الأمر محقق الوقوع ، فقد شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع ، ثم استعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه " أتى " بمعنى " يأتي " على سبيل الاستعارة التبعية في صيغة الفعل .

ومن الاستعارة التبعية في الحروف قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٤)، فاللام في قوله " ليكون " لام العلة وهي موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها وقد استعملت هنا في غير ما وضعت له لأن ما بعدها ليس مترتبًا على ما قبلها ، فهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًا وحزنًا بل التقطوه ليكون لهم قرة عين

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٨ .

(٢) سورة هود آية ٨٧ .

(٣) سورة النحل آية ١ .

(٤) سورة القصص آية ٨ .

يفرحون به ، ففي " لام التعليل " في الآية الكريمة استعارة تبعية يقال في إجرائها على رأي الخطيب : شبهت العداوة والحزن بالفرح والسرور بجامع ترتب كل منهما على الالتقاط رجاء أو واقعًا ودل على التشبيه بذكر لازم المشبه به وهو اللام للمشبه . وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق ترتب علة واقعية انتهى إليها الالتقاط بمطلق ترتب علة رجائية غائبة ، فسرى التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما ، ثم استعيرت اللام الموضوعة لجزيء من جزئيات المشبه به وهو التقاط موسى ليكون قرة عين ، لجزيء من جزئيات المشبه ، وهو التقاطه ليصير عدو وحزنًا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ (١)، فلفظ " في " مستعمل في غير ما وضع له ، لأن جذوع النخل لا تصلح للظرفية الحقيقية ، لكن لما كانت هذه الجذوع متمكنة منهم ، لأن مراد فرعون شدة التعذيب وإحكام الصلب ، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في هذا التمكن ، واستعمل فيها لفظ " في " على سبيل الاستعارة التبعية ؛ ويقال في إجرائها على رأي الخطيب : شبهت الجذوع بالظرف بجامع التمكن ثم استعير لفظ " في " وهو جزئية من جزئيات المشبه به واستعمل في المشبه ... وعلى رأي الجمهور : شبه مطلق الارتباط بين السحرة المؤمنين وبين الجذوع بمطلق الارتباط بين الظرف والمظروف بجامع التمكن ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، ثم استعير لفظ " في " من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه .

ومنها مناداة القريب بلفظ البعيد " يا " لغرض بلاغي كغفلة المنادى وعدم تنبهه فنقول : " يا فلان " لمن هو قريب منا ... وكذلك ينادي الرب عزَّ وجلَّ بلفظ البعيد " يا " فيقال : يارب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، وذلك لغرض بلاغي هو إحساسنا بالذنوب وشعورنا بالبعد عن مواطن الزلفى ... فقد شبه نداء القريب بنداء البعيد ،

(١) سورة طه آية ٧١ .

فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، واستعير " يا " من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف ... وكذا منادادة البعيد بلفظ القريب .

الوفاقية والعنادية : وتنقسم الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع الطرفين في شيء واحد وعدم اجتماعهما إلى قسمين : استعارة وفاقية واستعارة عنادية .

فالوفاقية : هي التي يمكن اجتماع طرفيها أي : المستعار له والمستعار منه في شيء واحد لما بينهما من التوافق ... كما في قوله تعالى **﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾** (١)، وقوله جلا وعلا : **﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾** (٢)، **وقوله عز وجلّ** : **﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾** (٣)، فقد استعير المرض للنفاق ، والعمى للكفر ، والحياة للهداية ، وبين المستعار منه والمستعار له توافق لأنه يمكن اجتماعهما في شيء واحد ، فالمرض والنفاق يجتمعان في قلب إنسان ، والعمى والكفر يمكن اجتماعهما في شخص كافر ، والحياة والهداية يجتمعان في المؤمن ... والجامع بين المرض والنفاق أن كلا منهما يفسد ما يصاحبه ، فالمرض يفسد الأبدان والنفاق يفسد العقائد ، والجامع بين العمى والكفر أن كلا منهما يوقع صاحبه في المهالك والمخاطر ، وبين الحياة والهداية ما يترتب على كل من الفائدة والنفع .

---

(١) سورة البقرة آية ١٠ .

(٢) سورة فصلت آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ومنها قول الشاعر :

ولقد سموت بهمتي وسما بها طلبي المكارم بالفعال الأفضل

لأنال مكرمة الحياة وربما عثر الزمان بذى الدهاء الأحول

فقد استعار" الحياة " لبقاء الذكر الطيب والأثر الحسن وهما متوافقان.

والعناية : ما لا يمكن اجتماع طرفيها في شئ واحد لتنافيهما ، كما في الآية السابقة : ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه**﴾ فقد استعير الموت للضلال بجامع ما يترتب على كل من عدم الانتفاع ، ولا يمكن اجتماع الموت والضلال في شئ واحد ... ومنها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾ (1) فقد استعير ﴿ **الموتى** ﴾ للكفرة الأحياء لعدم انتفاعهم بصفة الحياة فلم يعتد بها فيهم ... ولا يمكن اجتماع الموتى والأحياء في شئ واحد ... وقول المتنبي :

فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها ولم تر قبلي ميتا يتكلم

فقد استعار " الميت " لمن أسقمه الحب وأضناه العشق ، ولا يمكن اجتماع المحب المتيم والميت في شئ واحد .

ونلاحظ في الشواهد أن الاستعارة قد بنيت على ترك الاعتداد بوجود الصفة في المشبه لفقدان ثمرتها إذ إن الغرض من الاستعارة إلحاق الناقص بالكامل في وجه الشبه ... هذا وقد تبنى الاستعارة على تنزيل التضاد الحاصل بين الطرفين منزلة التناسب ، لقصد التمليح أو التهكم وتسمى عندئذ بالاستعارة العنادية التلميحية أو العنادية التهكمية " . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(2) ، فقد استعير " التبشير " للإنذار بعد تنزيل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناسب لقصد السخرية والتهكم ، والجامع بين التبشير والإنذار : إحداث المسرة بكل وإن كانت المسرة في البشارة محققة وفي الإنذار متخيلة.

---

(1) سورة النمل آية ٨٠ .

(2) سورة آل عمران آية ٢١.

وقوله عز وجل : ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[1] ، فقد استعيرت " الهداية " للجر بعنف وقهر بجامع ما يترتب على كل من الخير ، وإن كان تنزيليا فى المستعار له ، وقوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[2] أى : الذليل المهان ، فقد استعيرت العزة والكرامة للذلة والمهانة استعارة عنادية تهكمية ، ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[3] أى : السفيه الغوى ، وقول القطامى : " نقريهم لهذميات ... " وقول عمر ابن معد يكرب " تحية بينهم ضرب وجيع " وقولنا : عتابك السيف ، وقد مرت بك هذه الشواهد.

ومن العنادية التلميحية قولنا للبخيل فى مقام المزاح والمداعبة : من يجهل أن جودك عم الورى ... فقد استعير " الجود " للبخل ، بجامع الإفاضة بالخير فى كل ، وذلك بتنزيل التضاد الحاصل بينهما منزلة التناسب ، فالإفاضة موجودة فى المستعار منه على وجه التحقيق وموجودة فى المستعار له تنزيلا ...

ومن ذلك قول أبى تمام :

أنبئت عتبة يعوى كى أشاتمه ... الله أكبر أنى استأسد الأسد

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلنى ... حتى أرى أحدا يهجوه لا أحد

فقد استعار الأسد للجبان استعارة عنادية تلميحية ، إذ الجامع وهو الشجاعة موجودة فى الأسد حقيقة وفى الجبان تنزيلا .

وقول الآخر :

سليمان ميمون النقيبة حازم

ولكنه وقف عليه الهزائم

---

(١) سورة الصافات آية ٢٣ .

(٢) سورة الدخان آية ٤٩.

(٣) سورة هود آية ٨٧.

فقد استعار الهزائم للانتصـارات استعارة عنادية تلميحية ، إذ مـراد الشـاعر أن سليمان لا يحزم أمراً و لا يحرز نصراً ولا يتحقق على يديه خير ...

المطلقة والمجردة والمرشحة : وتنقسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد الطرفين وعدم ذكره إلى ثلاثة أقسام مطلقة ومجردة ومرشحة ...

فالاستعارة المطلقة : هى التى لم تقترن بما يلائم المستعار له ولا المستعار منـه ، أو اقترنت بما يلائمهما معا ، كقولنا : طلع البدر من جانب الخـدر ، نريـد المـرأة الحسـناء ، فقد استعير " البدر " لها و لم يذكر فى الجملة ملائم للمستعار له ولا للمستعار منه ، وأمـا قولنا: " من جانب الخدر " فهو قرينة للاستعارة ولا يعـد ملائمـا للمسـتعار لـه ... ومـن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾(١) فقـد اسـتعير الطغيـان للزيادة بجامع مجاوزة الحد فى كل ، ولا يوجـد فـى الآيـة ملائـم لأحدهمـا ... ونقـول : رأيت بحرا يتكلم ، فنستعير البحر للعالم ولاملائم لأحدهما فـى الجملـة ، أمـا " يتكلـم " فقرينة للاستعارة وليس ملائما ....

ومما اقترنت فيه الاستعارة بملائم لكل منهما قول كثير عزة :

رمتـى بسـهم ريشـه الكحـل لم يضـر

ظواهر جلدى وهو للقلـب جـارح(٢)

فقد استعير " السهم " للنظرة بجـامع قـوة التأثير ، وقـد ذكـر فـى البيت ملائـم للمستعار منه وهو " ريشه " وملائم للمستعار له وهو " الكحل " ... وقول زهير:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ۝ لـه لبـد أظفـاره لم تقلـم

فقد استعير " الأسد " للبطل الشجاع وذكـر ملائـم للبطـل وهـو حمـل السـلاح وملائم للأسد وهو " اللبد والأظافر " أما مقذف فإذا أريد به : أنه يقذف به فى الحروب

---

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) ريشه : الريش : من قولهم : راش السهم إذا ألصق عليه الريش ليكون أحكم فى الرماية

لخبرته وتجاربه كان من ملائمات البطل . وإذا أريد به أنه ضخم الجثة ملئ باللحم فهو من ملائمات " الأسد " ... ومنه قولنا : "رأيت غيثا غزيرا يعطى باليمين وباليسار " ، "فغزيرا " يلائم " الغيث " المستعار منه و " ويعطى باليمين وباليسار " يلائم " الرجل الجواد ، المستعار له .

والاستعارة المجردة : هي التي اقترنت بما يلائم المستعار له وذلك بعد استيفاء القرينة كما في قول البحترى :

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد[1]

حيث استعير " القمر " للإنسان الجميل ثم وصف بما يلائم المستعار له وهو قوله من الإيوان باد " أى : مطل ، وقد استوفت الاستعارة قرينتها قبل هذا الوصف وهى قوله: " يؤدون التحية من بعيد ".

وقول الآخر :

وعد البدر بالزيارة ليلا فإذا ما وفى قضيت نذورى

استعار " البدر " للمحبوبة ، والقرينة قوله " وعد " ثم ذكر ما يلائم المستعار له من الزيارة والوفاء بها على سبيل التجريد فهى استعارة مجردة ... ومن ذلك قولنا : " هذا عالم يستضاء برأيه فى مواجهة المشكلات وحلها " فقد استعير المصباح المضيئ للرأى الصائب ثم حذف المستعار منه وهو المصباح ورمز له بلازمه : " يستضاء " على سبيل الاستعارة المكنية ... وقد ذكر فى العبارة ما يلائم المستعار له : " الرأى " وهو مواجهة المشكلات وحلها . وكذا قول القائل : " رحم الله امرأ ألجم نفسه بإبعادها عن شهواتها" حيث استعير الجواد للنفس استعارة مكنية والقرينة إضافة الإلجام للنفس ثم ذكر ملائم للمستعار له وهو " إبعادها عن شهواتها " ....

(١) الإيوان : القصر . وباد : ظاهر .

ومنها قول كثير :

غمر الـرداء إذا تبسـم ضاحكـا   غلقت لضحكته رقاب المال[1]

استعار الرداء للمعروف بجامع أن كلا منهما يصون صاحبه ، والقرينة ما ذكره من المال وتبسم الممدوح عند الجود به ، وقد ذكر فـى البيـت ملائـم للمسـتعار لـه وهـو إضافة " غمر " بمعنى كثير إلى الرداء ... أما إذا جعلت " غمر " بمعنى واسع ، كانت من قبيل الاستعارة المرشحة الآتية ، وذلك أن الكثرة تلائم المعروف والسعة تلائم الرداء....

ومـن ذلـك قولـه تعـالى : ﴿**فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾[2] حيـث استعير " اللباس " للأحداث والمصائب التـى حلـت بـأهل القريـة ، أو لمـا عـلا وجوههـم وأجسادهم من صفرة وهزال ... وقد ذكر فى الآية " الإذاقة " بمعنـى " الإصابـة " وهـى من ملائمات المستعار له ، فالإذاقه بمعنـى الإصابـة تلائـم الأحـداث والمصـائب ومـا عـلا الوجوه من صفرة، ولا تلائـم اللبـاس ... والسـر البلاغـى الكـامن وراء مجئ الآيـة علـى التجريد هو أن المقام اقتضى التعبير عن أمرين وهما : شدة الإصابـة ، وشمولهـا وإحاطتهـا بهم ، فهؤلاء القوم كانوا آمنين مطمئنين يأتيهم الرزق رغدا من كل مكان فكفروا بـأنعم الله فاستحقوا إحاطة العقاب الشديد بهم ، ولـو قيـل : فأذاقهـا الله طعـم الجـوع ... أو فكساها الله لباس الجوع ، ليكـون ترشيحاً ، لأفـاد الأول الشـدة دون الشـمول ولأفـاد الثانى الشمول دون الشدة ، ، فآثر النظم الكريم التعبير بالإذاقة واللبـاس لإفـادة الأمريـن معاً ، شدة الإصابة والإحاطة والشمول ...

والاسـتعارة المرشـحة : هـى مـا قرنـت بمـا يلائـم المستعار منـه بعـد اسـتيفاء القرينـة كمـا فـى قولـه تعـالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ**

---

(١) غمر : مأخوذ من قولهم غمر الماء إذا كثر ، وثوب غامر أى واسع ، وغلقت : تمكنت مـن أيـدى السائلين ، يقال : غلق الرهن فى يد المرتهن إذا لم يقـدر الراهـن علـى فكـه .... وفـى " رقـاب المـال" استعارة مكنية ....

(٢) سورة النحل آية ١٢٢.

﴿تِجَارَتُهُمْ﴾[1] حيث استعير الشراء للاختيار والاستبدال ، ثم ذكر الربح والتجارة وهما يلائمان المستعار منه ، وذلك مما يقوى الاستعارة ويحقق المبالغة فى التصوير والتخييل ودعوى دخول المستعار له فى جنس المستعار منه وكأن الكلام على الحقيقة ، ولهذا سميت بالاستعارة المرشحة إذ الترشيح معناه فى اللغة التقوية ...
ومنها قول المتنبى :

رميتهم ببحر من حديد ... له فى البر خلفهم عباب[2]

استعير " البحر " للجيش القوى ، والقرينة قوله : " من حديد " . أما قوله : "رميتهم " فلا تصح قرينة لأنه قد يرميهم ببحر من الكرم ، ثم ذكر ما يلائم المستعار منه وهو " العباب والبر " فخيل للسامع أن المراد هو البحر حقيقة ...

وقول الشاعر :

إذا ما ا لدهر جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرين[3]

استعار الجمل للدهر استعارة مكنية ، وتم استيفاء قرينتها بإضافة لازم المستعار منه " الجر والكلاكل " إلى المستعار له " الدهر " ثم ذكر جملة " أناخ بآخرين " وهى من ملائمات المستعار منه ...

ومنها قول الآخر :

ينازعنى ردائى عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ... ودونك فاعتجر منه بشطر[4]

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦.

(٢) عباب : العباب : كثرة الماء والمطر الكثير . وعباب السيل معظمه وارتفاعه وكثرته ، وقيل عبابه موجه .

(٣) الكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر ، وأناخ : أبرك ، يقال : أناخ الإبل وتنوخها اى : أبركها ، واستناخت الإبل : بركت ...

(٤) رويد : مصدر بمعنى تمهل ، واعتجر : من الاعتجار وهو الاعتمام ، يقال : اعتجرت المرأة أى لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذى ملكت يمينه : قائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، أى : سيضربه على رأسه بصدر سيفه . .

استعار الرداء للسيف بجامع أن كلا منهما يصون صاحبه وتم استيفاء القرينة بقوله : " لى الشطر الذى ملكت يمينى " ؛ لأن ما يكون باليمين هو السيف الذى يحارب به لا الرداء ... ثم ذكر الاعتجار وهو ما يلائم المستعار منه " الرداء " .

وإذا عرفنا أن الاستعارة مبنية على تناسى التشبيه وادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به ، وضح لنا أن الترشيح أبلغ من التجريد ومن الإطلاق ، لأن التناسى فيه أقوى وأتم ، ودعوى الاتحاد فيه أظهر وأوضح ، فقد صار المشبه نفس المشبه به ، وصرنا نصفه بأوصافه ونتبعه بملائماته ... فعندما يقول أبوتمام :

ويصعد حتى يظن الجهو ل بأن له حاجة فى السماء

تراه قد أمعن فى تناسى المشبه ، إذ جعل الصعود المعنوى والارتقاء إلى مراتب المجد ، صعودا حسيا ، وبالغ فى ذلك بذكر ما يلائم المشبه به ، فجعل الجاهل الذى لا يعرف همم الممدوح يظن أن له حاجة فى السماء فهو يصعد لينال تلك الحاجة ... وعليه قول بشار :

أتتنى الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

حيث استعيرت الشمس للمحبوبة ثم أمعن فى تناسى التشبيه وادعى أنها غادرت مكانها فى السماء وأقبلت إليه زائرة و لم تك قبل ذلك تبرح الفلك ، فبنى الكلام على أنها شمس حقيقية .

ولهذا صح التعجب قول قول المتنبى :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وقوله أيضا :

فلما رآنى مقبلا هز نفسه إلى حسام كل صفح له حد

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

فقد استعار الشموس والبدر والأسد لمدوحيه . ثم بنى كلامه على تناسى التشبيه وأمعن فى التناسى فجعل الممدوحين بدورا وشموساً وأسداً على الحقيقة ولهذا ساغ التعجب .

وساغ التعجب أيضاً فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى ومن عجب شمس — تظللنـــى مـــن الشـــمس

والنهى عنه فى قول ابن طباطبا :

لا تعجبـوا مـن بلـى غلالتــه — قـد رز أزراره علــى القمــر

فلولا بناء الكلام على المبالغة والإمعان فى تناسى التشبيه وادعاء أنها شمس وقمر على الحقيقة لما ساغ التعجب فى الأول والنهى عنه فى الثانى .

هذا وكما يقع الترشيح فى الاستعارة فيؤدى إلى المبالغة والإمعان فى تناسى التشبيه ، فقد يقع أيضاً فى التشبيه كما فى قول ابن الأحنف :

هى الشمس مسكنها فى السماء — فعـــز الفـــؤاد عـــزاء جميـــلا

فلـن تسـتطيع إليهـا الصعـود — ولـن تسـتطيع إليـك النـزولا

شبه محبوبته بالشمس ثم رشح التشبيه بأن جعل مسكنها فى السماء .

وقول الفرزدق :

أبـى أحمـد الغيثـين صعصعـة الـذى — متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر(١)

شبه جده " صعصعة " بالغيث تشبيها ضمنيا بل فضل جده على الغيث ثم رشح التشبيه بقوله : " يمطر " فهو ملائم للمشبه به .

---

(١) أحمد الغيثين : أحقهما بالحمد ، والمراد بالغيثين : أبوه والغيث الحقيقى والجوزاء والدلـو : برجان فى السماء يكثر فيهما المطر .

وقول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين :

يتعـاوران مـن الغبـار مـلاءة ... بيضـاء محكمـة همـا نسـجاها

تطـوى إذا وردا مكانـا محزنـا ... وإذا السنابك أسهلت نشراها[1]

شبه الغبار المثار بالملاءة ثم رشح التشبيه بذكر النسج والطى والنشر .

الاستعارة العامية المبتذلة والخاصية الغريبة : الاستعارة العامية المبتذلة هى ما قرب فيها الجامع واتضح بحيث يدركه العامة ، كاستعارة " الأسد " للرجل الشجاع ، والبحر للكريم الجواد والبدر للحسناء ... ولوضوح الجامع وقربه فى الاستعارة المبتذلة لا يهتم بها البلغاء ، ولا تستحسن إلا فى مقام الإرشاد والوعظ وتقرير المسائل العلمية ومخاطبة العامة .

أما الاستعارة الخاصية الغريبة: فهى ما بعد فيها الجامع ودق واحتاج فى إدراكه والوقوف عليه إلى كثرة تفكير وإطالة نظر ودقة ملاحظة ... وترجع غرابة الاستعارة إلى أحد العوامل الآتية :

أولاً : كون الجامع بين المستعار له والمستعار منه أمرا عقليا كإزالة الحجاب فى استعارة النور للحجة الواضحة والرأى الصائب فى نحو قولنا : " هذا عالم يستضاء برأيه وتنير حجته " .

ثانياً : أن يشتمل الجامع على شئ من التفصيل والتركيب .

ثالثاً : أن يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه ، ويتضح لنا ذلك فى الشواهد الآتية :

يقول طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فـوق ناجيـة ... يقتات شـحم سنامها الرحـل[2]

---

(١) يتعاوران : يتناوبان ، تطوى : تزول ، والمكان المحزن : الذى تغلظ أرضه فلا يثار غبار ، والسنابك : أطراف الحوافر ، وأسهلا : وردا المكان السهل .

(٢) الكور : رحل البعير ، والناجية : الناقة السريعة القوية .

استعار الاقتيات وهو تناول الطعام بالفم لإذهاب الرحل شحم السنام وذلك لكثرة احتكاكه به ، والجامع بينهما : إزالة الأثر إزالة تدريجية مع طول الوقت ، وهذا محقق فى الاقتيات وفى إذهاب الرحل شحم السنام ... ومرجع الغرابة إلى التفصيل فى الجامع حيث لم ينظر إلى مجرد الإزالة ، بل إلى حصولها بالتدريج شيئاً فشيئا ، ومما يحسن الاستعارة فى البيت أن الشحم نفسه مما يقتات فالسامع يتخيل أن الاقتيات حقيقة ، فإذا ما انتهى إلى آخر البيت " الرحل " وضح له المجاز وبرز له الشئ من حيث لم يتوقعه .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصيد الضار وأذن الصبح لنا بالإبصار[1]

استعار " الإذن " للتمكن من الرؤية بعد العجز عنها ... ومرجع الغرابة إلى ما فى الجامع وهو " القدرة على فعل الشئ بعد زوال المانع من فعله " من تفصيل لا يدرك إلا بعد إدراك أن الليل كان مانعا من الرؤية ، بالإضافة إلى أن هذا الجامع أمر عقلى ، والعقليات المركبة دقيقة الإدراك بالنسبة إلى المحسوسات .

وقول الآخر يصف رقة النسيم :

بعرض تنوفة للريح فيها نسيم لا يروع فى التراب[2]

استعار الترويع بمعنى الإفزاع والإخافة لإثارة الريح التراب بجامع الحركة الهوجاء فى كل ... ومرجع الغرابة فى البيت إلى كون المستعار له بعيد الحضور فى الذهن عند ذكر المستعار منه . فصار الجمع بينهما غريبا دقيقا .

وقول ابن المعتز :

(١) الضار : تخفيف الضارى وهو الذى اعتاد الصيد ، والصيد مفعول مقدم والضار فاعل مؤخر ، والمعنى أنه عرف ما يصيده لذهاب الظلام ويروى : " انصار " فى مكان : " الضار " أى : انضم وجمع قواه للانقضاض ، يصف بذلك بازى الصيد .

(٢) التنوفة : الصحراء أو الأرض الواسعة وعرضها : جانبها .

ينـاجينى الإخـلاف مـــن تحــت مَطْلــه

فتختصم الآمال واليأس فى صدرى [1]

استعار المناجاة للخطور فى الذهن بجامع خفاء الدلالة فى كل وهو جـامع عقلـى لذا كانت الاستعارة غريبة ... ثم استعار الاختصام لحلول الأمل فى صدره مرة ثم اليـأس مرة أخرى ، كأنهما يتنازعان ، بجامع مطلق التدافع بين شيئين متعارضين .. ولنا أن نجعل الاستعارتين فى البيت من قبيل الاستعارة بالكناية وذلك بتشبيه الإخلاف بإنسان يتحـدث من خلف ستار ، والأمل واليأس بمتخاصمين يتنازعـان مكانـا للإقامـة فيـه ، وهـذا أجمـل وأكثر إبرازا للخيال الذى يريده الشاعر ...

ومنه قول الآخر يصف فرسا :

عودته فيما أزور حبائبى

إهمالـــه وكــــذاك كــــل مخـــــاطر

وإذا احتبـــــى قربُوســــــه بعِنانـــــه

علـك الشـكيم إلى انصـراف الزائـر [2]

استعار الاحتباء وهو ضم الرجل ركبتيه وجمعه ظهره وساقيه بثوب لضـم اللجـام مقدم السرج إلى فم الفرس والجامع هو الهيئة المركبة من انضمام شيئين بواسطة شئ آخـر ... وترجع غرابة الاستعارة إلى ما فى هذا الجامع من التفصيل فضلا عن كـون المشبه بـه نادر الحضور فى الذهن عند حضور المشبه لتباعد الهيئتـين ، هيئـة الفـرس وهيئـة الإنسـان الجالس محتبيا .

(١) الإخلاف : عدم الوفاء ، والمطل : التأخير فى إجابة المطلوب.

(٢) القربوس : السرج أو مقدمته ، والعنان ، سير اللجام . وعلك :مضغ ،الشـكيم الحديـدة المعترضـة فى فم الفرس.

تحول الاستعارة المبتذلة إلى غريبة : قد يتصرف المتكلم فى الاستعارة المبتذلة تصرفا يحولها من الابتذال إلى الغرابة ، وذلك بأن يتضمن الكلام الذى وردت فيه مجازاً آخر ، أو تتعدد الاستعارات ، أو يتعلق بها أمر يزيد من المبالغة التى أفادتها أو يتوخى فى بناء الجمل ونظم الكلام ما يؤدى إلى دقة التصوير وإبراز الخيال .

انظر إلى قول كثير :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت إلى دهم المهارى رحالنا فلم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح(١)

تجد أنه قد استعار السيلان للسير اللين السهل فى قوله : " وسالت " وهى استعارة مبتذلة قريبة المأخذ ، ولكنه أزال ابتذالها بالجمع بينها وبين المجاز العقلى فى إسناد السيلان إلى الأباطح ليفيد امتلاءها بالركبان حتى كأنها هى التى تسير ، ثم بإدخال حرف الجر " الباء " على الأعناق ليدل على شدة السير وسرعته فإن مظهر السرعة فى الإبل حركة أعناقها وبهذا تحولت الاستعارة من عامية مبتذلة إلى خاصية غريبة .

ونحوه قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير(٢)

حيث استعار " السيلان " لسرعة سير القوم إلى الممدوح حين دعاهم وهى استعارة مبتذلة ، أزال الشاعر ابتذالها بأمور ثلاثة :

أولهما : المجاز العقلى وهو إسناد السيلان إلى الشعاب ليدل على امتلائها بهم .

---

(١) الأباطح : جمع بطحاء وهى الصحراء .
(٢) الشعاب : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل والناحية ، والحى : القوم .

ثانيها : تعليق الجار والمجرور " عليه " بالفعل " سال " ليدل على شدة طاعتهم له، فسيرهم كان عليه ومن أجله .

ثالثها : تشبيه وجوههم بالدنانير فى الإشراق والبهجة ليدل على حبهم له ورغبتهم فى نصره وإجابته ، وبهذا تحولت الاستعارة فى البيت من الابتذال إلى الغرابة .

وقول الآخر :

فرعاء إن نهضت لحاجتهما   عجل القضيب وأبطأ الدعص[(١)]

استعار " القضيب " للقامة ، و " الدعص " للردف وهما استعارتان مبتذلتان ، وقد أزال الشاعر ابتذالهما بتلك الأمور :

أولاً : وصف القضيب بالعجلة والدعص بالإبطاء إذ أكد الوصفان رشاقة القامة وعظم الردف.

ثانيا : إسناد عجل إلى القضيب وأبطأ إلى الدعص ، أديا إلى المبالغة فى رشاقة قامتها وضخامة عجزها .

ثالثاً : الطباق بين " عجل " و " أبطأ " أبرز حسن القامة والردف فالضد يظهر حسنه الضد .

رابعاً : تعدد الاستعارة .

ومن ذلك قول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازا وناء بكلكل[(٢)]

فقد استعار " الصلب " لوسط الليل وجعله يتمطى ليزداد طوله ، واستعار " الصدر " لأوله وجعله ثقيلا يقعده عن الحركة ، واستعار الأعجاز لآخره ، وجعلها

---

(١) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن . والدعص : كثيب الرمل المجتمع .

(٢) تمطى : تمدد ، والصلب : عظم الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشئ .

تترادف وتتوالى ليدل على طول الليل وامتـداده .. فكـل استعارة مـن هـذه الاستعارات الثلاث إذا انفردت صارت عامية مبتذلة ، ولكن اجتماعها حقق غرض الشاعر وهو إبراز طول ليله ورسم صورة متكاملة بين ليلـه وبـين الفـرس ، ولـذا صـارت الاستعارات فـى البيت غريبة بعيدة .

* * *

هذا والاستعارة تجرى فى الكلام على النحو الآتى :

١- استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، كقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ﴾[1] ، حيث استعير لفظ " العجـل " مـن الحيـوان المخصـوص ، للصنـم الذى صنعه السامرى من الذهب بجامع الشكل والصوت ، فالمستعار لـه والمستعار منه ووجه الشبه من المحسوسـات وقولـه عـز وجـل : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُم يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾[2] ، فقد استعير الموج وهو حركة ماء البحر واضطرابـه لحركـة الخلائـق المجتمعة يوم البعث بجامع ما فى كل من اضطراب وحركة مشاهدة .. وقولـه تعـالى : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[3] حيث استعير شواظ النار للشيب بجـامع البيـاض والإنـارة ، ثـم حـذف المستعار منه ورمز له بلازم من لوازمه وهو " الاشتعال " على طريقة الاستعارة المكنية.

أو بوجه عقلى ، كمـا فـى الآيـة السـابقة إذا جعلـت الاستعارة تبعيـة فـى لفـظ "اشتعل " حيث استعير الاشتعال لانتشار الشيب فى الشعر بجامع سرعة الانتشار مع تعذر التلافى ، فالطرفان حسيان والجامع عقلى ، وكما فى قولـه تعـالى : ﴿ وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظلِمونَ﴾[4] ، استعير السلخ وهو : " إزالة جلد الحيـوان بعـد ذبحه ليظهر اللحم ، لإزالة ضوء النهار حتى يظهر الليل ويحل الظلام ، بجامع مطلق ترتـب

---

(١) سورة طه آية ٨٨.
(٢) سورة الكهف آية ٩٩.
(٣) سورة مريم آية ٤.
(٤) سورة يس آية ٣٧.

أمر على أمر ، فالطرفان حسيان والجامع بينهما عقلى ... وقوله تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[1] ، استعيرت المرأة العقيم " التى لا تلد " للريح التى لا تمطر بجامع عدم ظهور الأثر فى كل ، ثم حذف المستعار منه ورمز له بلازم من لوازمه وهو "العقيم" على سبيل الاستعارة المكنية . فالطرفان حسيان والجامع عقلى ... ويجوز اعتبار الاستعارة تبعية بتشبيه ما فى الريح من عدم تلقيح السحاب كى يمطر بالحالة التى فى المرأة المانعة من الإنجاب وهى العقم ، ثم استعير " العقم " للحالة التى فى الريح واشتق منه " عقيم " بمعنى لا ينتج أثرا .. وعندئذ يكون كل من الطرفين والجامع عقليا.

٢- استعارة محسوس لمعقول ، ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] ، فالآية خطاب للنبى - صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ الأمانة ويوضح أمر الدين وضوحا تاما لايعود معه إلى خفاء كما لا يلتئم الزجاج بعد كسر ... فقد استعير الصدع الحسى وهو كسر الزجاج ، للتبليغ الذى لا ينمحى أثره وهو عقلى ، بجامع قوة التأثير فى كل ، ثم اشتق منه " واصدع " بمعنى بلغ تبليغا يبقى أثره ... وقوله عز وجل : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾[3] ، فالآية تتحدث عن اليهود ، والضرب فى اللغة يستعمل للإلصاق وللإحاطة ، يقال ضرب الطين على الحائط أى : ألصقه بها ، وضرب الخيمة أى : أقامها لتحيط بهم ... وعلى ذلك فقد استعير الضرب فى الآية من إحاطة القبة أو الخيمة ،أو من لصوق الطين بالحائط ولزومه له لإحاطة الذلة بهم أو للصوقها ولزومها لهم ، واشتق من الضرب ضرب بمعنى أحاط أو لزم ، فالمستعار له فى الآية عقلى ، والمستعار منه حسى . وقوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾[4] ، استعيرت الزلزلة وهى التحريك بشدة وعنف لشدة ما أصابهم من الألم والمشاق .. وقوله عز

(١) سورة الذاريات آية ٤١.
(٢) سورة الحجر آية ٩٤.
(٣) سورة آل عمران آية ١١٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢١٤.

وجل : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ ﴾[1] استعير النبذ وهو الإلقاء والقذف باليد ، للتناسي والإهمال.

٣- استعارة معقول لمعقول ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾[2] استعير الرقاد للموت بجامع عدم ظهور الأفعال التي يعتد بها في كل ، والرقاد والموت وعدم الظهور من المعاني العقلية .

٤- استعارة معقول لمحسوس ... ولا يكون الجامع إلا عقليا ، كقوله عز وجل : ﴿ إنا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ ﴾[3] ، استعير الطغيان وهو التعالي والتكبر ، لزيادة الماء وارتفاعه بجامع تجاوز الحد في كل ، واشتق منه الفعل " طغى " بمعنى زاد وارتفع على سبيل الاستعارة التبعية ... فالمستعار منه " الطغيان " أمر عقلي ... والمستعار له " الزيادة والارتفاع . أمر حسي والجامع كما ترى من الأمور العقلية ...

قرائن الاستعارة : لابد للاستعارة ، ولكل مجاز من وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ ، فالقرينة هي ما ينصبه المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير معناه الوضعي ، وهو إما لفظية ، كقولنا : رأيت بحراً يتصدق وأسداً يخطب وقمراً يتكلم ، فالألفاظ " يتصدق " ويخطب ويتكلم " دلت على أن المراد بالبحر والأسد والقمر غير معانيها الأصلية . وإما غير لفظية كدلالة الحال في قولنا : " رأيت بحراً " والمخاطب يرى رجلا كريما مقبلا ، فقد دلت الحال على إرادة الرجل الكريم ومنعت إرادة المعنى الأصلي للفظ " البحر " وكدلالة الاستحالة كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ ﴾[4] ، فقد استعير " الطغيان " للزيادة وارتفاع الماء ، والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الأصلي من الماء .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.
(٢) سورة يس آية ٥٢.
(٣) سورة الحاقة آية ١١.
(٤) سورةالحاقة آية ١١.

هذا ويقرر البلاغيون أن القرينة فى الاستعارة التصريحية شئ له علاقة بالمشبه وفى المكنية شئ له علاقة بالمشبه به ، وتأتى القرينة فى الاستعارة التصريحية الأصلية على وجوه أهمها :

١- أن تكون معنى واحداً لا تعدد فيه وهذا هو الأكثر كقولنا : رأيت أسدا يقاتل وظبية تغنى وبحراً ينفق .

٢- أن تكون أكثر من معنى ، وكل واحد كاف فى الدلالة على الاستعارة كما فى قول الشاعر :

فإن تعافوا العدل والإيمان فإن فى أيماننا نيرانا

فقد استعيرت النيران للسيوف ، والقرينة تعلق الفعل " تعافوا " بكل من العدل والإيمان ، ويكفى فى الدلالة على عدم إرادة النيران تعلقه بأحدهما ، فالاستعارة لا تتوقف على الأمرين مجتمعين ولكن المعنى الذى يريده الشاعر يتوقف عليهما معاً ، فمراده أن يقول : إما أن تدفعوا الجزية وهى عدل وإما أن تؤمنوا با لله ورسوله فإن كرهتم العدل والإيمان حاربناكم فإن فى أيدينا سيوفا تبرق كالنيران ، وبعض البلاغيين يمنع تعدد القرينة ويرى أنها لا تكون إلا معنى واحدا وما عدا ذلك يكون تجريدا أو ترشيحا على نحو ما رأيت فى الاستعارة المجردة والاستعارة المرشحة .

٣- أن تكون القرينة عدة معان ملتئمة مرتبطة لا يصلح واحد منها بانفراده أن يكون قرينة ، كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمس سحائب

فقد استعيرت " السحائب " لأصابع الممدوح بجامع الجود والعطاء ، والقرينة ما ذكره من وجود صاعقة ناشئة من نصل سيفه ، تنقلب على رءوس أقرانه وأن الذى يقلبها عدده خمسة ، وهى أصابع يده فهذه الأمور مجتمعة هى القرينة ولا يكفى واحد منها ليكون قرينة مستقلة .

كما تأتى القرينة فى الاستعارة التبعية على وجوه :

أولها : أن يكون إسناد الفعل إلى الفاعل لا يتأتى على الحقيقة ، كقولهم نطقت الحال بكذا ، وكلمتنى عيناه ، وأخبرتنى أسارير وجهه ، فالنطق لا يتأتى من الحال ، وكذا التكليم والإخبار لا يتأتيان من العينين والأسارير فدل ذلك على استعارة النطق والتكليم والإخبار للدلالة الواضحة .

ثانيها : ألا يتأتى إسناد الفعل إلى نائب الفاعل على الحقيقة ، كقوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾[1] ، فالضرب بمعنى نصب الشئ أو الصك بالطين لا يتأتى من الذلة فدل ذلك على استعارة الضرب للإحاطة أو الملازمة.

ثالثها : ألا يتأتى تعلق الفعل بمفعوله على الحقيقة ، كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا

" فقتل وأحيا " لا يتأتى تعلقهما بالبخل أو السماح ، وهذا دليل على استعارة القتل للإزالة والإحياء للإذاعة والنشر ... وكقول كعب بن زهير :

صَبَحْناَ الخزرجيةَ مرهفاتٍ أباد ذوى أرُومتها ذووها[2]

استعار التصبيح بالتحية للطعن بالسيوف المرهفة بعد تنزيل الطعن منزلة التحية على طريقة الاستعارة التهكمية ، والقرينة أن الفعل " صبح " لا يتأتى تعلقه بالمفعول الثانى " مرهفات " على الحقيقة ، ومثله قول القطامى السابق :

نقريهم لهذميات نَقُدُّ بها ما كان خاط عليهم كل زراد

رابعها : ألا يتأتى تعلق الفعل بكل من مفعوليه على الحقيقة كقول الحريرى :

(١) سورة آل عمران آية ١١٢.

(٢) الخزرجية : الخزرَج من الأنصار ، ومرهفات : السيوف المرهفة أى المرققة ، والأرومة : الأصل ، والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزَرَجية ، والضمير فى " ذووها " يعود إلى مرهفات. .

وأقـرى المســامع إمــا نطقـــت بيانـاً يقـود الحَـرُونَ الشَّمُوســـا[1]

استعار القرى للإلقاء على المسامع بيانا مؤثراً ساحراً والقرينة أن الفعل " أقـرى " لا يتأتى تعلقه بالمســامع والبيـان علـى الحقيقـة ، وهـذه الاسـتعارة توحـى بعـذب حديثـه وحلاوة منطقه وفصاحة كلامه فهو يغذى المسامع كما يقرى الطعام.

خامسهاً : ألا يتأتى تعلق الجار والمجـرور بـالفعل علـى الحقيقـة ، كمـا فـى قولـه تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] ، فالجار والمجـرور " بعـذاب " لا يتـأتى تعلقـه بـالفعل " بشر " على الحقيقة فدل ذلك على استعارة التبشـير للإنـذار بعـد تـنزيل التضـاد بينهمـا منزلة التناسب على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

سادسها : امتناع تعلق الفعل بكل ما تقدم على الحقيقة كما فى قول الشاعر :

تقـرى الريـاح ريـاض الحـزْن مزهــرة

إذا سرى النـوم فـى الأجفـان إيقاظـا[3]

استعارة الإقراء لفعل الرياح وتأثيرها علـى الريـاض فتتفتـح أزهارهـا والقرينـة أن الفعل " تقرى " لا يتأتى إسناده إلى الرياح ولا يتأتى تعلقه بالرياض ولا بالإيقاظ .. وفـى هذه الاستعارة إيحاء بحسن الرياح ورقتها وجمال أثرها فى الرياض ، ففعلها إقراء للريــاض وإطعام ....

وأما القرينة فى الاستعارة المكنية فهى إثبات لازم المشبه به للمشبه وهو ما يسمى بالاستعارة التخييلية ، ففى قوله عز وجـل : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[4] شبه الشيب

(١) أقرى : مأخوذ من القرى وهو طعام الضيف ، والحرون والشـموس : بمعنى واحـد وهـو الـذى لا ينقاد لك .

(٢) سورة التوبة آية ٣٤ .

(٣) الحزن : الأرض الغليظة ، وإيقاظها : مفعول ثان لتقرى وهى استعارة تصريحية لتفتح الأزهار.

(٤) سورة مريم آية ٤ .

بشواظ النار ثم حذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وهو " اشتعل " ، والقرينة هـى إثبات اشتعل للشيب " المشبه " وهذا الإثبات يسمى استعارة تخييلية ... وفى قولك : "نطقت الحال " شبهت الحال بإنسان وحذف المشبه به ورمز له بلازمه " نطق " والقرينة إثبات هذا اللازم للمشبه " الحال " وقول أبى ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبهت المنية بالسبع بجامع الاغتيال فى كل وحذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو " الأظفار " . والقرينة هى إثبات " الأظفار " للمنية ويسمى هذا الإثبات استعارة تخييلية .

* * *

المجاز المركب

المجاز المركب هو التركيب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الموضوع له التركيب و المعنى المستعمل فيه ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى . فإذا كانت العلاقة المشابهة ، سمى المجاز استعارة تمثيلية ، وإن كانت غير المشابهة سمى مجازاً مركباً مرسلا .. والمراد بالوضع هنا ما تعورف على فهمه من التركيب .

ويتضح من هذا أن المعنيين فى المجاز المركب وهما المعنى الأصلى الذى دل عليه التركيب دلالة حقيقية ، والمعنى المجازى الذى استعمل فيه وأريد منه ، كلاهما يكون هيئة منتزعة من أمرين أو من أمور عدة ، وهذا هو الفرق بينه وبين المجاز المفرد ؛ إذا المجاز المفرد يكون فى الكلمة المفردة ، فمعنياه الأصلى والمجازى مفردان ، كما أن اللفظ الذى تجوز فيه مفرد .

الاستعارة التمثيلية : هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة . كقولك للرجل يتشدد فى الأمر الصغير ، ويتسامح فى الأمر الخطير : " أراك تنفق الدينار وتحرص على الدرهم " ، شبهت حاله فى تمسكه بصغائر الأمور وتسامحه فى جسامها بحال من يبدد الدينار ويحرص على الدرهم بجامع أن كلا منهما يترك ما ينفع إلى ما هو قليل النفع ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالية تفهم من سياق الكلام ... ومن ذلك قولك لمن يتردد فى الأمر : " مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى " شبهت صورة المتردد فى الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر ، فهو تارة يريد الذهاب فيقدم رجلا ، وتارة لا يريد فيحجم ويتأخر ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ... والاستعارة التمثيلية كثيرة الاستعمال فى كلام العرب نثره وشعره ، وفى القرآن الكريم ، وفى الحديث الشريف ... فمن ذلك قولهم للرجل يبذل جهده فى عمل لا يثمر شيئاً ، " أراك تنفخ فى رماد ... وتضرب فى حديد

بارد ... وتخط على الماء ". مثلوا حاله بحال من ينفخ فى الرماد ،" فلا يخرج ناراً ، ومن يضرب فى حديد بارد فلا يتشكل بالشكل الذى يريد ، ومن يخط على الماء فلا يترك أثراً ... ومنها قولهم للرجل يحتال على صاحبه حتى يصرفه عن الأمر الذى يتمسك به " ما زال يفتل له فى الذروة والغارب حتى لان .. وما زال ينزع القراد من البعير حتى سكن"(١)، مثلوا حاله مع صاحبه بحال من يحتال على البعير الهائج بحك شعر سنامه وما يليه إلى العنق حتى يهدأ ... وبحال من ظل ينزع القراد من البعير حتى سكن ... ومنها قولهم لمن يقدم النصح للذى لا يفهمه أو للذى لا يعمل به : " لا تنثر الدر أمام الخنازير" ... مثلوا حاله بحال من يضع الدر أمام الخنازير بجامع أن كليهما لا ينتفع بالشئ النفيس الذى ألقى إليه .. ومنها قول المتنبى يمثل حال من عابوا شعره لأنهم لم يرزقوا الذوق السليم لفهم الشعر الرائع والنظم العجيب .

ومن يك ذا فم مر مريض … يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله يمثل حال من لا يحسن اختيار العامل فيجعل غير الثقة على أمواله فيبعثرها ويضيعها :

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه … تصيده الضرغام فيما تصيدا (٢)

وقول الآخر يمثل حال من يضيع الأموال التى ورثها ؛ لأنها آلت إليه بلا تعب :

ومن ملك البلاد بغير حرب … يهون عليه تسليم البلاد

ومنها قول ابن ميادة يمثل حال إكرام الممدوح له ، وحال إهانته إياه :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى … فلا تجعلنى بعدها فى شمالك

وقول الآخر يمثل حال الرجل الذى لا يقول إلا حقا ولا يخبر إلا بالصدق :

---

(١) الذروة : السنام ، والغارب : العنق.

(٢) الضرغام : الأسد ، والباز : ضرب من الصقور التى تصيد ، يقال : باز وبازى وباز وبأز وجمعه : بزاة ... انظر لسان العرب مادة : بزا .

إذا قــالت حــذام فصدقوهــا   فــإن القــول مــا قــالت حــذام

ومنها قول الشماخ يمثل حال " عرابة " فى حرصه علـى المجد " واعـتزازه بـه ، وإقدامه عليه " وسموه إليه ، واقتداره على نيله :

رأيـت عرابــة الأوســى يســمو   إلى الخــيرات منقطــع القريــن

إذا مــا رايــة رفعــت لمجــد   تلقاهــا عرابــة بــاليمين

ولا يخفى عليك أن الشبه مأخوذ من مجموع التلقـى واليمـين علـى حـد قولهـم : تلقيته بكلتا اليدين ، ولهذا لا تصلح " اليمين " أو اليد أو الكف حيث يقصد التجوز فيهـا وحدها ، فلا يقال : هو عظيم اليد أو عظيـم اليمـين ، بمعنى عظيـم القـدرة ، ولا يقـال عرفت يمينك على هذا ، بمعنى عرفت قدرتك عليه ..

ومنها قول الآخر يمثل حال المصلح الذى يفسد الغير ما يصلحه :

متى يبلـغ البنيــان يومــا تمامــه   إذا كنـت تبنيــه وغــيرك يهــدم؟

ومما جاء من ذلك فى القرآن الكريم قول تعالى : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ (١) . مثلت الآيـة الكريمة حال الأرض يوم القيامة والله عز وجل يتصرف فيها بأمره وقدرته تغيـيرا وتبديـلا بحال الشئ يكون فى قبضة الإنسان يتصرف فيه كيف يشاء ... ومثلت حـال السـموات وقد طواها الله بقدرته بحال الكتاب المطوى فى يمـين صاحبـه ... والجـامع فيهمـا وقـوع كل تحت قدرة صاحبه وإرادته ...

وقوله عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾(٢)، مثلت الآية حال المتعجل بالحكم قبل إذن الله به بحال المتقدم بين يدى متبوعه حين المشـى بجامع عدم المتابعة فى كل ..

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٧.

(٢) سورة الحجرات الآية ١.

يقول الزمخشرى " وحقيقة قولهم : جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه ، فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا ، كما يسمى الشئ باسم غيره إذا جاوره ودانـاه فـى غير موضع ، وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب مـن المجاز وهـو الـذى يسميه أهـل البيـان تمثيلا، ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فـى الكلام العريان ، وهـى تصوير الهجنة والشناعة، فيما نهوا عنه من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى : ألا تقطعوا امرا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه ، فتكونوا إمـا عـاملين بالوحى المنزل ، وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ... "(1).

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ** ﴾(2) فقد عدها البعض من قبيل الاستعارة التمثيلية . حيث شبهت حال الغضب الذى أثار موسى بعض الوقت ثم هدأ بحال رجل أثار غيره ثم سكت بجامع التحول من حال إلى حال ... والأولى حمل الآية على الاستعارة المكنية ، حيث شبه الغضب بإنسان يثير غيره ثم حذف المشبه به ورمز له بلازمه وهو السكوت ويقوى ذلك أن المذكور فى الآية الكريمة لفظ " الغضب" وهو مشبه وليس مشبها به .

وعد بعض البلاغيين الآية مـن قبيل التبعية فـى الفعل ، بأن استعير السكوت للسكون ، واشتق منه سكت بمعنى : سكن ... وبعضهم يجعلها من قبيل القلب ، وأن الأصل : ولما سكت موسى عن الغضب ، كما نقول : خرق الثوب المسمار والأصل : خرق المسمار الثوب ... وهناك قراءتان أخريان للآية الكريمة : إحداهما ولما سكن عن موسى الغضب ، والثانية ولما سكت بالبناء للمفعول والأولى - كما قلت - أن تعد الآية من قبيل الاستعارة المكنية لأن ذلك يصور مدى تمكن الغضب من موسى - عليه السلام

---

(1) الكشاف جـ ٣ ص ٥٥٢.

(2) سورة الأعراف آية ١٥٤.

- وكأنه كان يغريه على ما فعل ، ويقول له : قُل لقومك كـذا ، وألـق الألـواح ، وجـر برأس أخيك إليك ، ولا تجد هذا المعنى فى حمـل الآيـة علـى الاسـتعارة التبعيـة ولا فـى القراءتين الأخريين[1].

وتأمل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَـنْ كـَانَ لَـهُ قَلْـبٌ ﴾[2] ، تجـد أن المقام يقتضى حمل الآية الكريمة علـى الاستعارة التمثيليـة ، إذ المـراد : الحـث علـى النظـر والتقريع على تركه ، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالقلب العقل ، ولكـن البلاغيـين لم يرتضوا هذا التفسير وإن كان المرجـع عنـد التحصيـل إليـه ، وذلـك لإخلالـه بـالمراد ، وبينوا أن الكلام مبنى على تخييل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى يكون بمنزلـة مـن عدم قلبه جملة ، وهذا يتفق مع ما تريده الآية من الحث على النظر والتقريع على تركه[3].

ومنها قوله تعـالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْـلِ اللهِ جَمِيعاً﴾[4] ، حيـث مثلـت حـال المتمسك بدين الله وعهده بحال المعتمد على حبل قوى يمنعه من السقوط ، ويجـوز جعـل الاستعارة فى الآية مفردة حيث شبه دين الله بالحبل القوى بجامع الحفـظ مـن الضـرر فـى كل واستعير لفظ الحبل للدين ... ويكون قوله تعـالى " واعتصمـوا " ترشـيحاً للاسـتعارة لأنه من ملائمات المشبه به ...

ومما جـاء مـن الاسـتعارة التمثيليـة فـى الحديـث النبـوى قولـه عليـه الصـلاة و السلام : (إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب جعـل الله ذلك فى كفه فيربيها كما يربى أحدكم فَلُوَّهُ)[5]، مثلت حال الصدقة القليلة من الكسب الطيب عند الله تعالى ، فى محبته لها ورضاه عنها ، بالشئ المحبوب يوضع فى اليـد اعـتزازا به وحرصا عليه .

(١) ارجع إلى الكشاف ج ٢ ص ١٢٠ .
(٢) سورة ق آية ٣٧ .
(٣) انظر الإيضاح جـ ٣ ص ١٥١ .
(٤) سورة آل عمران أية ١٠٣
(٥) الفلو : المهر أو الجحش بعد الفطام .

ومن الاستعارة التمثيلية : الأمثال السائرة ، الواردة عن العرب فيستعار موردها لمضربها ، ومعلوم أن الأمثال لا تغير ، فيستعار موردها الذى قيلت فيه لمضربها الذى تضرب فيه بلا تغيير ولا تبديل ، من ذلك قولهم : " أحشفا وسوء كيلة " ، يضرب لمن يظلم من جهتين ، وأصل مورده أن رجلا اشترى من آخر تمراً ، فوجده رديئاً وناقص الكيل فقال : " أحشفاً وسوء كيلة " ، فصار يضرب لمن ظلم من جهتين .

ومن أمثالهم أيضاً : " رمى عصفورين بحجر " ، يضرب لمن يحتال فيدرك أمرين بتدبير واحد ... ومنها : " الصيف ضيعت اللبن " ، ويضرب لمن يطلب أمرا بعد فوات الأوان ... ومنها : " عند جهينة الخبر اليقين " ، ويضرب لمن يعرف الشئ على حقيقته ووجهه ، ومنها : " إنك لا تجنى من الشوك العنب " ويضرب لمن يفعل الشر وينتظر مجازاته بالخير ... ومنها : " قطعت جهيزة قول كل خطيب " . ويضرب لمن يأتى بالقول الفصل فى مواطن النزاع .

المجاز المركب المرسل : والمجاز المركب المرسل هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾(1) فالله عز وجل يعلم ما وضعت وامرأة عمران تعرف أنه تعالى لا يخفى عليه شئ فهى لم ترد الإخبار بما وضعت وإنما أرادت أن تبدى حزنها وتحسرها لعدم مجيئه ذكراً حيث كانت قد وهبته ونذرته لخدمة بيت الله ... فهو مجاز علاقته اللزومية إذ يلزم من إخبارها بوضع الأنثى أنها حزينة متحسرة ...

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾(2) أراد - عليه السلام - إظهار ضعفة وإبراز وهنه ، إذ يلزم من إخباره بأنه قد وهن عظمة واشتعل

---

(1) سورة آل عمران آية ٣٦.
(2) سورة مريم آية ٤ .

رأسه شيبا ، إبراز ضعفه وإظهار وهنه ... والقرينة مقام الخطاب ، حيث يعلم زكريا عليه السلام أن الله لا تخفى عليه خافية ، فليس فى حاجة إلى إخبار ....

وقوله عز وجل : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[1]، أراد - عليه السلام إظهار الغبطة والسرور ، فهو مجاز مركب علاقته اللزومية إذ يلزم من إخباره بأن الله قد آتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث ، إبداء سروره وإظهار غبطته ، والقرينة أن الله عز وجل عليم بذات الصدور ، ويوسف - عليه السلام - يعرف أنه تعالى فى غنى عن إخباره ، ولا تخفى عليه خافية ....

وأرى أن المعانى المشار إليها فى الآيات الكريمة ونحوها ، قد فهمت من السياق وقرائن الأحوال ، فهى من مستتبعات التراكيب[2] ، ولذا لا أجد داعيا للقول بالمجاز المرسل المركب ، وأرى أن يقصر المجاز فى التركيب على الاستعارة التمثيلية .

* * *

(١) سورة يوسف آية ١٠١.

(٢) انظر كتابنا : " علم المعانى " جـ١ ص ٣٨ ، ٣٩.

خصائص الاستعارة ومزاياها البلاغية

من أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات وتشخيص المجردات ، وخلع الحياة على مالا حياة فيه ، فتصبح المعنويات والأمور المجردة شاخصة أمام الأعين ، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حيا متحركا ... ولننظر في قول الله عز وجل : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾[1] ، فقد استعير التنفس لظهور الصبح وانتشار ضوئه ، وفرق بين الظهور وانتشار الضوء وبين التنفس ، إن الاستعارة بثت فى الصبح الحياة وأضفت عليه صفات الكائن الحى ، وفيها بالإضافة إلى ذلك إيحاء بثقل الليل وكربه وهمومه ، وكأن فى ظهور ضوء الصبح إزاحة لهذه الكربات وإزالة لتلك الهموم ، وكأن الصبح يلتقط أنفاسه بزوال ظلمات الليل . وفى قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ** ﴾[2] ، استعير الشهيق للصوت الفظيع ، وقوله عز وجل : ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾ [3] ، استعير القذف للإيراد ، والدمغ للإذهاب ، ولا يخفى ما فى الاستعارتين من بث الحياة فى جهنم ومن تجسيد الحق والباطل ، حتى كأن الحق قذيفة أصابت الباطل فقضت عليه ومحقته ... ولننظر فى قول أبى العتاهية مهنئا المهدى بالخلافة :

أتتــــه الخلافــــة منقــــادة ... إليــــه تجـــــرر أذيالهــــا

وفى قول البارودى :

إذا استل منهم سيد غرب سيفه ... تفزعت الأفلاك والتفت الدهر[4]

نجد أن الخلافة والأفلاك والدهر ، قد تحولت بالاستعارة إلى كائنات حية تفزع وتتلفت وتمشى فى عجب وحياء ، وقد صار للخلافة المنقادة أذيال تجررها ....

---

(١) سورة التكوير آية ١٨.
(٢) سورة الملك آية ٦، ٧.
(٣) سورة الأنبياء آية ١٨.
(٤) غرب السيف : حده . وإستل : انتزع.

وتأمل قول أبى ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

تجده قد أبرز المنية فى صورة محسوسة مشاهدة إذ جعلها سبعا يفتك وينشب أظفاره .

ومن خصائص الاستعارة : الإيجاز ، فهى تعطى المعانى الكثيرة بألفاظ قليلة يسيرة ، على نحو ما نرى فى قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته بجنان الحسن عنابا

فقد استعيرت الأغصان للأصابع والعناب للأنامل والمعنى أثمرت أصابع يده الشبيهة بالأغصان بنانا مخضوبة كالعناب ... ولا يخفى عليك ما أحدثته الاستعارة من إيجاز مع حسن بيان وجمال تصوير ...

ومنها المبالغة فى تأكيد المعنى وتفخيمه ، لأنها قائمة على تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه صار فردا من أفراد المشبه به ، ولذا كان قولنا : رأيت بدراً ، وأضاء محمد الأرض شرقا وغربا ، أبلغ من قولنا : محمد كالبدر ، وهو التشبيه االذى بنيت عليه الاستعارة ، وذلك أن الاستعارة قد صيرت محمداً فرداً من أفراد البدور ، مبالغة وادعاء وتأمل قول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾[1] ، وقوله تعالى :﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ** ﴾[2] ، فقد استعير الطغيان لزيادة الماء وارتفاعه ، واستعير العتو للشدة ، والاستعارة فيهما أبلغ لأن فى الطغيان دلالة على الغلبة والقهر ، ، والعتو شدة فيها تمرد ... وقد يتبع المستعار بملائمات المستعار منه ويبالغ فى ذلك حتى ينزل منزلة الحقيقة على نحو مامر بك فى الاستعارةالمرشحة....

---

(١) سورة الحاقة آية ١١.

(٢) سورة الحاقة آية ٦.

ومن خصائصها : حسن البيان وتحريك المشاعر وتنبيه العقول وتنشيط الأذهان ، ولا يخفى عليك إدراك ذلك فيما مر بك من شواهد ... ففي قوله تعالى : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[1] ، تجد أن التعبير عن ظهور الشيب وانتشاره بالاشتعال ، قد أبرز الشيب في صورة واضحة بينة ، تجذب المشاعر وتنبه العقول إلى أن انتشار الشيب لا يمكن تلافيه ودفعه كما أن شواظ النار لا يتلافى .

هذا والاستعارة - كما رأينا - مبنية على التشبيه ، فيشترط لحسنها أن يكون التشبيه حسنا . وحسن التشبيه - كما مر بنا - يحصل بكون وجه الشبه كثير التفصيل ، وكون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه فيه ، وأن يحقق الغرض منه ، فكذلك الاستعارة تحسن إذا كان الجامع بين المستعار له والمستعار منه مفصلا ، كاستعارة الاحتباء لصورة ضم اللجام مقدم السرج إلى فم الفرس واستعارة الاقتيات لإذهاب الرحل شحم السنام على نحو ما رأيت في الاستعارة الغريبة .. وإذا كان المستعار منه نادر الحضور في الذهن عند حضور المستعار له ، كاستعارة الطغيان لارتفاع الماء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ ... وتحسن كذلك إذا كان الغرض منها محققا ، كاستعارة قولهم " أراك تنفخ في رماد ، وتضرب في حديد بارد " . لمن يجهد نفسه في عمل لافائدة فيه ...

ومعلوم أن الاستعارة قائمة على تناسي التشبيه وادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ، ولذا فهي تحسن عندما لا يذكر في الكلام سوى المشبه به نحو : رأيت قمرا يتحدث ، أما إذا ذكر في الكلام ما يشم منه رائحة التشبيه ، بأن يذكر المشبه بوجه ينبئ عن الاستعارة لا عن التشبيه ، فإن ذلك يقلل من حسنها كما في قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

(1) سورة مريم آية ٤.

فقد استعير القمر للممدوح ، وذكر فى البيت الضمير العائد على المشبه وهو الضمير المضاف إليه فى " غلالته " و " أزراره " ، ولكن ذكره - كما ترى - بوجه لا ينبئ عن التشبيه ، بل ينبئ بالاستعارة ، فقلل ذلك من حسنها ... أما إذا ذكر بوجه ينبئ بالتشبية كقولنا : محمد أسد ، ورأيت رجلا مثل الأسد ، وهذا رجل أسد ، فإن هذا يبطل الاستعارة على أرجح الأقوال ويعود بالكلام إلى التشبيه ...

هذا فى الاستعارة التصريحية ، أما فى المكنية ، فمن الواضح أنه يصرح فيها بلفظ المشبه ويسند إليه لازم المشبه به ...

ومما يقلل من حسن الاستعارة أيضا غموض وجه الشبه الجامع بين المستعار له والمستعار منه لأن الاستعارة مبنية على تناسى التشبيه ، فإذا أضيف إلى هذا التناسى غموض وجه الشبه ، تضاعف الخفاء ، وصارت الاستعارة ألغازا وتعمية ، أما التشبيه فيحسن فيه خفاء وجه الشبه - كما مر بك - لإمكان تقريبه بذكر المشبه ، أو إزالة الخفاء بذكر الوجه والتصريح به ....

فيجوز أن نقول : هذا الرجل كالأسد فى نتن الفم لزوال الخفاء بذكر وجه الشبه ... ولا يجوز ان نقول : رأيت أسدا ، ونريد رجلا أبخر نتن الفم . و نقول : "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة " ... ولا نقول : رأيت إبلا مائة لا أجد فيها راحلة ، ونريد رجالا كثيرين ليس بينهم إلا رجل واحد متميز بصفة الكمال ، وذلك لخفاء وجه الشبه فى الاستعارة ، وزوال هذا الخفاء بذكر المشبه فى التشبيه .

وإذا قوى وجه الشبه ووضح وضوحا تاما بين المشبه والمشبه به كتشبيه العلم بالنور فى البياض والإشراق ، وتشبيه الشبهة والبدعة بالظلام فى السواد ، فعندئذ تحسن الاستعارة ولا يحسن التشبيه لأنه يصبح كتشبيه الشئ بنفسه ... فيحسن أن نقول : " امتلأ قلبى نوراً " ونريد : علما ومعرفة ، و " صار فلان فى قلبه ظلمة " .

ونريد : شبهة وشكاً ولا يحسن أن نقول" امتلأ قلبى علما وإيمانا كالنور " وصار فى قلب فلان شك وشبهة كالظلمة ...

الاستعارة المعيبة : مما تقدم يتضح لنا أن حسن الاستعارة يتوقف على عدة أمور أهمها : حسن التشبيه الذى بنيت عليه ، وقرب وجه الشبه ووضوحه ، وألا يذكر فى الكلام ما يشم منه رائحة التشبيه ، فإن فقد أمر من هذه الأمور قلل فقدانه من حسن الاستعارة وروعتها ...

وقد حاول النقاد وضع ضوابط للاستعارة بحيث يعد الخروج عن تلك الضوابط عيبا وقبحا ، وأهم تلك الضوابط :

١- أن تكون هناك مناسبة فى العرف والعادة بين المستعار له والمستعار منه .

٢- أن يكون هناك وجه جامع بين المستعار له والمستعار منه ، وكلما قرب هذا الوجه حسنت الاستعارة ، وكلما بعد وغمض قلل ذلك من حسنها ، فإن اشتد غموض الوجه وبعد جدا عد ذلك عيبا ...

٣- مدى قبول النفس والأذواق للاستعارة أو نفورها منها ...

وتبعا لاختلاف العادات والأعراف ، واختلاف الأذواق التى تقبل الاستعارة أو ترفضها ، فقد اختلف العلماء والنقاد فى قبولها وردها ، وفى استحسانها وعيبها ، فما يرفضه أحدهم يقبله الآخر ، وما يعيبه هذا يستحسنه ذاك . وإليك نماذج متعددة يتضح لك من خلالها ما ذكرنا ...

يقول المتنبى متغزلا :

مسرة فى قلوب الطيب مَفْرَقها ... وحسرة فى قلوب البيض واليلب[1]

ويقول مادحا :

---

(١) البيض : السيوف . واليلب : الدروع تتخذ من الجلود .

تجمعت في فؤاده همم	ملء فؤاد الزمان إحداها

عاب النقاد عليه جعله للطيب والبيض واليلب قلوبا ، وللزمان فؤادا ، وقالوا : هذه استعارة لم تجر على وجه شبه قريب ولا بعيد ... وإنما تصح الاستعارة وتحسن إذا جرت على وجه من المناسبة ، وطرف من الشبه والمقاربة .

وقد قبل صاحب الوساطة هذه الاستعارات ، وأجاب بأن لما قاله المتنبى نظيرا فى أشعارهم ، كقول أبى رميله :

هم ساعد الدهر الذى يُتقى به	وما خير كف لا تنوء بساعد

وقول ابن أحمر :

ولهت عليه كل معصفة	هوجاء ليس لِلُبِّها زَبْرُ (١)

وقول الكميت :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره	على بطنه فعل الممعك بالرمل (٢)

فهؤلاء قد جعلوا للريح لبا ، وللدهر ساعدا وظهرا وبطنا و لم ينكر عليهم ، فكيف ينكر على المتنبى ما صنع ؟ ....

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره القاضى الجرجانى من الاستشهاد بتلك الأبيات ، وقياسه عليها قبوله الاستعارة فى بيتى المتنبى ، يمكن أن نضيف إليه أن الاستعارة فى الأبيات المذكورة من قبيل الاستعارة المكنية التى تبنى – غالبا – على التشخيص والتجسيد ونقل عناصر الطبيعة والمعنويات من عالمها إلى العالم الحى المتحرك بغض

(١) الزبر : أصله طى البئر وإذا طويت تماسكت واستحكمت وقد استعير هنا للريح والمراد : انحرافها وهبوبها وأنها لا تستقيم على مهب واحد فهى كالناقة الهوجاء وهى التى كأن بها هوجا من سرعتها.
(٢) الممعك : المتمرغ فى الرمل أو التراب .

النظر عن التدقيق ومحاولة التماس وجه شبه ، أو إدناء وتقريب المستعار له من المستعار منه ...

ومن ذلك قول امرئ القيس عن الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبه   وأرداف أعجازا وناء بكلكل

فقد استحسنه الآمدى وجعله من أجود الاستعارات ، لأن امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره وترادف أعجازه ، فلما جعل له وسطا ممتدا وصدراً ثقيلا وأعجازا مرادفة لوسطه ، استعار له اسم " الصلب " ، وجعله متمطيا من أجل امتداده ، واسم " الكلكل " وجعله نائيا لتثاقله ، واسم " العجز " من أجل نهوضه ... وما استحسنه الآمدى جعله ابن سنان وسطا ، فذكر أن بيت امرئ القيس ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هو الوسط بينهما ، لأنها استعارات مبنية على بعضها ، وإنما تحمد الاستعارة وتستجاد إذا كانت غنية بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها.. وقد رد ضياء الدين بن الأثير رأى ابن سنان ورفض تعليله ونقضه ، فذكر أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من أبعد الاستعارات وأجودها طالما وجدت المناسبة المطلوبة ، وقد ورد ذلك فى النظم الكريم . انظر فى قوله تعالى : ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾(1) ، فهذه ثلاثة مجازات ينبنى بعضها على بعض ، الأول : التعبير بالقرية عن الأهل مجازا مرسلا علاقته المحلية ، والثانى: استعارة الذوق للإصابة ، والثالث : استعارة اللباس لما أحاط بهم وعلا وجوهم من صفرة وهزال، وقد وجد بينها التناسب التام كما لا يخفى ...

ويعيب أبو هلال العسكرى ويستقبح الاستعارة فى قول الحطيئة :

---

(1) سورة النحل آية ١١٢.

سقوا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافره[1]

وفى قول مزرد :

فما رقد الولدان حتى رأيته على البَكْر يَمْرِيه بساق وحافر[2]

ولعل سبب عيبه واستقباحه يرجع إلى إطلاق لفظ " المشفر " ، الخاص بالبعير على شفة الإنسان ، ولفظ " الحافر" ، الخاص بذوات الأربع على قدم الإنسان ، دون أن يكون لهذا الإطلاق غرض أو فائدة ...

ولكن عبد القاهر يخالف العسكزى فى ذلك ، على نحو ما مر بنا فى المجاز المرسل الذى علاقته " الإطلاق والتقييد " حيث يرى أنه خال من الفائدة ، إذ يطلق المقيد عن قيده ويقيد بقيد آخر كاستعمال المرسن الموضوع للدلالة على " أنف البعير " فى الدلالة على أنف الإنسان فى قول رؤبة :

ومقلة وحاجبا مزججا وفاحما ومرسنا مسرجا

ولكنه قد يتحول إلى مجاز مفيد وعندئذ يخرج من دائرة المجاز المرسل إلى دائرة الاستعارة كما فى بيتى الحطيئة ومزرد ، فالحطيئة أراد أن يصف نفسه بسوء الحال وقبح المآل الذى آل إليه بمعاشرة الزبرقان بن بدر ، فاستعار من أجل هذا مشفرى البعير لشفتيه تهكما بالزبرقان الذى أضاع ضيفه ، وإذا رجعنا إلى شعر الحطيئة وجدنا أن ذمه وتقبيحه لنفسه ليس بمستبعد عليه ... وكذلك لا يستبعد عبد القاهر أن يكون مزرد أراد باستعارة الحافر للقدم أن يصف ضيفه بسوء الحال فى مسيره وتقاذف نواحى الأرض به . وأن يبالغ فى شدة حرصه على تحريك بكره واستخراج كل طاقته ومجهوده ... ونظير ذلك قول الفرزدق فى الهجاء :

(١) العيمان : شديد العطش إلى اللبن .

(٢) البكر : الفتى من الإبل ، ويمريه : يستخرج ما عنده من الجرى .

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجي غليظ المشافر

وقول الآخر :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى ملك أظلافه لم تشقق

وقول الله عز وجل : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾(١) ، فقد استعيرت المشافر للشفاه ، والأظلاف للأظافر والخرطوم للأنف بهدف الذم والتقبيح على نحو ما رأينا في المجاز المرسل ...

وعاب كثير من النقاد قول أبي تمام .

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

وقوله :

لم تسق بعد الهوى ماء أقل قذى من ماء قافية يسقيكه فهم

حيث جعل لكل من " الملام " و " القافية " ماء على سبيل الاستعارة المكنية ، وهو مما لا يستساغ ، لأن للاستعارة حدا تصلح فيه فإذا جاوزته فسدت وقبحت ، وليست الاستعارة في البيتين كقولهم : هذا ثوب له ماء ... ولفظ له ماء .. وفلان حلو الكلام ... وعذب المنطق ... وحلو المنظر ، لأنهم لم يجعلوا الماء مشروبا بالاستعارة كما في البيتين و لم يريدوا حلاوته على اللسان ولا عذوبته في الفم ، بل يريدون عذبا في النفوس وحلواً في القلوب والأعين ... .

ويرى الآمدي أن الاستعارة في البيتين مقبولة ومستساغة ، ويوضح ذلك بأن الشاعر قصد إلى المشاكلة بين الماءين : " ماء أقل قذى وماء قافية " ... و " ماء الملام

(١) سورة القلم آية ١٦.

وماء البكاء " ... على نحو قوله عز وجل : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾[1] ، فقد أطلقت السيئة الثانية على المجازاة والعقاب من باب المشاكلة . كما أنه يجوز أن يسقى القول وأن يشرب الكلام على سبيل الاستعارة فلا يكون ذلك شربا بالفم ، بل بالنفس والقلب وعندئذ نكون قد استعرنا السقى والشرب لقبول النفس واستساغتها أو عدم استساغتها على حد قولهم : أغلظت لفلان القول وجرعته منه كأسامرة ، وسقيته منه أمر من العلقم.

ومن الاستعارات التى اتفق كثير من النقاد على عيبها ورفضها ، قول أبى تمام :

فضربت الشتاء فى أخدعيه   ضربة غادرته عَوْداً رَكُوبا[2]

ذ

وقوله :

يادهر قوم من أخدعيك فقد   أضججت هذا الآنام من خُرُقِك

فقد جعل لكل من " الشتاء " و " الدهر " أخدعين وهو مما لا يستساغ ولا تقبله الأذواق ... وكذا جعله للمعروف كبدا فى قوله :

إلى ملك فى أيكة المجد لم يزل   على كبد المعروف من نيله برد

وجعله للعرض كعبا وللمال خدا فى قوله :

بلوناك أماكعب عرضك فى   فعال ولكن خد مالك أسفل

العلا

وجعل ذى الرمة للدجى يافوخا فى قوله :

تيممن يا فوخ الدجى فصدعنه   وجوز الفلاصدع السيوف

للقواطع

وجعل العباس بن الأحنف للدمع أعجازا وللدم أعناقا فى قوله :

---

(١) سورة الشورى آية ٤٠.

(٢) عوداً : الجمل المسن ... والأخدعان : عرقان فى العنق.

ولى جفون جفاها النوم فاتصلت   أعجاز دمع بأعناق الدم السرب

وجعل الرضى للزمان عرنينا فى قوله :

ملك سما حتى تحلق فى العلا   وأذل عرنين الزمان السامى [1]

وجعل تأبط شرا للموت أنفا ومنخرا رثيما أى : داميا فى قوله :

نحز رقابهم حتى صدعنا   وأنف الموت منخره رثيم

وجعل أبى نواس للمال رجلا و صوتا قدبح فى قوله :

ما لرجل المال أمست   تشتكي منك الكلالا

وقوله :

بح صوت المال مما   منك يشكو ويصيح

ومراده من ذلك أن المال يتظلم من إهانته إياه بالإضاعة وكثرة الإنفاق ، فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح .. والجيد فى هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

تظلم المال والأعداء من يده   لا زال للمال والأعداء ظلاما

ومن الملاحظ فى هذه الشواهد ، أن الاستعارة فيها من قبيل الاستعارة المكنية ، وأن ما عابه النقاد واستقبحوه هو الاستعارة التخييلية أى : إثبات لازم المشبه به للمشبه ، وكأنهم رأوا فى هذا الإثبات خروجا عن المألوف والمعهود الذى اعتاده العرب ، فقد اعتادوا جعل الدهر إنسانا ، ووصفوه بالوفاء والغدر ، وجعلوا له ساعداً ، وألفوا جعل المنية سبعا ، وتخيلوا لها أظفاراً ... ولكنهم لم يجعلوا للدهر أخدعا و لم يتكلموا عن استه ، و لم يجعلوا للمعروف كبدا ولا للدجى يافوخا ، ولا للعرض كعبا ولا للمال رجلا ... وقد أدرك النقاد ذلك

(١) العرنين : الأنف أو ما صلب منه ...

فـأرادوا ألا يشـتط الأدبـاء فـــى تصوراتهـــم وتخيلهـــم ، ويتجـــاوزا حـــدود التصـــورات المألوفـة والمعهـودة لـدى العـرب ...

ولا يعنى ذلك أن ما عابه النقاد مقصور على الاستعارات المكنيـة ، بـل تجاوزهـا إلى الاستعارات التصريحية إذا ما جاءت مجافية للأذواق السليمة والطبـاع القويمـة ونفـرت عنها النفوس الزكية .

ومن ذلك قول زيد بن مفرغ يهجو عبيدا لله بن زياد :

ويـوم فتحـت سـيفك مـن بعيـد أضعـت وكـل أمـرك للضيـاع

فقد عاب النقاد استعارة " الفتح " لسل السيف ...

ومنه ما ورد أن المهلب قال لرجل من الأزد : متـى أنـت ؟ قـال : " أكلـت مـن حياة رسول الله صلى عليه عليه وسلم سنتين " فقال له : " أطعمك الله لحمك " ، فقـد عـاب عليـه استعارة الأكـل لـلإدراك ، لأنهـا استعارة تنفـر منهـا النفـوس ولا تقبلهـا الأذواق...

الفصل الثالث

الكنــــاية

الكناية فى اللغة أن تتكلم بالشئ وتريد غيره ، يقال : كنيت بكـذا عـن كـذا إذا تركت التصريح به ، فبابه : كنى يكنى كرمى يرمى ، وقد ورد : كنا يكنوا كدعا يدعـو ... أنشد الجوهرى .

وإنـى لأكنـو عـن قـدور بغيرهـا وأعـربُ أحيانـا بهـا وأصـــارح[1]

أما المصدر فهو : " كناية " ، و لم يسمع " كناوة " ، ولذا فإن " كنيت " أفصـح من " كنوت " ...

والكناية فى اصطلاح علماء البيان : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مـع جـواز إرادة المعنى الأصلى...

فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذى يريـد التحـدث عنـه ويلجـأ إلى لفـظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذى يريده فيعبر به عنه ...

يقول عبد القاهر : " الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى ، فلا يذكـره باللفظ الموضوع له فى اللغه ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه "[2] ... وليس هنالك ما يمنع من إرادة المعنى الأصلى للفـظ مـع المعنى الكنائى المراد ... مثـال ذلـك قولهـم : " هـو طويـل النجـاد "[3] يريـدون : طويـل القامة، " وكثير رماد القدر " ، يريدون : كثير القرى " وهى نئـوم الضحـى " ، يريـدون أنها مخدومة مترفة ، وقولنا : " قابلت فلانـا فلـوى عنقـه " ، أى : أعـرض ، " وواجهتـه بالحق فاحمر وجه ، أى : أصابه الخجل ... ففى هذه الأمثلة ، أطلق لفظ الملزوم ، وأريـد

---

(١) قدور : اسم امرأة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٥.

(٣) النجاد : حمالة السيف .

به لازمه ، فطول النجاد يستلزم طول القامة ويدل عليها ، وكثرة الرماد ، تستلزم كثرة الطهى وكثرة الطهى تستلزم كثرة القرى وتدل على الكرم ، وكثرة النوم فى الضحى تستلزم الترف والرفاهية ، ولى العنق يستلزم الإعراض ويدل عليه ، وحمرة الوجه عند المواجهة تستلزم الخجل .. وإرادة اللازم فى هذه الأمثلة لا يمتنع معها إرادة الملزوم وحصوله ، فطول القامة لا يمتنع معه طول النجاد وإرادة الكرم والضيافة لا يمتنع معهما كثرة الرماد وكون المرأة مترفة مخدومة لا يمتنع معه نومها حتى الضحى ، ولى العنق لاتمتنع إرادته مع الإعراض ، وكذا حمرة الوجه يجوز إراداتها مع إرادة الخجل ...

علاقة الكناية : واستخدام اللفظ فى غير معناه الذى وضع له لا يتم إلا عند وجود علاقة تربط بين المعنيين : المعنى الكنائى الذى استخدم فيه اللفظ ، والمعنى الأصلى الذى كنى به ، كما هو الحال فى المجاز ، والعلاقة هنا فى الكناية هى علاقه الردف والتبعية ، أو بمعنى آخر التلازم بين المعنى الذى يدل عليه ظاهر اللفظ و المعنى المراد منه ففى قول الله عز وجل : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴾[1] ، عبر عن الشعور بالتحسر والندم على ما فات ، بالعض على اليدين، وكذا فى قوله تعالى : ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا**﴾[2]، عبر عن نفس المعنى وهو " الندم والتحسر " بتقليب الإنسان كفيه .. والعلاقة بين " الندم والتحسر " وبين " عض اليدين " أو " تقليب الكفين " هى التلازم الذى يرجع إلى ما عرف عن الإنسان وطباعه ؛ فقد عرف عنه أنه إذا ندم عض على يديه أو قلب كفيه متحسراً على ما فات ، كما أن من طباعه ، حمرة الوجه عند الخجل ، وتقطيبه عند الغضب.

وفى قول الشاعر :

يذكون نار القرى فى كل شاهقة ... يلقى بها المندل الهندى محطوما[3]

(١) سورة الفرقان آية ٢٧.
(٢) سورة الكهف آية ٤٢.
(٣) المندل الهندى : عود طيب الرائحة يستجلب من الهند ... والمحطوم : المكسر.

كنى عن الكرم بإذكاء النيران فى الأماكن العالية لإرشاد الضيوف ، والعلاقة بين المعنيين : التلازم الذى يرجع إلى ما عرف عن العرب ، فمن عاداتهم ، إيقاد النيران فى الأماكن المرتفعة يرشدون بها القادم إليهم .. وفى قول المتنبى يمدح سيف الدولة ويشيد بشجاعته :

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

ومن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم خضاب

كنى عن ثراء العدو وسيادته قبل أن يلقاه سيف الدولة ، بأنه يفترش الحرير " وبسطهم حرير " ، وكنى عن إذلاله وخضوعه ، بقوله : " وبسطهم تراب" ، كما كنى عن الرجل فى البيت الثانى بقوله : " ومن فى كفه منهم قناة " ، وعن المرأة بقوله : " من فى كفه منهم خضاب " ، والعلاقة بين المكنى به والمكنى عنه : التلازم الذى يرجع فى البيت الأول إلى العرف والعادات والتقاليد ، فمن عادة الثرى أن يفترش الحرير ومن عادة الذليل أن يفترش التراب ... ويرجع فى البيت الثانى بالإضافة إلى العرف والعادات إلى خصوصيات الأفعال ، فحمل السلاح يختص بالرجل ، وخضاب الكف يختص بالمرأة ... وبهذا يتضح لنا أن التلازم القائم بين المعنيين : المكنى به والمكنى عنه . يرجع فى الغالب إلى العرف الذى تعارف عليه القوم ، وإلى طباع الإنسان والحيوان وطبائع الأشياء الأخرى . وإلى خصائص الأفعال ، ثم إلى عادات العرب وتقاليدهم التى ألفوها ...

ما الفرق بين الكناية والمجاز ؟ ... ويختلف أسلوب المجاز عن أسلوب الكناية فى أن أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى للفظ ، فقولنا : " عجبت من الجيفة كيف يطغى " مجاز مرسل علاقته : اعتبار ما سيئول إليه الإنسان بعد موته حيث أطلق لفظ " الجيفة " وأريد بها الإنسان الحى ، والقرينة أن الجيفة يستحيل أن تطغى ، وتلك القرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى للجيفة .. وكذلك الاستعارة فى قوله تعالى : ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ**﴾[1] ... وفى قوله عز

(١) سورة الحاقة الآية ١١.

وجل : ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾(١) القرينة فيهما تمنع إرادة المعنى الأصلى " للطغيان " وتمنع إرادة المعنى الحقيقى للذل ... أما القرينة فى أسلوب الكناية فإنها لا تمنع إرادة المعنى الأصلى للفظ ففى الشواهد المتقدمة لا تمنع القرينة من أن يعض الظالم المتندم على يديه يوم القيامة وأن يقلب صاحب الجنة التى صارت خاوية كفيه حال ندمه ... وأن تجتمع الحمرة والخجل ، وكثرة الرماد والكرم ... إلا إذا عرض عارض خارجى يمنع إرادة المعنى الأصلى فى الكناية فعندئذ يمتنع إرادته بسبب هذا العارض. كما فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٢) ، وذلك على القول بأن الكاف أصليه وأن الآية تفيد نفى المثلية عن الله عز وجل بطريقة الكناية ، إذ نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل ، ويمتنع فى الآية إرادة المعنى الأصلى ، وهذا الامتناع ليس بسبب القرينة ، بل بسبب عارض خارجى وهو إفادة ثبوت المثل لله عز وجل وذلك محال... ويجوز جعل " الكاف" صلة " زائدة " فلا يكون فى الآية كناية عندئذ .

أقسام الكناية : وتنقسم الكناية باعتبار المعنى المكنى عنه وهو المعنى المراد إلى ثلاثة أقسام :

١- كناية عن موصوف ... وذلك بأن يذكر فى الكلام صفة أو عدة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين ، ويقصد بذكرها الدلالة على هذا الموصوف كما فى قوله عز وجل : ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِى الحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(٣) . حيث كنى عن المرأة بصفتين تختصان بها اختصاصا بينا وهما التنشئة فى الحلية وعدم الإبانة فى الخصام...

وكقول المتنبى فى الكناية عن المرأة وعن الرجل :

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤.
(٢) سورة الشورى الآية ١١.
(٣) سورة الزخرف آية ١١.

ومـن فـى كفـه منهـم قنـــاة كمـن فـى كفـه منهـم خضـاب

فحمل القناة من خصائص الرجل وخضاب الكف من خصائص المرأة .

وقول عمرو بن معد يكرب :

الضـاربين بكـل أبيـض مخـذم والطـاعنين مجـامع الأضغـان(١)

كنى بمجامع الأضغان عن القلب ويكنـى عنه أيضاً بمواطن الأسرار ، وبمكان اللب ، ومكان الحقد ومكان الرعب .. انظر إلى قول أبى نواس يصف الخمر :

فلمـا شـربنا ودب دبيبهـا إلى موطن الأسرار قلـت لها قفـى

وقول البحترى فى وصف طعنة أصاب بها ذئبا :

فأتبعتهـا أخـرى فـأضلك نصلهـا

بحيـث يكـون اللـب والرعـب والحقـد(٢)

ومن ذلك قولهم فى الكناية عن الخمر " أم المصائب " لشهرة الخمر عنـد العقـلاء بجلب المصائب وتوليد الكوارث ... وفى الكنايـة عـن النسـاء " ذوات الخلاخـل " وفـى الكناية عن الدينار : "الأصفر الرنان" . وفى الكناية عن الصدر : " موطـن الحلـم " وعـن اللغة العربية بأنها " لغة الضاد" يقول شوقى :

إن الـذى مـلأ اللغـات محاسـنا جعـل الجمـال وسـره فـى الضـاد

وقولهم فى الكناية عن السفينة : " ابنة اليم " لملازمنها ماء البحـر .. كمـا يكنـى عنها بذات الألواح والدسر ، قال عز وجل : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾(٣)، كنى عن السفينة بذات الألواح والدسر ... ونلاحظ فى الشـواهد والأمثلـة المذكـورة أن

---

(١) المخذم : القاطع من السيف ... والأضغان : جمع ضغن وهو الحقد ...

(٢) أضللت : غيبت ... والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٣) سورة القمر : الآية ١٣.

الصفة أو الصفات التى صرح بها لها مزيد اختصاص بالموصوف الذى كنى بها عنه ولازمة لمعناه ، وواضحة الدلالة عليه ولذا ساغ الكناية بها عنه ...

٢- كناية عن صفة : وذلك بأن يذكر فى الكلام صفة أو عدة صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط ، بحيث ينتقل الذهن بإدراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكنى عنها المرادة .. كما فى قولهم : " فلان طاهر الذيل ، ونقى الثوب " ، كناية عن العفاف والطهر ، فطهارة الذيل ونقاء الثوب ، صفتان يلازمهما عادة صفة العفاف وصفة الطهر ... وقولهم : " فلان شب عن الطوق " ، كناية عن اجتيازه مرحلة الطفولة إلى مرحلة اليفاعة والشباب ، فالشب عن الطوق صفة تلازمها عادة صفة اجتياز مرحلة الطفولة .. وكذا قولهم : " ضرب فلان كفا بكف " كناية عن الندم والتحسر و" أصبح فلان يمشى على عكاز " كناية عن ضعفه وكبر سنه و " فلان كثير الرماد ... وجبان الكلب ... ومهزول الفصيل " كناية عن الكرم والجود و" فلان طويل النجاد " كناية عن طول القامة " و " قطب وجهه وانتفخت أوداجه " كناية عن الغضب و "احمر وجهه " كناية عن الخجل و" حدثنى بلغة المدفع " كناية عن القوة " " ونظر إلى الدنيا بمنظار أسود " كناية عن التشاؤم و " فلان ناعم الأظفار " كناية عن قلة الخبرة والتجربة ... ومن شواهدها فى النظم الكريم قوله تعالى :﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً**﴾(١) ، كنى عن صفتى التكبر والفخر بتصعير الخد والمرح فى الأرض لما بين الصفتين المذكورتين والمكنى عنهما من تلازم وارتباط .. وقوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا**﴾(٢) ، كنى عن ندمهم على ما فعلوه من عبادة العجل بالسقوط فى الأيدى وهو عض الأصابع ، لأن هذا من شأن النادم عند شعوره بخطئه ، وتلاحظ مدى دقة النظم الكريم فى التعبير عن شدة الندم ، فالرءوس هى التى سقطت على الأيدى لتعض الأصابع والشأن فى ذلك أن الأصابع هى التى ترتفع إلى الأفواه ..

---

(١) سورة لقمان آية ١٨.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٩.

وفى هذا إنباء بشدة شعورهم بالندم فقد خارت قواهم ومالت رؤوسهم وهوت .. ونظير الآية فى التعبير عن الندم قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[1] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ...﴾[2].

واقرأ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾[3] . نجد فى الآية كنايتين ، الأولى كناية عن موصوف فى قوله : (ذات الشوكة) فقد كنى به عن الحرب والنفير ، والثانية كناية عن صفة فى قوله (.ويقطع دابر الكافرين) فقد كنى به عن صفة الاستئصال والإبادة..

ومن شواهد الكناية عن صفة فى أشعارهم قول الحماسى فى الكناية عن ضخامة الأرداف وعظم الثدى وضمور الخصر والبطن :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس الظهور وأن تمس بطونا

وقول المتنبى فى الكناية عن صفتى " العز والسيادة " و " الفقر والحاجة " :

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

وقول الآخر فى الكناية عن صفة الكرم :

وما يك فى من عيب فإنى جبان الكلب مهزول الفصيل[4]

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٧.
(٢) سورة الكهف آية ٤٢.
(٣) سورة الأنفال آية ٧.
(٤) الفصيل : ولد الناقة ، وهزاله بحرمانه من لبنها لنحرها للضيوف أو إطعامهم لبنها وإيثارهم به..

وقول عمر بن أبى ربيعة فى الكناية عن طول الجيد :

بعيدة مهوى القـرط إمـا لنوفـل   أبوها وإما عبد شمس وهاشم[1]

وقول النابغة الذبيانى فى مدح الغساسنة :

رِقـاق النعـال طيّـب حُجُزاتهــم   يُحيَّون بالريحان يـوم السباسـب[2]

ففى البيت ثلاث كنايات ، الأولى : الكناية عن الـترف والسيادة برقـة النعـال ، فهم لا يمشون حتى يخصفوا تعالهم ويجعلوها سميكة ، وإنما يركبون الخيل ، ويلزم من ذلك الـترف والسيادة ، والثانيـة : الكنايـة بطيـب حجزاتهـم عـن صفـــة العفـــة والطهـــارة ، والثالثة : الكناية عن رقة أمزجتهم وحسن أذواقهم ومحافظتهم على التقاليد المرعية ، بقوله : " يحيون بالريحان يوم السباسب" ...

وقول طرفة بن العبد فى الكناية بصغر الرأس عن الذكاء :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه   خشـاش كـرأس الحيـة المتوقـد[3]

فهم يكنون بصغر الرأس عن الذكاء كما يكنون بعظمها وضخامتهـا عـن الغبـاء والبلادة ، وبعرض القفا عن صفة البله ..

٣- كناية عن نسبة : وذلك بأن يريـد المتكلـم إثبـات صفـة لموصـوف معـين أو نفيهـا عنـه ، فيـترك إثبـات هـذه الصفـة لموصوفهـا ، ويثبتهـا لشئ آخـر شـديد الصلـة ووثيق الارتباط به ، فيكون ثبوتها لما يتصل به دليلا على ثبوتها لـه .. كقولهـم فـى مقـام

---

(١) القرط : ما تتزين به المرأة بلبسه فى الأذن ومهواه : المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف .

(٢) حجزة الإزار : موضع شده من الوسط ، والريحان : الزهر الطيب الرائحة ، والسباسب : يوم عيد عند النصارى يسمى يوم الشعانين وكان الغساسنة يدينون بالنصرانية.

(٣) الضرب : الخفيف اللحم ..والخشاس : الصغير الرأس ، والمتوقد : سريع الحركة .

المدح :" المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه " أرادوا نسبة المجد والكرم له ، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه ، ليفهم المخاطب إثباتهما للممدوح ، إذ ليس بين البردين أو الثوبين سواه ، فالتعبير كناية عن نسبة المجد والكرم إلى الممدوح...

ومن ذلك قول زياد الأعجم :

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج[1]

كنى عن نسبة هذه الصفات إلى ابن الحشرج بجعلها في قبة مضروبة عليه ، لأنه إذا أثبت الشئ في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له ، وذلك لاستحالة قيام الوصف بنفسه ووجوب قيامه بموصوف صالح للاتصاف به ...

وقول أبي نواس :

فما جازه جود ولاحل دونه ... ولكن يسير الجود حيث يسير

كنى عن نسبة الجود إلى الممدوح بإثباته للمكان الذى يوجد به ويحل فيه ، فلا يتجاوزه ولا يحل دونه ... ويلاحظ ما فى البيت من خيال بديع ، حيث صور لنا الجود فى صورة حى متحرك يسير لسير الممدوح ، ويسكن لسكونه ...

وقول الآخر يمدح ابن العميد :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده ... عقد مساعى ابن العميد نظامه[2]

صور المجد غادة حسناء ، قد تحلى جيدها بعقد ، حباته مساعى ابن العميد وهو يدعو الله أن يدوم هذا العقد ويبقى فى جيده ... فكنى عن نسبة المجد وثبوته لابن

---

(١) القبة : ما كانت فوق الخيمة فى العظم والاتساع وهى خاصة بالرؤساء والسادة . وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور...

(٢) المساعى : المكارم مفردها : مسعاة ونظام العقد : ما به يكون منتظما ...

العميد: بكون مساعيه حبات قد انتظم بها عقد المجد ، وكنى عن الدعاء بدوام بقاء ابن العميد ، بدعاء المجد أن يدوم العقد ويبقى فى جيده.. ومنها قولهم : العرب لا تخفر الذمم يريدون نفى ذلك عن العربى ، لأنه إذا نفى عن العرب نقض العهد ، فقد نفى عنه إذ هو واحد منهم . وقولهم : " أيفعت لِدَاتُهُ وبلغت أترابه " ، كنوا عن نسبة اليفاعة والبلوغ إليه بنسبتهما إلى أقرانه ونظرائه ..

وقولهم : " مثلك لا يبخل " ، كنوا عن نفى البخل عنه وتأكيد هذا النفى بنفيه عن نظيره المشارك له فى أخص صفاته ، لأن نفى البخل عن هذا المماثل يستلزم تأكيد نفيه عن المخاطب .. ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] ، على أن الكاف أصلية ، فقد كنى عن نفى وجود المثل لله عز وجل بنفى وجود مثل المثل ، لأن نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل .

ومنها قول الشنفرى :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

ففى البيت أربع كنايات ، أولاها عن صفة العفة وقد كنى عنها بالنجاة من اللوم إذ النجاة من اللوم تستلزم النجاة من موجباته ، كالزنا والفواحش ، وذلك يستلزم العفة . والثانية : عن نفى العفة فى الشطر الثانى وكنى عن ذلك بحلول الملامة ، والثالثة : عن نسبة العفة إلى فتاته ، وقد كنى عنها بنسبتها إلى بيتها . والرابعة : عن نفى العفة عن أصحاب تلك البيوت بنفيها عن بيوتهم ... ففى كل شطر من شطرى البيت كنايتان قد جعلت إحداهما طرفا للثانية ، النجاة من اللوم طرف لإثبات النجاة منه إلى البيت المستلزم إثبات العفة ، وحلول الملامة طرف لإثبات الحلول إلى البيوت المستلزم نفى العفة عنها ، ونظير ذلك وهو اجتماع كنايتين فى جملة واحدة قولنا : "كثر الرماد فى ساحة عمرو" فكثرة الرماد كناية عن صفة الكرم ،وإثبات الكرم فى ساحة عمرو -المعبرعنه بكثرة

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

الرمـاد - كنايـة عـن نسـبة الكـرم إليـه ، فقـد اجتمعـت كنايتـات فـي جملـة واحدة ، وجعلت إحداهما وهى كثرة الرماد طرفا للثانية وهى إثبات كـثرة الرمـاد فـى ساحة عمرو... وما من شك في أن وجود نوعين من الكناية فى جملـة واحـدة مما يزيـد الكلام حسنا ويضفى عليه جمالا.

الكناية القريبة والكناية البعيـدة : وتنقسـم الكنايـة باعتبـار القـرب والبعـد بـين المعنيين : المكنى عنه والمكنى به إلى قسمين : قريبة وبعيدة .

فالكناية القريبة : هى ما تقارب فيهـا المعنيـان بحيـث يكـون الانتقـال مـن المعنى المكنى به إلى المعنى المكنى عنه بلا واسطة ، كالانتقال من عض الإصبع أو تقليب الكفـين إلى الندم ، ومن طول النجاد إلى طول القامة ، ومن بعد مهوى القـرط إلى طـول الجيـد ، ومن التنشئه فى الحلية إلى المرأة فى قوله عز وجل : ﴿**أوَ مَنْ يُنَشَّـأُ فِـى الحِلْيَـةِ وَهُـوَ فِـى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾[1]. وكالانتقال من منع الروادف والثـدى قميـص المـرأة مـن أن يمـس ظهرها وبطنها إلى ضخامة الأرداف وعظم الثدى فى قول الحماسى :

أبت الروادف والثدى لقمصهـا … مـس الظهـور وأن تمـس بطونـا

وكالانتقال من كـون السـماحة والمـروءة والنـدى فـى قبـة مضروبـة علـى ابـن الحشرج إلى نسبة هذه الصفات إليه فى قول زيادة الأعجم :

إن السـماحة والمروءة والنـدى … فى قبة ضربت على ابن الحشـرج

وهذه الكناية القريبة ، قد تكون واضحة لا تحتاج فى إدراكها إلى نظر وتفكـر ، كما فى الشواهد المذكورة ، وقد تكون خفيـة تحتـاج فـى إدراكهـا إلى شيئ مـن التـأمل والنظر ، لكون التلازم بين المعنيين المكنى به والمكنى عنـه مبنيـا علـى عـرف لم يبلـغ حـد الشهرة العامة .. وذلك كالانتقال من عرض القفا إلى صفة البلـه ، فـإن تجـاوز الحـد فـى

---

(١) سورة الزخرف آية ١٨.

عرض القفا من لوازم البله ، وكالانتقال من ضخامة الرأس إلى الغباء ، ومن صغرها إلى الذكاء ... وكالانتقال من أداء التحية بالريحان يوم السباسب إلى رقة الأمزجة وحسن الذوق والمحافظة على التقاليد فى قول النابغة يمدح الغساسنة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

أما الانتقال من رقة النعال إلى الترف والسيادة ، ومن طيب الحجزات إلى العفة، فمن الكناية البعيدة لاحتياج هذا الانتقال إلى وسائط ، فرقة النعال تستلزم عدم المشى بها، وعدم مشيهم بها ، يستلزم ركوب الخيل ، وركوبهم الخيل ، يستلزم الشرف والسيادة وطييب الحجزات يستلزم ابتعادهم عن الفواحش والموبقات وابتعادهم عنها يستلزم العفة " ... فهما كنايتان بعيدتان .

الكناية البعيدة : فالكناية البعيده هى ما تباعد فيها المعنيان بحيث يصير الانتقال من المعنى المكنى به إلى المعنى المكنى عنه لا يتم إلا بواسطة أو بعدة وسائط ، كالكنايتان المذكورتان فى الشطر الأول من بيت النابغة السابق .. وكالانتقال من النجاة من اللوم إلى العفة بواسطة النجاة من موجبات اللوم ، أى الابتعاد عن الفواحش والموبقات فى قول الشنفرى :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

فالنجاة من اللوم تستلزم النجاة من موجباته والنجاة من موجباته تستلزم العفة... وكالانتقال من كثرة الرماد إلى صفة الكرم فى قولنا : فلان كثير الرماد : إذ ينتقل من كثرة الرماد إلى صفة الكرم بعدة وسائط ، فكثرة الرماد تستلزم كثرة إيقاد النار تحت القدور ، وتلك تستلزم كثرة الطبخ ، وهذه تستلزم كثرة الأكلة ، وكثرتهم تستلزم كثرة الضيوف ، وهذا دليل الكرم .

ومن الكنايات البعيدة عن صفة الكرم قول الشاعر :

وما بك فى من عيب فإنى　　جبان الكلب مهزول الفصيل

فقد انتقل من جبن الكلب إلى الكرم بوسائط عدة ، إذ جبن الكلب عن النباح يستلزم استمرار تأدبه ، وهذا يستلزم دوام مشاهدته وجوها غريبة فى بيت صاحبه ، وذلك يدل على أن صاحبه مقصد الدانى والقاصى ، وهذا يدل على اتصافه بالجود والكرم وكذا ينتقل من هزال الفصيل إلى الكرم بعدة وسائط ، فهزاله دليل على فقد أمه أو فقد لبنها ، وهذا دليل على نحرها للضيوف أو إيثارهم بلبنها وذلك دليل الكرم والجود...

وقول نصيب فى مدح عبد العزيز بن مروان :

لعبد العزيز على قومه　　وغيرهم منن ظاهرة

فبابك أسهل أبوابهم　　ودارك مأهولة عامرة

وكلبك آنس بالزائرين　　من الأم بالابنة الزائرة [١]

فأنس الكلب بالزائرين دليل على أنه يعرفهم لكثرة ترددهم على الدار وإقامتهم فيها لقضاء حوائجهم وهذا يدل على كرم صاحبه وكثرة إحسانه .. وفى جعل أبوابه أسهل أبواب القوم ، وداره مأهولة عامرة كنايتان أيضا عن الكرم ، فسهولة الأبواب تستلزم أنها مقصد الكثيرين ، وعمارة الدار تستلزم كثرة المترددين ، فالبعض يذهب والبعض يأتى والدار تظل عامرة بهم ، وهذا دليل الكرم وكثرة الجود . وفى قوله "مأهولة" إيحاء بكثرة الكرم وحسن الضيافة لدلالتها على أن من يحل بالدار يصير أهلا لها فلا يشعر بغربة ولا جفوة ...

ونظير قول نصب ، قول ابن هرمة فى أنس الكب بالضيوف :

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا　　يكلمه من حبه وهو أعجم [٢]

(١) المنن : النعم مفردها منة ... ومأهولة : أى فيها أهلها .

(٢)أعجم : لا يتكلم .... والضمير فى يكاد يعود إلى الكلب فى الأبيات المتقدمة .

فقد بالغ فى أنسه بالضيوف وجعله يكاد ينطق فيرحب بهم وذلك من فرط حبه الناجم عن كثرة مشاهدته للضيوف حتى ألفهم .

ونلاحظ مدى التفاوت فى الدلالة على الكرم باستخدام الكلب واستغلال ما عرف عن طباعة وخصوصياته ، فقد عرف عنه أنه ينبح عند مشاهدة الغريب ويطارده بنباحه ، فإذا ما كف عن النباح وجبن أمام الغرباء دل هذا على كرم صاحبه ، وهذا ما نراه فى البيت الأول ، أما إذا ما تحول جبنه إلى إلفه الزائر وأنسه به ، فهذا يدل على المبالغة فى كرم صاحبه ، وهذا ما نراه فى أبيات نصيب ، أما كلب ابن هرمة فقد تحول أنسه إلى حب مفرط يكاد معه أن ينطق مرحبا بالضيف .

ومن الكناية البعيدة قول ابن هرمة فى الكناية عن الكرم أيضا.

لا أُمْتِـعُ العـوذَ بالفِصَـال ولا   أبتـاع إلا قريبـة الأجـل (١)

يريد أن يقول : إنه يذبح العوذ ولا يتركها تتمتع بفصالها ، أو أنه يذبح الفصال فيحرم العوذ من التمتع بها أو أنه يذبحهما معا قبل أن تتمتع العوذ بفصالها وذلك كى يقدم لحومها للضيوف .. كما أنه إذا ابتاع نوقا لا تبقى عنده طويلا ، إذ سرعان ما يذبحها ويقدمها طعاما لضيوفه .. ففى كل شطر من شطرى البيت كناية عن كرمه وجوده ، انتقل فى الشطر الأول من عدم إمتاع العوذ بالفصال إلى ذبحها أو ذبح فصالها أو ذبحهما معا ، ومن الذبح إلى تقديم لحمهما للضيوف ، وهذا يستلزم كثرة الضيوف وكثرتهم تدل على الكرم ... ومما يوحى بكثرة هؤلاء الضيوف ، إيثاره التعبير بلفظ الجمع : " عوذ " و " فصال " ، فهو لا يذبح فصيلا واحدا أو عائذا واحدة ، بل عوذا وفصالا عديدة ... وفى الشطر الثانى : انتقل من ابتياعه قريبة الأجل ، إلى أنه لا يبقيها حية بل يذبحها لضيوفه ، وهذا يستلزم كثرة ترددهم عليه الدالة على كرمه وسخائه .

ومنها قول المتنبى فى مدح سيف الدولة ، مكنيا عن شجاعته وكرمه :

---

(١) العوذ : جمع عائذ وهى الناقة حديثة النتاج ... والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

إلى كم تـرد الرسـل عمـا أتـوا لـه

كـأنهم فيمـا وهبـت مـلام[1]

كنى عن شجاعته ، برده رسل العدو ، لأنه يستلزم عدم اهتمامه بقوته ، وهذا دليل الشجاعة ، وكنى عن كرمه ، برده ملام اللائمين له فى كثرة هباته وعطاياه وهذا يستلزم حرصه على العطاء وهو دليل الجود والكرم.

ومنها قول الخنساء في صخر :

طويـل النجـاد رفيـع العمـاد   كثـير الرمـاد إذا ماشـتا

كنت بطول النجاد عن شجاعته ، لأن طول النجاد يستلزم طول القامة ، وطول القامة يستلزم الشجاعة عادة ، وكنت برفع العماد عن كونه سيداً عظيم القدر ، ورفيع المكانة فى قومه ، وبكثرة الرماد عن الكرم والجود ، وفى إيثارها وقت الشتاء دلالة على المبالغة في الكرم ، لأنه وقت تشتد فيه حاجة المحتاجين .

وقول الآخر فى الفخر بقومه :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا   ولكن على أقدامنـا تقطـر الدمـا[2]

كنى عن شجاعتهم وإقدامهم بنفى الدماء عن الأعقاب وإثباتها للأقدام ، . لأن ذلك يستلزم التقدم لملاقاة العدو ومواجهته والثبوت فى المعركة وعدم الفرار ، إذ الفار يتلقى ضربات العدو من الخلف فتدمى أعقابه ، والثابت المتقدم يتلاقاها من الأمام فتدمى قدمه ، وهذا دليل الشجاعة والجرأة ... وفى إيثار التعبير بكلمة " تقطر " فى الشطر

---

(١) الرسل : المراد بهم رسل الروم فى طلب الصلح .. وملام : مصدر : " لام " يقال : لام يلوم لوما، وملاما وملامة .

(٢) كلوم : جمع كلم وهو الجرح ... والدما : مخفف الدماء .

الثانى دون " تدمى " ، دلالة على قوتهم وتغلبهم على الأعداء فما يصيبهم ليس سوى جروح طفيفة تقطر قطرات يسيرة .

وقول امرئ القيس :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها

نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل[1]

فالبيت كناية عن حياة الترف والتنعم ، لأن نومها وقت الضحى ، وتعطير فراشها بالمسك الذى يبقى فيه حتى ذلك الوقت ، وعدم ارتدائها ملابس الخدمة كل هذا يستلزم أن لديها من يخدمها ويقضى حاجتها ويكفيها شئون بيتها ، وذلك دليل الترف والنعيم والرفاهية .

وقول أبى تمام :

فإن أنا لم يحمدك عنى صاغراً ... عدوك فاعلم أننى غير حامد[2]

كنى عن جودة شعره وبلوغه الغاية فى المديح ، بحفظ الأعداء له مكرهين حيث بهرتهم بلاغته ، وسحرهم جماله ، فحفظهم له وهم لا يحبون الثناء به على الممدوح يستلزم بلوغه فى البلاغة والحسن أبعد الغايات.

ومن لطيف الكنايات البعيدة قول الشاعر فى وصف الراعى :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له

عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا [3]

---

(١) تنتطق : ترتدى ملابس الخدمة ... تفضل : زيادة وعدم احتياج .

(٢) صاغرا : ذليلا ، اسم فاعل من الصغار وهو الذلة ، ويحمدك عنى : أى يحفظون مدحى فيك وينشدونه مرغمين .. وحامد : مادح

فقد كنى عن رقة الراعى ولينه المثمر فى إصلاح شأن ما يرعاه من إبل أو غنـم ، بضعـف العصـا ، لأن ضعـف العصـا يسـتلزم عـدم إرادة الإيـذاء ، وهـذا يسـتلزم الرفـق واللين .

وقول الآخر فى وصف الراعى أيضا :

صلب العصا بالضرب قد دماها تـود أن الله قـد أفناهـا [1]

كنى عن شدته المثمرة فى إصلاح شأن ما يرعـاه ، بصلابـة العصـا ، لأن صلابـة عصا الراعى ، تستلزم الشدة فى زجر ما يرعاه عما يضره ويؤذيه ، وهـذا يسـتلزم حسـن الرعايـة ... فالغايـة فـى البيتـين واحـدة وإن اختلفـت الوسـيلة ، فالوسـيلة فـى البيـت الأول : الرفق واللين ، وفى الثانى : الشدة وقوة الزجـر عـن ارتيـاد المراعـى الرديئـة التـى تؤذى ... والغايةمن الكنايتين : الدلالة على حسن الرعاية ... ومما لطف الكناية وحسنها فى البيتين ، أنه قد ضم إلى كل منهما ، ضرب من ضروب الجمال فى التعبير ، فضـم إلى الأولى المجاز المرسل فى قوله : " ترى له غليهـا .... إصبعـا " وقـد أفـاد هـذا المجـاز الأثـر الحسن الذى يبدو على أجسام النوق أو الغنم ، وفى هذا دلالـة علـى المبالغـة فـى حسـن رعاية الراعى ... وضـم إلى الثانيـة التوريـة الحسـنة فـى قولـه : " بـالضرب قـد دماهـا " ، أى : صيرها كالدمى[2] حسنا ، بسيره بها فى ضروب الأرض ، فالضرب لـه معنيـان ، قريب وهو الضرب بالعصا ، وبعيد وهو السير فى الأرض ، وكذلك " دماها " لها معنيان ، قريب وهو أسال دمها ، وبعيد وهو صيرها كالدمى فى الحسن والجمـال ... والمـراد : المعنيـان البعيـدان ، وقـد رشـحت التوريـة بقولـه : " صلـب العصـا " لملاءمتـه للمعنيـين القريبين: الضرب وإسالة الدماء ... وسبب تلطيف هذه التورية للكناية أن المعنى القريـب

---

(٣) بادى العروق : ظاهرها لقلة اللحم فى جسمه ونحوله .

(١) الضرب : يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير فى الأرض ... وأفناهـا : أى أهلكهـا فهـى مـن شدته عليها تتمنى أن يكون الله قد أهلكها .

(٢) الدمى : مفردها دمية وهى الصورة الحسنة المزينة .

للفظين يوهم الإيذاء والإيلام ، ولكن بالتأمل والوقوف على المعنى البعيد المراد من كل منهما ، يندفع هذا التوهم ، فيتأكد بذلك المعنى المراد من الكناية وهو حسن رعاية الراعي.

ما الفرق بين الكناية والتعريض ؟ يتفق التعريض والكناية في أن كلا منهما معنى يفهم من الكلام ولا تدل عليه الألفاظ دلالة حقيقة ، فقولنا : فلان كثير الرماد ، دل على معنى الكرم بطريق الكناية والتلازم بين معنى الكرم ، وكثرة الرماد ، وليست دلالة كثرة الرماد على الكرم دلالة حقيقية ، وقول المحتاج في خطاب الغني : " والله إني لمحتاج، وليس في يدي شئ وأنا عريان والبرد قد آذاني " دل على الطلب بطريق "التعريض" فقد فهم من كلامه التعريض بطلبه ، وليست دلالة كلامه على الطلب دلالة حقيقية .

ويختلف التعريض عن الكناية من جهتين :

الأولى : أن التعريض معنى يفهم من عرض الكلام وجانبه ، وسياقاته وقرائن أحواله ، فالتلازم بين المعنى التعريضي والمعنى الحقيقي للألفاظ يرجع إلى المواقف الخاصة التي يقال فيها الكلام كما في المثال السابق .... أما التلازم بين المعنى المكنى به والمعنى المكنى عنه فمرجعه إلى العرف والعادات وطبائع الأشياء وخصوصيات الأفعال على نحو ما عرفت .

الثانية : أن التعريض لا يأتي إلا في التراكيب ، ولا يمكن أن يدل عليه اللفظ المفرد ، وذلك لاحتياجه في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب .. أما الكناية فتأتي في المفرد وفي المركب .

فمن الكنايات المفردة : " مواطن الأسرار " ، " مواضع الأضغان " ، "موطن الحلم " ، و" صلب العصا " ، " ضعيف العصا " ... ومن المركبة : " المجد بين ثوبيه

والكرم بين برديه " ... ﴿أَوَ مَنْ يُنشَّأُ فِي الحِلْيَةِ﴾ ، " يبيت بمنجاة من اللوم بيتها..." إلى آخر ما مر من شواهد الكناية .

ومن أمثلة التعريض ما روى أن عمرو بن مسعدة كتب إلى " المأمون " فى أمر بعض أصحابه : " أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ليتطول فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائى بذلك تعدى طاعته " ، فوقع المأمون فى ظهر كتابه ، قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك ، وقد أجبناك إليهما .

وقول على كرم الله وجهه : " إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ، وإن أكرم الموت القتل ، والذى نفس ابن أبى طالب بيده لضربة ألف سيف أهون على من ميتة على فراش ... " ، فهذا كلام قاله على جهة التعريض بأصحابه لتأخرهم عن الجهاد ومقاتلة الأعداء .

ومنه التعريض بخطبة المرأة ، كأن يقول الرجل لها : " والله إنك لجميلة . ولعل الله أن يرزقك بعلا صالحا ، وإنى لفى حاجة إلى امرأة صالحة ... " ، وقد جعل الله التعريض بخطبة المرأة جائزاً فى عدتها ، دون التصريح ، قال عز وجل : ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾[1]

ومنه قول الله عز وجل : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[2] ، ففيه تعريض بخطأ القوم وتعاميهم عن الحق وتسفيه أحلامهم حيث عبدوا هذه الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، ولا تعيرهم جوابا إذا سئلت .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٢) سورة الأنبياء ٦٣.

الكناية التعريضية : وقد يجتمع التعريض والكناية فى التعبير الواحد وتسمى الكناية عندئذ بالكناية التعريضية أو العُرْضِيَّة ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ، أفاد الحديث الشريف ، حصر الإسلام فى من سلم المسلمون من أذاه ، وهذا يستلزم نفى الإسلام عن كل من يؤذى المسلمين ، وهو المعنى المكنى عنه ، فإذا قيل الحديث فى مقام يوجد به من يعرف بإيذاء المسلمين ؛ فهم من عرض الكلام وجانبه التعريض بذلك المؤذى ... ومنه قوله عز وجل : ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُون بالْغَيْبِ﴾[1] فإذا فسر " الغيب " فى الآية ، بالغيبة عن حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، يكون المعنى المصرح به : ثبوت الهداية للمتقين الذين آمنوا بالله ورسوله وقت حضورهم ووقت غيبتهم عنه ، وهذا يستلزم إخلاصهم فى العقيدة والعبادة ، وهو المعنى المكنى به ... وفى الآية مع ذلك تعريض بهؤلاء المنافقين الذى أظهروا الإسلام وقت حضورهم فإذا ما غابوا وخلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزءون .

ومنه قول المتنبى فى التعريض بنفى الصدق عن فتاته :

تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو
ق إليها والشوق حيث النحول

فقوله : " والشوق حيث النحول " يفيد حصر الشوق فى الجسم النحيل ، وهذا يستلزم نفى الشوق عن الجسم السمين الممتلئ ، لأن سمن الجسم فى عرف أهل الهوى والعشق ، يستلزم الخلو من الشوق ، فالمعنى المكنى عنه هو نفى نسبة الشوق إلى صاحب الجسم السمين ، وفى هذا تعريض بنفى الشوق عن فتاته حيث تدعيه وقد سمن جسمها وامتلأ لحما ، فهى كاذبة فى ادعائها .

ومثله قول الآخر :

---

(١) أول سورة البقرة .

يلوم فى الحب مـن لم يـدر طعـم هـوى

وإنمـا يعـذر العشـاق مـن عشـقا

فهو يفيد أن اللوم يقع على العشاق من الذين لم يعرفوا الهوى ، و لم يذوقوا طعم الحب ، و لم يكتووا بنار العشق ، وهذا يستلزم نفى اللوم عن أهل الهوى فالمعنى المكنى عنه هو نفى نسبة اللوم إلى العشاق وأصحاب الغرام ، كما يؤكد ذلك الشطر الثانى : "إنما يعذر العشاق من عشقا " ، فإذا ما وجه هذا البيت إلى من عرف باللوم أو قيل فى مجلس يحضره من عرف بلومه أهل الهوى ، كان الكلام تعريضاً به .

وكما يجتمع التعريض والكناية فى التعبير الواحد ، فقد يجتمع والمجاز ، كقولك : " أنا لا أطعن فى أعراض الناس ، ولست ممن يطعن فى الأعراض " فقد استعير " الطعن "للإيذاء " ، واشتق منه طعن بمعنى آذى على سبيل الاستعارة التبعية فى الفعل ، فإذا ما قيل هذا القول أمام أناس قد عرفوا واشتهروا بالإيذاء أو أشار السياق إلى كون من تكلمت عنه مؤذيا ، كان الكلام تعريضا به .

وبهذا يتضح أن التعريض كما يفهم من عرض التراكيب الحقيقية التى لا مجاز بها ولا كناية ، فقد يجتمع وأسلوب الكناية أو المجاز وهذا يوضح ما قررناه من أن التعرض يفهم من التركيب ، ولا يمكن أن يدل عليها اللفظ المفرد ، فهو معنى يفهم من جوانب الكلام وسياقاته الخاصة ومواقفه ومقاماته المعينة .

التلويح والرمز والإشارة : ترددت فى كتب البلاغيين أسماء عدة تطلق على مفهوم الكناية أو التعريض ، منها : الإرداف والتمثيل والتلويح والرمز والإيماء والإشارة واللحن ، وقد أخذ الأخير من قوله عز وجل : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ القَوْلِ﴾[1] ، فاللحن فى الآية مراد به : التعريض بالشئ من غير تصريح به ، أو الكناية عنه بغيره ... يقول الشاعر .

---

(١) سورة محمد الآية ٣٠.

ولقد لحنت لكم لكيمـا تفقهـوا   واللحن يعرفه ذوو الألبـاب[1]

ولا يتسع المقام هنا لتفصيل القول في هذه المصطلحات وتتبعها في كتب البلاغيين ، ولكننا نكتفي بالحديث عن ثلاثة فقط منها حديثا موجزا ، لنبرز أن مفهومها لم يختلف عن مفهوم الكناية التي فصلنا القول فيه .

فالتلويح معناه في اللغة : الإشارة إلى الغير من بعيد ، ولذا أطلقوه على الكناية التي تعددت وسائطها نحو : كثير الرماد ... وجبان الكلب ...

والرمز في اللغة أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، ولذا أطلقوه على الكناية التي قلت وسائطها أو انعدمت وكان بها نوع من خفاء التلازم بين المعنيين : المكني به والمكني عنه ، نحو : عريض القفا ، وعريض المنكبين ، وصغير الرأس ، وطيب الحجزات ... والإشارة أو الإيماء ، يكون لمن قرب جداً ووضح ، ولذا أطلقوها على الكناية التي انعدمت وسائطها أو قلت ، ووضح فيها التلازم بين المعنيين نحو الكناية عن المرأة بالنعجة أو خضاب البنان ، أو التنشئة في الحلية، وعن الرجل بحمل السلاح ، وعن الصدر بموطن الحلم وعن الفقر بقلة الفأر في البيت ...

ومنها قول أبي تمام :

أبين فما يزرن سوى كريم   وحسبك أن يزرن أبا سعيد

كنى عن نسبة الكرم إلى أبي سعيد بزيارتهن له وقد أبين زيارة غير الكريم ، فالتلازم واضح بين المكني به والمكني عنه وليس هنالك وسائط ....

وقول البحتري :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله   في آل طلحة ثم لم يتحول ؟

---

(١) انظر الكشاف جـ ٣ ص ٥٣٨ .

كنى عن نسبة المجد إلى آل طلحة ، بإلقاء المجد رحله فيهـم ، فـالتلازم واضـح ، ولا يخفى ما فى البيت من خيال رائع حيث صور المجد حيا متحركا يلقى رحله فى ساحة هؤلاء الأمجاد ، ثم يستقر فيهم فلا يتحول عنهم ....

وقول الآخر :

متـى تخلـو تميـم مـن كريـم ... ومسـلمة بـن عمـرو مـن تميـم

كنى بعدم خلوهم من الكريم عن نسبة الكرم إلى مسلمة بن عمرو ..

وقول أبى نواس :

تقول التى من بيتها خف محملى ... عزيـز علينـا أن نـراك تسـير

فقد كنى عن امرأته بقوله : " التى من بيتها خف محملى " ، والتلازم واضح بـين المكنى به والمكنى عنه ....

بلاغة الكناية وسر جمالها : الكناية من التعبيرات البيانية الغنية بالاعتبارات والمزايا والملاحظات البلاغية ، فهى تضفى على المعنى جمـالا ، وتزيـده قـوة ، ويسـتطيع الأديـب المتمكـن ، والبليـغ المتمـرس أن يحقـق بأسـلوب الكنايـة العديـد مـن المقـاصد والأهـداف البلاغية، وأهم تلك المقاصد:

١- إفادة المبالغة فى المعنى ، لأن التعبير عن المعنى الكنائى بروادفه وتوابعه له مـن القوة والتأكيد ما ليس فى التعبير عنه بـاللفظ الموضـوع لـه ، وذلـك لأنـه يصبـح كـإبراز الدعوى بدليلها وكإثبات الحجة ببينتها.... وهذا واضح فى التعبير عن " الكـرم " بكـثرة الرماد وهزال الفصيل وجبن الكلـب ، وعـن طـول الجيـد ببعـد مهـوى القـرط فـى قـول الحماسى :

أكلـت دمـا إن لم أرعـك بضـرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

وعن الترف والتنعم بقول امرئ القيس :

وتضحى فتبت المسك فوق فراشها

نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وترجع إفادة المبالغة فى التعبير الكنائى إلى هذه اللوزام والتوابع التى عبربها عن المكنى عنه ، فهى بمثابة الأدلة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته .

٢- تجسيد المعانى وإبرازها فى صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة ، فيكون ذلك أدعى لتأكيدها ورسوخها فى النفس ، ويتضح ذلك في التعبير عن معنى الشيخوخة وكبر السن بقولك : " انحنى ظهره وصار يمشى على عكاز " ، فقد جسد أسلوب الكناية معنى الضعف والكبر وأبرزه فى صورة حية ماثلة أمام الأعين ، وفى النظم الكريم : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾(١) ، أبرزت الآية معنى البخل فى صورة اليد المشدودة إلى العنق ، المقيدة به وهى صورة قبيحة تنفر منها النفوس فتقبل على البذل والعطاء ... ويقول عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ (٢) ... ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ (٣) .. ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾(٤) ، أبرزت الآيات الكريمة معنى " الندم " فى هذه الصور المحسوسة المشاهدة ..

ومن أشعارهم قول ليلى الأخيلية :

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

أبرزت المعنى المعنوى وهى نسبة الكرم إلى الممدوح فى صورة مشاهدة محسوسة: " مخرق عنه القميص " ، لأن العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢٧.
(٣) سورة الأعراف آية ١٤٩.
(٤) سورة الكهف آية ٤٢.

إياه ... كما أبرزت وصفه بالحياء فى صورة مرئية حسية وهى صورة الإنسان السقيم ...

وقول الآخر فى الكناية عن كبره وضعفه :

قد كان يعجب بعضهن براعتى حتى سمعن تنحنحى وسعالى

أبرز معنى الضعف والكبر فى صورة كريهة مسموعة تعافها الآذن فتنفر منها النفوس وهى : صورة الذى لا يكف عن التنحنح والسعال. ..

وقول أبى فراس الحمدانى وهو أسير فى بلاد الروم يخاطب ابن عمه سيف الدولة:

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع

وفى كل يوم لقية وخطاب

فكيف وفيما بيننا ملك قيصر

وللبحر حولى زخرة وعباب ؟

كنى عن " البعد الشاسع بينهما " بقوله " بيننا ملك قيصر وللبحر حولى زخرة وعباب" ، فأبرز معنى " البعد" فى صورة مشاهدة محسوسة ...

٣- يستطاع بأسلوب الكناية التعبير عن المعانى غير المستحسنة ، بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمجها الآذان ... وشواهد هذا كثيرة فى النظم الكريم الذى لا يحوى إلا التعبير الحسن والكلام العذب السائغ ... من ذلك قوله عز وجل فى الكناية عن الجماع : **﴿أَوْ لاَ مَسْتُمُ النِّساَءَ﴾**[١] . **﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسـَائِكُمْ﴾**[٢]

---

(١) سورة النساء آية ٤٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

وفى الكناية عن الفرج : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنى شِئْتُمْ﴾ [(١)] وفى الكناية عن النكاح : ﴿ وَلَكِنْ لاتُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[(٢)] ، وفى الكناية عن قضاء الحاجة : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ...﴾ [(٣)] .. ﴿ماَ الْمَسيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأمُّهُ صِدِّيقةٌ كَانَا يَأكُلاَنِ الطَّعَامَ﴾[(٤)] .. ومن أشعارهم فى الكناية عن فرج المرأة قول المتنبى .

أنى على شغفى بما فى خمرها ... لآعفُّ عما فى سراويلاتها

وقول الشريف الرضى :

أحن إلى مايضمن الخمر والحلى ... وأصدف عما فى ضمان المآزر

٤- يستطاع بأسلوب الكناية التعمية والتغطية وإخفاء ما يود المتكلم إخفاءه حرصا على المكنى عنه ورغبة فى عدم تردده على الألسنة ، كما فى الكناية عن أسماء النساء .. أو خوفا من الإفصاح بالمكنى عنه ، كما فى الكناية عن أسماء الأعداء ... من ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

أيا نخلتى وادى بوانة حبذا ... إذا نام حراس التخيل جناكما

فطيبكما أربى على النخل بهجة ... وزاد على طول الفتاء فتاكما[(٥)]

فقد كنى " بنخلتى وادى بوانة " عن أثنتين من صويحباته، رغبة منه فى إخفاء اسميهما ، وحرصا على حسن سمعتهما بين الناس ، كما كنى " بحراس الخيل " عن ذويهما خوفا منهم وتحاشيا لإثارة غضبهم وحميتهم ...

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٣) سورة النساء آية ٤٣.

(٤) سورة المائدة آية ٧٥.

(٥) بوانة : اسم موضع ... جناكما : حسنكما ... أربى : زاد عليه ... الفتاء : الشباب ..

ومنه قول الآخر :

ألمـا بـذات الخـال فاسـتطلعا لنـا ... على العهد باق ودها أم تصرما[1]

كنى " بذات الخال" عن صاحبته حرصا على سمعتها وصوناً لاسمها عن الابتـذال بترديد شعره وسماعه ..

وقول أبى نواس :

تقول التى من بيتها خف محملى ... عزيـز علينـا أن نـراك تسـير

كنى عن امرأته بقول : " التى من بيتها خف محملى " حرصا علـى إخفـاء اسمهـا وصيانتها ..

ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿**وَرَاوَدَتْهُ التِي هُوَ فِي بَيْتِهاَ عَنْ نَفْسِهِ**﴾[2] فقـد كنى عن امرأة العزيز بقوله تعالى : " التى هو فى بيتها " رغبة عن ذكـر اسمهـا أو نسـبتها إلى " العزيز " ، وحرصا على جملة الصلة : " هو فـى بيتهـا " ، ليـبرز عفـة يوسـف عليـه السلام ، وإعراضه عن الفاحشة ، فهو فى بيتها ، وهى متمكنة منه ، وقد غلقت الأبواب وتزينت وعرضت نفسها : " هيت لك " وعلى الرغم من كل ذلك تعفـف عليـه السـلام وأعرض وقال : ﴿**مَعـاَذَ اللهِ إِنَّـهُ رَبِّـى أَحْسَـنَ مَثْـوَاىَ إِنَّـهُ لاَ يُفْلِـحُ الظـالِمُونَ .**﴾ ... ونلاحظ فرق ما بين المكنى به فى الآية الكريمة : " التى هو فى بيتها" وفى البيت المذكور " التى من بيتها خف محملى " ، فما فى الآية يفيد استقراره – عليه السلام – فـى البيـت وتمكنها منه بدلالة الحرف"فى"، وما فى البيت يفيد الذهاب والابتعاد:"من بيتها خف..".

هذا وقد جرت عـادة الشـعراء أن يكنـوا عـن أسمـاء فتيـاتهم ، أو يطرحـوا تلـك الأسماء ، ويطووها من اللفظ سمواً لها ، وصونـا لهـا عـن التبـذل بجريانهـا علـى الآلسـنة ، وترددها على الأسماع ، ولذا أحبوا الأماكن النائية المنعزلة حيـث يمكنهـم التمتـع والتلـذذ بترديد تلك الأسماء والتغنى بها ، يقول ذو الرمة :

---

(١) ألما : انزلا .. الخال ، الشامة فى خد الحسناء ... تصرم : زال وتقطع ...

(٢) سورة يوسف آية ٢٣

٥- ومن محاسن الكناية ، تفخيم المعنى فى نفوس السامعين ، ويتضح لنا ذلك فى الآيات الكريمة التى عبرت عن يوم القيامة ووصف ما فيه من أهوال ... من ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ . يَومَ يَكُونُ النَّاسُ كالفَرَاشِ المَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ ...**﴾ (١) وقول تعالى : ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ...**﴾ (٢) ﴿**فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى**﴾(٣) .... ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ...**﴾ (٤) ... إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى كنى فيها عن يوم القيامة بوصف ما يكون فيه من أحداث وأهوال تفزع القلوب وتزعج النفوس ، فليس المراد بتلك الكناية ، معرفة المكنى عنه والوقوف عليه ، ولكن المراد تنبيه العقول وإيقاظ النفوس بعرض هذه الأوصاف وذكر تلك الأحداث والأهوال ، ردعاً للكافر وزجرا وتنبيها للمؤمن وتحذيراً . وصدق الله العظيم : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَئٌ عَظِيمٌ ... يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ**﴾(٥) ... وقانا الله وإياكم نار عذابه ومتعنا جميعا بنعيم جنته إنه سميع الدعاء .

* * *

(١) أول سورة القارعة .
(٢) سورة عبس آية ٣٣.
(٣) سورة النازعات آية ٣٤
(٤) أول سورة الزلزلة
(٥) أول سورة الحج.

خاتمة

ما من ريب فى أن فنون البيان تتفاوت فى رسم الصورة البيانية ، وتحديد معالمها، وإبرازها ، فما يرسمه التشبيه غير ما تصوره الاستعارة ، وما تفيده الكناية غير ما يبرزه المجاز ....

وقد اتفق البلاغيون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، والكناية أبلغ من التصريح ... واختلفوا فى الموازنة بين المجاز والكناية ؛ فقيل إن الكناية أبلغ من المجاز بنوعيه : المجاز المرسل والاستعارة ، وقيل الاستعارة أبلغ من الكناية ، لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكناية ، وقيل إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية ، والكناية أبلغ من التصريحية ، وقيل : الاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارات ، لأنها تكون فى الهيئات المركبة المنتزعة من أمور متعددة ، فهى كثيرة الاعتبارات والملاحظات ... والسؤال الآن: ما معنى الأبلغية التى بنيت عليها هذه الموازنات ؟ وهل لهذه الموازنات واختلاف البلاغيين فيها أثر فيما تفيده تلك الفنون البيانية ؟ .

والجواب : أن المراد بالأبلغية : زيادة تأكيد المعنى وتقريره وإثباته ، وليس المراد بها زيادة فى حقيقة المعنى الذى يراد أداؤه ، فالتشبيه فى قولنا : محمد أسد ، يفيد زيادة تأكيد لإثبات الشجاعة لمحمد ، لا تفيدها المبالغة بغير التشبيه نحو : محمد أكثر الناس شجاعة ، ولا يفيد التشبيه أننا أضفنا إلى شجاعة محمد قدراً آخر لم يكن موجودا فيه ، وكذلك الكناية فى قولنا : زيد كثير الرماد ، تفيد زيادة تأكيد فى إثبات الكرم لزيد ، لا تفيدها المبالغة بغير الكناية

نحو : كرم زيد لا يبارى ، ولا تفيد الكناية أننا أضفنا إلى كرمه قدراً لم يكن موجودا فيه ... والاستعارة كذلك ، فقولنا : رأيت أسداً يقاتل فى الميدان ، يفيد زيادة تأكيد فى معنى الشجاعة ، لا تفيدها الحقيقة فى نحو : "رأيت شجاعا فى الميدان لم أر مثل شجاعته" ولا يفيدها التشبيه فى نحو : "شجاع كالأسد" ، ولا يعنى هذا أن الاستعارة أضافت إلى شجاعة الشجاع قدراً ليس موجودا فيه .

فالأبلغية إذا تعنى زيادة تأكيد المعنى وتقريره ، وزيادة قوة تأثير هذه الفنون البيانية فى النفوس ، وفيما تولده من شعور بثبوت المعانى التى يراد التعبير عنها وتأكيدها.

وأرى أن اختلاف البلاغيين فى الموازنة بين هذه الفنون لا أثر له فيما تصوره ، إذ المرجع فى ذلك لما يقتضيه المقام فإذا اقتضى المقام الإفصاح كان بلا ريب أبلغ من الكناية ... وإذا اقتضى التشبيه كان أبلغ من الاستعارة ولا يعنى ذلك أن هذه الفنون سواء فى إفادة المعانى وتحديد معالم الصور ، بل تتفاوت فى ذلك كما قلنا ، وكما وضح لنا فى خلال هذه الدراسة ، فقد وقفنا على مفهوم كل فن من تلك الفنون وعلى أوجه التفاوت والاختلاف بينها ، بل على أوجه الاختلاف بين صور الفن الواحد ، فمثلا إذا أردنا أن نصف محمداً بالكرم ، لنا أن نقول : محمد كريم ... محمد كالبحر فى الجود .... محمد كالبحر ... محمد بحر فى الجود .... محمد بحر ... شاهدت بحراً يتصدق ويفيض على الناس ... محمد جبان الكلب مهزول الفصيل ... وليست نسبة الكرم إلى محمد سواء فى هذه الصور ... بل تتفاوت وتختلف ، والمقام هو الذى يحدد ويقتضى استخدام هذه الصورة أو تلك ، وعليك أن ترجع إلى فصول هذا الكتاب ليتبين لك أوجه التفاوت والاختلاف بينها ... والله الهادى إلى سواء السبيل ، وهو مولانا ونعم النصير ... نسأله سبحانه وتعالى أن يجزينا خير الجزاء وأن ينفع بهذا الكتاب ،

وأن يغفر لنا ولوالدينا وإخواننا ومشايخنا ولمن سبقنا بالإيمان ، وأن يعفو عنا وعنهم . ولا يؤاخذنا بما يكون قد جرى به القلم من زلات غفل عنها العقل ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آلة وصحابته أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى فى الزمان
٢٩ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ .
الموافق
١٠ يناير سنة ١٩٨٦م

والمكان : حى المطار بعنيزة القصيم
المملكة العربية السعودية

د./ بسيونى عبد الفتاح

أهم مراجع الكتاب

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة الحلبي سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٣٩٢هـ ، ص: محمد عبدالمنعم خفاجي .

(٣) الأسلوب للدكتور أحمد الشايب ط السعادة .

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ط دار المعارف سنة ١٩٧٧ م . ت : السيد صقر .

(٥) إعجاز القرآن للرافعي ط المقتطف سنة ١٣٤٦هـ.

(٦) الأقصى القريب للتنوخي ط السعادة سنة ١٣٢٧هـ .

(٧) أمالي المرتضى ط الحلبي سنة ١٣٧٣هـ . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٨) الإيضاح للقزويني وبهامشه البغية ط صبيح سنة ١٣٩٢هـ .

(٩) البرهان في وجوه البيان [فقد النثر] لابن وهب ط مطبعة مصر سنة ١٩٣٩م.

(١٠) البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف للدكتور محمد أبو موسى ط دار الفكر العربي .

(١١) البيان القرآني للدكتور محمد رجب البيومي ط دار النصر سنة ١٩٧١م.

(١٢) البيان والتبيين للجاحظ ط الخانجي ت : عبد السلام هارون .

(١٣) البيان العربي للدكتور بدوي طبانة ط الرسالة سنة ١٩٥٥.

(١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط الحلبي سنة ١٣٧٣ هـ .

(١٥) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع ط المجلس الأعلى سنة ١٣٨٣هـ ، ت : حنفي شرف .

(١٦) التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى ط دار التضامن سنة ١٤٠٠ هـ .

(١٧) تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى ط الحلبى سنة ١٣٧٣ هـ ، ت : محمد عبد الغنى حسن.

(١٨) تنزية القرآن عن المطاعن لعبد الجبار ط دار النهضة ببيروت .

(١٩) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن . ط : دار المعارف سنة ١٩٧٦م .

(٢٠) الجمان فى تشبيهات القرآن لابن ناقيا . ط : منشأة المعارف . ت : مصطفى الجوينى .

(٢١) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى . ط : جامعة الإمام : محمد ابن سعد الإسلامية ت : محمد الهاشمى .

(٢٢) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ط : دار الطباعة الخديوية .

(٢٣) الحيوان للجاحظ . ط : الساسى سنة ١٩٥٠م

(٢٤) الخصائص لابن جنى . ط دار الهدى ببيروت . ت : محمد على النجار.

(٢٥)دلائل الإعجاز لعبد القاهر . ط : الفجالة . ت : الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى .

(٢٦) الرسالة البيانية للصبان على هامش حاشية الإنبابى المطبعة الأميرية سنة ١٣١٥هـ .

(٢٧) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى . ط : الخانجى ت : على فودة .

(٢٨) شرح المعلقات للزوزنى المطبعة التجارية سنة ١٩٧١م.

(٢٩) شروح التلخيص .

(٣٠) الشعر والشعراء لابن قتيبة . ط : دار المعارف سنة ١٩٦٧م . ت : لأستاذ أحمد شاكر .

(٣١) الصاحبى لأحمد بن فارس . ط : المؤيد سنة ١٣١٨هـ .

(٣٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى . ط : الحلبى سنة ١٩٧١هـ .

(٣٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام . ط : المدنى . ت : محمود شاكر .

(٣٤) الطراز ليحيى بن حمزة العلوى . ط المقتطف سنة ١٣٣٣هـ .

(٣٥) عقود الجمان للسيوطى المطبعة الشرقية سنة ١٣٠٥هـ .

(٣٦) علم البيان للدكتور : بدوى طبانة . ط : المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٧م.

(٣٧) العمدة لابن رشيق . ط : دار الجيل . ت : محمد محيى الدين .

(٣٨) عيار العشر لابن طباطبا . ط : شركة فن الطباعة سنة ١٩٥٦م.

(٣٩) فن الاستعارة للدكتور أحمد الصاوى ط : الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٩م .

(٤٠) فن التشبيه لعلى الجندى ط : نهضة مصر سنة ١٩٥٢م.

(٤١) الكتاب لسيبوية . ط : الهيئة المصرية سنة ١٩٧٧م . ت : عبد السلام هارون.

(٤٢) الكشاف للزمخشرى . ط : الحلبى سنة ١٣٩٨هـ .

(٤٣) الكامل للمبرد . ط الحلبى سنة ١٣٩٨ هـ .

(٤٤) لسان العرب لابن منظور . ط : دار المعارف .

(٤٥) متشابه القرآن لعبد الجبار . ط : دار النصر سنة ١٩٦٩م . ت : عدنان زرزور .

(٤٦) المثل السائر لابن الأثير . ط : الحلبى . ت : محمد محيى الدين .

(٤٧) مجمع الأمثال للميدانى مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩هـ . ت : محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٤٨) مجاز القرآن لأبى عبيدة . ط : الخانجى . ت : محمد فواد .

(٤٩) معانى القرآن للفراء . ط : الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠م.

(٥٠) المطول لسعد الدين التفتازانى .

(٥١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للعباسى مطبعة السعادة . ت : محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٥٢) مغنى اللبيب لابن هشام مطبعة المدنى . ت : محمد محيى الدين عبد الحميد.

(٥٣) مفتاح العلوم للسكاكى . ط : الحلبى سنة ١٣٥٦هـ .

(٥٤) المفضليات للضبى طبعة دار المعارف الطبعة الخامسة . ت : الأستاذ محمود شاكر .

(٥٥) من أسرار التعبير القرآنى للدكتور محمد أبو موسى . ط : دار الفكر العربى سنة ١٣٩٦ هـ.

(٥٦) من بلاغة النظم العربى للدكتور عبد العزيز عرفة . ط : دار الطباعة المحمدية سنة ١٤٠٢هـ .

(٥٧) مناهج التجديد لأمين الخولى . ط : دار المعرفة سنة ١٩٦١م.

(٥٨) الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى . ط . دار المعارف سنة ١٣٨٠ هـ.

(٥٩) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩هـ .

(٦٠) نقد الشعر لقدامة . ط : أنصار السنة سنة ١٩٤٩م ت : كمال مصطفى.

(٦١)النقد المنهجى عند العرب للدكتور محمد مندور . ط : نهضة مصر سنة ١٩٧٢م.

(٦٢) النقد الأدبى لسيد قطب . ط : دار الفكر العربى سنة ١٩٥٤م .

(٦٣) النقد الأدبى الحديث للدكتور محمد غنيمى هلال . مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧١م.

(٦٤) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز للرازى. ط : مطبعة الآداب سنة ١٣١٧هـ.

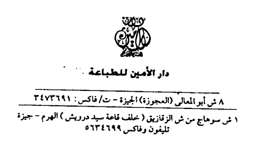
(٦٥) الوساطة بين المتنبى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى . ط : الحلبى.ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٦٦)يتيمة الدهر للثعالبى . ط : الصاوى سنة ١٩٣٤م .

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الأغراض العائدة على المشبه به : التشبيه المقلوب – المبالغة فى التشبيه – بيان شدة الحاجة إلى المشبه به – موازنة – التشابه – التشبيه الحسن والتشبيه القبيح – التشبيه الضمنى – مراتب التشبيه :	
الفصل الثانى : الحقيقة والمجاز	١٣٧-١٦٨
معنى الحقيقة – أقسامها – معنى المجاز – إنكاره – إنكار الحقيقة – المجاز المفرد والمجاز المركب – تعريف المجاز المفرد – الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل :	
المجاز المرسل وعلاقاته : علاقة السببية – علاقة المسببية – الجزئية – الكلية – اعتبار ما سيكون – اعتبار ما كان – المحلية – الحالية الآلية – المجاورة – علاقات أخرى – المجاز الخالى من الفائدة والمفيد – المزايا البلاغية للمجاز المرسل :	
الاستعارة : معناها – آراء العلماء فى التفرقة بين الاستعارة والتشبيه البليغ – أمجاز لغوى الاستعارة أم عقلى – القرينة لا تنافى الادعاء – الفرق بين الاستعارة والكذب – وقوع الاستعارة فى أعلام الأشخاص :	١٦٩-٢٤٢
أقسام الاستعارة : الاستعارة الحقيقية – الاستعارة التصريحية – الاستعارة المكنية – الاستعارة التخييلية – الاستعارة الأصلية – الاستعارة التبعية – الوفاقية والعنادية – المطلقة والمجردة والمرشحة والغريبة والمبتذلة – تحول الاستعارة المبتذلة إلى غريبة – قرائن الاستعارة:	
المجاز المركب : معناه – الفرق بينه وبين المجاز المفرد – الاستعارة التمثيلية – المجاز المرسل المركب – الفرق بينه وبين الاستعارة التمثيلية – رأينا فيه :	



دار الأمين للطباعة

٨ ش أبو المعالى (العجوزة) الجيزة - ت/ فاكس : ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم - جيزة
تليفون وفاكس ٥٦٣٤٦٩٩